النفحات المسكية من الخطب المنبرية

الجزء الثاني

بقلم: محمد بن عبد الله بن سعيد السيفي
إمام وخطيب جامع الاستقامة بنزوى

النفحات المسكية من الخطب المنبرية

الجزء الثاني

بقلم:
محمد بن عبد الله بن سعيد السيفي
إمام وخطيب جامع الاستقامة بنزوى

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ/٢٠١٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبةُ الحاديةُ والخمسون

وفاةُ سيدِنا المختارِ محمدٍ (ﷺ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي هدمَ بالموتِ مشيدَ الأعمارِ، وحكمَ بالفناءِ على أهلِ هذه الدارِ، فجعلَهم أهدافًا لسهامِ الأقدارِ، ووكلَ بهم أمراضًا تُزعجُهم عن القرارِ، ولم يخصّ بها الفقراءَ دونَ ذوي اليسارِ، بل هي آياتُ اللّٰه عدلٌ بالبادين والحضّارِ، سبحانَه أذاقَ المنونَ نبيَّنا المختارَ(ﷺ) ومِن قبلِه تجرَّعَ أبونا آدمُ قِسيَ المنايا مع أنَّه خُلِقَ بيدِ العزيزِ الغفارِ، وسلَّ يحيى حتمًا لازمًا مع تسليمٍ مِنَ القديرِ الجبارِ، ولما قضى الحينُ على سليمانَ استمسكَ بمنسأتِه وما هي إلا دابةُ الأرضِ بها خارِ، فيا أيُّها السادةُ أبعدَ النبين وختمِ المرسلين تظنون أنَّكم بدنياكم ماكثون هيهاتَ، ولاتَ حينَ مناصٍ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾[1] أحمدُه على نعمِه، وأعوذُ به مِنَ العتوِّ والإصرارِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً منجيةً مِن عذابِ النارِ مبوأةً مَن شهدَ بها دارَ القرارِ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه بأيمنِ شعارٍ وأنورِ منارٍ وأظهرِ إعلانٍ وإسرارٍ؛ مؤيدًا بالمهاجرين والأنصار منصورًا بالملائكةِ المقربين الأبرارِ، اللهم فصل وسلم على سيدِنا محمدٍ وآلِه وأصحابِه آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

في مثلِ شهرِكم هذا ـ ربيعٍ الأولِ ـ حلَّت بدارِ الإسلامِ مصيبةٌ عظيمةٌ، ونزلت رزيةٌ أليمةٌ، إنَّها بلاءٌ عظيمٌ، وخطبٌ مدلهمٌ جسيمٌ، كارثةٌ عاصفةٌ، ومصابٌ مُرٌّ تفجرت منها الدموعُ الأربعُ، وصُمَّتِ الآذانُ، وعَميت الأبصارُ، وتزلزلت منها قلوبُ الرجالِ، والرجالُ رجالٌ، وتدكدت مِن هولِها الجبالُ،

---

(١) سورة غافر الآية: ١٦ .

والجبالُ جبالٌ، واتكدرت وتعكرت مِن شدتِها البحارُ، والبحارُ بحارُ، حضرت وا النُدبةِ لدملِ المصابِ، فما شيءٌ صنعت، وشيعت لهفٌ لكسرِ الخطبِ، وليس لهفٌ نفعت، واتقدتِ الكبودُ، وتوهجت نيرانٌ بينَ الضلوعِ والحشا، إنَّها أمُّ النوائبِ موبقةُ المصائبِ، منيةٌ لا تُنسى، وأحزانٌ لا تَسلى، ويالها ثم يا لها من مصيبةٍ ما أعظمَها، ونكبةٍ ما أدهمَها، ورزيةٍ ما أهولَها، فجيشُ الهمِّ أناخَ بجرانه، وجندُ الصبرِ هُدَّ من كلِّ مكانه، كارثةٌ فادحةٌ ذابَ لشدتِها كلُّ جلمدٍ لتحقيقِ إعلامٍ بموتِ محمدٍ (ﷺ)، وكيف لا يكونُ كلُّ هذا، وهو وما أدراكَ ما هو طبُّ القلوبِ وعافيةُ الأبدان وحرمُ الأمان وقبلةُ الإحسان وركنُ الإسلامِ المشيدِ وحِصنُه الحصينُ وحبيبُ ربِّ العالمين صاحبُ الخلقِ العظيمِ والشفاعةِ العظمى والحوضِ المورودِ واللواءِ المعقودِ.

حماةَ الإسلامِ وحرّاسَ العقيدةِ

إنَّ ذكرى وفاةِ النبيِّ محمدٍ (ﷺ) لهي ذكرى أليمةٌ حزينةٌ تتفطرُ مِن أحداثِها قلوبُ محبيهِ (ﷺ)، هي عبرةٌ لمَن يعتبرُ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[1] وقد أنبأَ اللهُ حبيبَه محمدًا (ﷺ) بأنَّه بشرٌ، وأنَّه لا مفرَّ مِنَ الموتِ، وأنَّه سيفارقُ الحياةَ كسائرِ المخلوقاتِ، فقالَ مخاطبًا له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]، وقالَ له: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3].

---

(١) سورة ق الآية: ٣٧.
(٢) سورة الزمر الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأنبياء الآيات: ٣٤ - ٣٥.

وقد أخذت طلائعُ التوديعِ للحياةِ والأحياءِ والأمواتِ تنبعثُ انبعاثًا وتبعًا مِن مشاعرِه(ﷺ)، وتتضحُ بعباراتِه وأفعالِه، وكانت تلك الطلائعُ والإشاراتُ:

أولًا: انبعثَ في قلبِ رسولِنا الرؤوفِ الرحيمِ (ﷺ) أمرٌ خفيٌّ يُشعرُه أنَّ مقامَه في الدنيا قد أوشكَ على النهايةِ، فحينَ بعثَ مُعاذَ بنَ جبلٍ (رضيَ اللهُ عنه) إلى اليمنِ في السنةِ العاشرةِ مِنَ الهجرةِ، قالَ مودعًا له: " يا معاذُ إنَّك عسى ألاَّ تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمرَّ بمسجدي هذا وقبري" فبكى معاذُ خَشَعًا لفراقِ رسولِ اللهِ (صلى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ).

ثانيًا: أشارَ في خطبتِه المشهورةِ بحجةِ الوداعِ لقربِ أجلِه في مواضعَ منها، قالَ في خطبتِه: " أيُّها الناسُ اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقفِ أبدًا"، وقالَ لهم: " وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟"، قالوا: نشهدُ أنَّك قد بلغتَ وأديتَ ونصحتَ "، فقالَ: بإصبعِه المسبحةِ يرفعُها إلى السماءِ، وينكتُها إلى الناسِ: اللهم اشهد. اللهم اشهد. اللهم اشهد. وبعدَ أن فرغَ النبيُّ(ﷺ) مِن إلقاءِ الخطبةِ نزلَ عليه قولُه تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾[1] وعندَما سمعَها عمرُ بنُ الخطابِ (رضيَ اللهُ عنه) تحدرت الدموعُ مِن عينيه، فقيلَ له: ما يبكيك؟ قالَ: إنَّه ليسَ بعدَ الكمالِ إلا النقصُ.

ثالثًا: إنَّه (ﷺ) اعتكفَ في رمضانَ مِنَ السنةِ العاشرةِ عشرين يومًا، بينما كان لا يعتكفُ إلا العشرَ الأواخر.

رابعًا: دارسَه جبريلُ القرآنَ الكريمَ مرتين في السنةِ العاشرةِ، وكانَ لا يدارسُه في السنواتِ المتقدمةِ إلا مرةً واحدةً مِن كلِّ سنةٍ.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣ .

خامسًا: نزلت عليه سورةُ النصرِ المعروفةِ بسورةِ التَّنعيةِ لأنَّها تشيرُ إلى اقترابِ أجلِّ النبيِّ (ﷺ).

سادسًا: في أوائلِ شهرِ صفرٍ مِنَ السنةِ الحاديةَ عشرَ للهجرةِ، خرجَ رسولُنا الكريمُ(ﷺ) إلى أحدٍ فصلى على الشهداءِ كالمودعِ للأحياءِ والأمواتِ.

سابعًا: خرجَ إلى بقيعِ الغرقدِ في السنةِ الحاديةَ عشرَ للهجرةِ، فاستغفرَ لأهلِ البقيعِ، وقالَ: السلامُ عليكم يا أهلَ المقابرِ ليهن لكم ما أصبحتُم فيه بما أصبحَ الناسُ فيه أقبلتِ الفتنُ كقطعِ الليلِ المظلمِ يتبعُ آخرَها أولُها، الآخرةُ شرٌّ مِنَ الأولى، وبشَّرهم قائلًا " إنَّا بكم للاحقون".

ثامنًا: خطبَ رسولُ اللهِ (ﷺ) يومًا، وقالَ: " إنَّ عبدًا خيَّرَه اللهُ بينَ زهرةِ الدنيا ونعيمِ الآخرةِ، فاختارَ ما عندَ اللهِ "، قالَ أبو سعيدٍ الخدريِّ: فبكى أبو بكرٍ قالَ: فديناك بآبائِنا وأمهاتِنا، فعجبنا له، فقالَ الناسُ: انظروا إلى هذا الشيخِ يُخبرُ رسولُ اللهِ (ﷺ)عن عبدٍ خيَّرَه اللهُ بين أن يؤتيَه مِن زهرةِ الدنيا وبينَ ما عندَه، وهو يقولُ: فديناك بأبائِنا وأمهاتِنا، فكانَ رسولُ اللهِ (ﷺ) هو المخيَّرُ، وكان أبو بكرٍ أعلَمنا.

أحبابَ المصطفى (ﷺ)

في اليومِ التاسعِ والعشرين مِن شهرِ صفرٍ مِنَ السنةِ الحاديةَ عشرَ للهجرةِ شهدَ رسولُ اللهِ (ﷺ) جنازةً في البقيعِ، فلما رجعَ بدأه مرضُ الوفاةِ بصداعٍ شديدٍ في رأسِه، فوجدَ عائشةَ (رضيَ اللهُ عنها) بها ألمٌ برأسِها، وهي تقولُ: وا رأساه، فقالَ لها(ﷺ): " بل أنا واللهِ يا عائشةُ وا رأساه، واتقدت حرارةُ جسدِه الطاهرِ(ﷺ)حتى إنَّهم كانوا يجدون سخونتَها فوقَ العِصابةِ التي تعصبُ بها رأسَه، وقد لازمَ رسولُ اللهِ (ﷺ) الصلاةَ بالناسِ، وهو مريضٌ أحدَ عشرَ يومًا، وما تخلَّف إلا يومين أو ثلاثًا لَّما طفحَ المرضُ في جسدِه، وفي الأسبوعِ الأخيرِ ثَقُلَ برسولِ اللهِ (ﷺ) المرضُ، فجعلَ يسألُ أزواجَه، أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟ فأذِنَ له يكونُ حيث شاءَ، فانتقلَ إلى بيتِ زوجِه عائشةَ بنتِ الصديقِ (رضيَ اللهُ عن أبيها وعنها) عاصبًا رأسَه

تخطُّ قدماه ويساعدانه الفضلُ بنُ عباسٍ وعليٌّ بنُ أبي طالب (كرَّم الله وجهه) حتى دخلَ بيتَها فقضى عندَها آخرَ أسبوعٍ من حياتِه.

وقد دخلَ عليه عبدُ الله بنُ عمرَ (رضيَ اللهُ عنه) فقالَ: يا رسولَ الله: إنَّك توعكُ وعكًا شديدًا، قالَ: " أجل . إني أوعكُ كما يوعكُ رجلان منكم"، ويومَ الأربعاءِ قبلَ خمسةِ أيامٍ مِنَ الوفاةِ اتقدت حرارةُ العلةِ في بدنه (صلى اللهُ عليه وآلِه وسلمَ) فاشتدَّ به الوجعُ، فقالَ لأزواجه: أَهْرِيقوا عليَّ مِن سبعِ قِربٍ لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهدُ إلى الناسِ "، قالت عائشةُ (رضيَ اللهُ عنها) فأجلسناه في مخضبٍ لحفصةَ ثم طفقنا نصبُّ عليه مِن تلك القِرَبِ حتى طفقَ يشيرُ إلينا بيدِه أن قد فعلتن، وعندَ ذلك أحسَّ بخفةٍ، فدخلَ المسجدَ وهو معصوبُ الرأسِ حتى جلسَ على المنبرِ، وخطبَ الناسَ ـ والناسُ مجتمعون حوله ـ فقالَ: " لعنةُ اللهِ على اليهودِ والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ لا تتخذوا قبري وثنًا يُعبدُ"، ثم عرضَ نفسَه للقصاصِ قائلًا: " مَن كنتُ جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري فليقتصَّ منه، ومَن كنتُ شتمتُ له عرضًا فهذا عرضي فليقتصَّ منه"، حاشاكَ ثم حاشاكَ يا رسولَ اللهِ أن تكونَ جلدتَ ظهرًا أو شتمتَ عرضًا لأحدٍ.

أيُّها الإخوةُ الميامينُ

صلوا وسلموا على نبيِّكم الطاهرِ الزكيِّ، واستغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه، إنَّ ربي رحيمٌ ودودٌ.

★★★

الحمدُ للهِ وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على مَنْ لا نبيَّ بعدَه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون

وقبلَ أربعةِ أيامٍ وعندَ العِشاءِ زادَ ثِقَلُ المرضِ بحيث لم يستطع نبيُّنا (ﷺ) الخروجَ إلى المسجدِ، قالت عائشةُ (رضيَ اللهُ عنها): سألَنا رسولُ

اللهِ (ﷺ): أصلى الناسُ؟ قلنا: لا يا رسولَ اللهِ، وهم ينتظرونك، قالَ: ضعوا لي ماءً في المخضب، وهو المُغتَسلُ، ففعلنا، فاغتسلَ فذهبَ، وهو ينوءُ[1]، فأُغميَ عليه، ثم أفاقَ، فقالَ: أصلى الناسُ؟ قلنا: لا . يا رسولَ اللهِ، فاغتسلَ فذهبَ ينوءُ فأُغميَ عليه، ثم أفاقَ، فقالَ: أصلى الناسُ؟ قلنا: لا. يا رسولَ اللهِ، فاغتسلَ فذهبَ ينوءُ فأُغميَ عليه ثالثةً، فأرسلَ إلى أبي بكرٍ أن يصليَ بالناسِ، فصلى أبوبكرٍ الصديقُ تلك الأيامُ سبعةَ عشرَ صلاة في حياتِه(ﷺ) وقبلَ يومين وجدَ خفةً فخرجَ بين رجلين لصلاةِ الظهرِ، وأبو بكرٍ يصلي بالناسِ، وقبلَ يومٍ مِنَ الوفاةِ أعتقَ النبيُّ (ﷺ) غِلمانَه، وتصدقَ بما عنده.

وكانت دِرعُه(ﷺ) مرهونةً عندَ يهوديٍّ بثلاثين صاعًا من شعيرٍ، وفي آخرِ يومٍ من حياتِه (ﷺ) في صلاةِ الفجرِ كشفَ رسولُ اللهِ(ﷺ) سترَ حجرةِ عائشةَ، فنظرَ إلى أصحابِه وهم صفوفٌ، ثم تبسمَ فنكصَ أبوبكرٍ على عقبيه، وظنَّ أنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) يريدُ أن يخرجَ إلى الصلاةِ وهمَّ المسلمون أن يُفتنوا في صلاتِهم فرحًا برسولِ اللهِ(ﷺ) فأشارَ إليهم بيده أن أتموا صلاتَكم، ثم دخلَ الحجرةَ، وأرخى السترَ، ولما ارتفع الضحى دعا النبيُّ (ﷺ) ابنتَه فاطمةَ، فسارَها بشيءٍ، فبكت ثم دعاءها فسارَها بشيءٍ فضحكت؛ قالت عائشةُ: فسألناها عن ذلك فيما بعد فقالت: سارني النبيُّ (ﷺ) أنَّه يقبضُ في وجعِه فبكت؛ ثم سارني فأخبرني أني أوَّلُ أهلِه يتبعُه فضحكت.

ورأت فاطمةُ الكربَ الشديدَ الذي يتغشى أباها، فقالت: وا كرب أباه، فقالَ لها: " ليسَ على أبيك كربٌ بعدَ اليومِ، وبدأَ الاحتضارُ ودقائقُ النهايةِ فأسندته عائشةُ (رضيَ اللهُ عن أبيها وعنها) إليها، وكانت تقولُ: إنَّ من نعمِ اللهِ عليَّ أنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) تُوفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري؛ ودخلَ عليه عبدُالرحمنِ بن أبي بكرٍ، وبيده السواكُ،

(١) ينوء: يثقلُ مِنَ الجهدِ والمشقةِ والتعبِ .

فأخذَ ينظرُ إليه فعرفتُ أنَّه يحبُ السواكَ، فقلت: آخذُ لك؟ فأشارَ برأسِه أن نعم، فليَّنته له، فأمرَّه على أسنانه وبين يديه ركوةٌ فيها ماءٌ، فجعلَ يدخلُ يديه في الماءِ فيمسحُ بها وجهَه، ويقولُ: " لا إلهَ إلا اللّهُ إنَّ للموتِ سكراتٍ اللهم هوِّن عليَّ سكراتِ الموتِ" فرفعَ يدَه وشخصَ بصرُه نحوَ السقفِ وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشةُ، وهو يقولُ: " مع الذين أنعمت عليهم مِنَ النبين والصديقين والشهداءِ والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيقِ الأعلى".

إنا للّه وإنا إليه راجعون. ماتَ إمامُ المرسلين، ذهب مأوى المساكين رحلَ قبلةُ الطالبين، انتقلَ سيدُ السالكين، قضى قرةُ عينِ العارفين، تقطعَّ خيطُ السماءِ، غادرَ العطوفُ الشفوقُ.

وما فقدَ الماضون مثلُ محمدٍ ولا مثلُه حتى القيامةِ يُفْقَدُ

وقعَ هذا الحادثُ الأليمُ حين اشتدت الضحى من يومِ الإثنين الثاني عشر من ربيعٍ الأولِ مِن السنةِ الحاديةَ عشرَ مِن الهجرةِ، وقد تمَّ له (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ثلاثٌ وستون سنةً وزادت أربعةُ أيامٍ، وتسرَّبَ النبأُ الفادحُ، وأظلمت على المدينةِ أرجاؤُها وأفاقهُا، وضجَّتْ بالبكاءِ، وطاشتِ العقولُ، وعَمَّت الحَيرةُ وأغلقت القلوبُ بدمعِها المصبوبِ، وليس لعينٍ لم يفض ماؤُها عذرٌ، أمَّا فاطمةُ بنتُ محمدٍ (صلى اللّهُ عليه وآلِه وسلمَ) فكانت تقولُ: يا أبتاه أجابَ ربًّا دعاه. يا أبتاه إلى جنةِ الفردوسِ مأواه، أمَّا الفاروقُ فأذهلَه الخبرُ عن صوابِه، وتوعدَ وأشهرَ سيفَه، أمَّا عثمانُ فأعجمَ عنِ الكلامِ، أمَّا عليٌّ فلم يُطقِ الوقوفَ على قدميه، وأمَّا عبدُ اللّهِ بنُ أُنيسٍ فأصابَه همٌّ وغمٌّ حتى ذابَ جسدُه ثم ماتَ بعد ثلاثةِ أيامٍ.

أمَّا أبو بكرٍ فكشفَ عن رسولِ اللّه (ﷺ) وقبَّله، وقالَ: بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللّه طبت حيًّا وميتًا، والذي نفسي بيدِه لا يذيقُك اللّه الموتتين أبدًا، ثم خرجَ (رضيَ اللّهُ عنه) إلى الناسِ، وقد غمرتهم الأحزانُ، ورأى

عمرَ وهو مذهولٌ واقفٌ، والدموعُ سجالٌ على خديه، فقالَ له: اجلس يا عمرُ فأبى، ثم قالَ له: اجلس يا عمرُ فأبى، ثم قالَ له: اجلس يا عمرُ فأبى. فصعدَ الصديقُ المنبرَ، وقالَ: مَن كانَ يُعبدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد ماتَ، ومن كانَ يُعبدُ اللّهَ فإنَّ اللّهَ حيٌّ لا يموتُ، ثم تلا قولَه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[1].

معذرون صاحبةُ رسولِ اللّه (ﷺ) فقد فقدوا الدفءَ والحنانَ الذي يلجأون إليَه، فقدوا الحريصَ عليهم الرؤوفَ الرحيمَ . إنَّ الخطبَ أليمٌ، والمصيبةُ عظيمةٌ فقد كانَ (صلى اللّهُ عليه وآلِه وسلمَ) كلَّ شيءٍ في حياتِهم، قد كانَ حاكمَهم وحبيبَهم وأباهم وأخاهم وقائدَهم ومنقذَهم وهاديَهم؛ فقدوا ذلك كلَّه في ساعةٍ من نهارٍ وللّهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ.

فجديرٌ بالمسلمين أن يعتبروا، وأن يتعظوا بمجرياتِ هذا الحدثِ العظيمِ، وأن يجددوا العهدَ مع اللّهِ ورسولِه(ﷺ) الطاهرِ الزكيِّ.

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين وقائدِ الغرِّ المحجلين الميامين.

(١) سورة آل عمران الآية: ١٤٤ .

الخطبةُ الثانيةُ والخمسون

الكلمةُ وأثارُها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي احتجبَ عن الأبصارِ فلا تراه يقظةً ولا منامًا، ولن تُدركَه سرًّا ولا عيانًا، امتلأت قلوبُ عارفيه به إيمانًا، الحيُّ الباقي، فلا يزولُ ولا يتفانا، السميعُ البصيرُ فهو يسمعُنا ويرانا، سبحانهَ حذَّرَ مِنَ المعيةِ العمياءِ وأوجبَ عليها وبالًا، وعلى الاستهتارِ والهزلِ ذلًا وهوانًا، فكانَ نبيُّه الصادقُ الأمينُ (ﷺ) المثلَ الأعلى في الجدِ والحزمِ، فما كانت حياتُه تقليدًا ولا خبالًا، نحمدُه على ما منحنا وأولانا، ونشكرُه وكيف لا نشكرُ مولانا؟ ونشهدُ له بالوحدانيةِ سرًا وإعلانًا، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه وشجرةُ الكفرِ قد فرَّعت أغصانًا، فقطعَها بمنجلِ مجاهدتِه وزرعَ مِنَ الحقائقِ بستانًا (ﷺ) وعلى أصحابِه الذين كانوا أنصارًا له على الحقِ وأعوانًا ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾[1] وعلى التابعين ما علت الورقُ منابرَ الورقِ ورجَّعت ألحانًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

الدنيا دارُ الآفاتِ والمحنِ، كم غرَّت غِرًّا وما فطن، أرته ظاهَرها والظاهرُ حسنٌ، فلمَّا فتحَ عينَ الفكرِ منَ رُقادِ الوسنِ قال رب ارجعون ولن . كيف وقد عصى مولاه في السرِ والعلنِ، وارتكبَ المعاصيَ مغترًّا بخضراءِ الدمنِ، وهكذا جاءَهُ الموتُ فأزعجَه عن الوطنِ، وألقاه في حفرةٍ ليس له من مالِه إلا الكفنُ، فهل مِن عودةٍ يا صاحِ إلى اللّه قبلَ الصفرةِ من حزنٍ، والحشرِ في النيرانِ وما بها من الأهوالِ والفتنِ، فحينها تاللّه لا تنفعُ ليت ولات ولو أن، وليس هناك من معينٍ أبدًا وإلا فقله مَنْ؟

---

(١) سورة الحجر الآية: ٤٧ .

أهلَ التوحيدِ

إني أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ جلَّ وعلا: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[1] ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[2] ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[3] ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[4]

عبادَ اللهِ

انتبهوا بحذرٍ لهذه التحليلاتِ الكيميائيةِ الخطيرةِ، لو أردنا أن نحوِّلَ جبلًا شامخًا إلى كُوْمةِ ترابٍ فإننا نقومُ باستخدامِ أحماضٍ كيميائيةٍ بحيث يصبحُ ذلك الجبلُ الشامخُ فتاتًا مِنَ الترابِ، أجل. إنَّ ذلك الجبلُ لم يقوَ على مجابهةِ تلك الأحماضِ فستسلم خاضعًا لتأثيراتِها.

وإنَّ هناك أحماضًا حساسةً تذيبُ شخصيةَ الإنسانِ وتصرفَها كيفما تشاءُ، إنَّها أحماضٌ كثيرةٌ، ومنها حمضُ الكلمةِ فهو أشدُّ قوةً وتأثيرًا مِن أيِّ مادةٍ كيمائيةٍ وأيِّ حمضٍ آخر خذوا مثلًا: لمَّا أسلمَ جبارُ بنُ سلمى سألَه أحدُ المسلمين: كيف أسلمتَ يا جبارُ؟ وكنتَ مِن أشدِّ أعداءِ الإسلامِ آذيتَ اللهَ ورسولَه (ﷺ) معروفًا بغلظتِك على المسلمين، فقالَ له: إنَّ قصتي أني هاجمتُ رجلًا مِنَ المسلمين، فطعنتُه طعنةً في جوفِه نفذت من جانبٍ آخرَ، فكانتِ القاضيةُ عليه، ورأيتُ الدَّمَ يفورُ مِن جسدِه، ولم يبكِ ولم يحزن بل قالَ وهو يلفظُ نفسَه الأخيرَ: (فزتُ وربِّ الكعبةِ)، فتعجبتُ من هذه الكلماتِ، وأخذت تتفاعلُ في صدري، كيف (فزتُ وربِّ الكعبةِ)، كيف

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٨ .

(٢) سورة النساء الآية: ٧٧.

(٣) سورة النساء الآية: ١٣١ .

(٤) سورة الزمر الآية: ٦١ .

فازَ هاجمتُه فقتلتُه! كيف فازَ وهو على وشكِ الموتِ! كيف فازَ وقد تركَ أولادَه أيتامًا! كيف فازَ وقد صارَ زوجُه أرملةً! كيف فازَ وقد فقد الحياةَ ونعيمَها ولذائذَها ومآكلَها ومشاربَها، فدخلت في الإسلامِ بهذه الكلماتِ (فزتُ وربِّ الكعبةِ)، فقد علمت أنَّه فازَ بلقاءِ اللهِ وجنةٍ عاليةٍ، وأمَّا الدنيا بكلِّ ما فيها لا قيمةَ لها عندَ اللهِ ما لم يحكمها الإيمانُ.

أيُّها الأشرافُ

إنَّ القرآنَ الكريمَ صرَّحَ بالتفاعلِ الذي تصنعُه الكلمةُ، فقد جاءَ في التنزيلِ عن ربِّ العالمين ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[1] وفي السنةِ الغراءِ على صاحبِها (أفضلُ الصلاةِ والسلامِ): " الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ "، وقد ساقَ نبلاءُ العربيةِ حكمًا وأشعارًا، فقالوا: " رُبَّ كلمةٍ قالت لصاحبِها دعني "، وقالَ حكيمُهم: (الصمتُ عن غيرِ الصوابِ صوابٌ)، وفي نظمِهم:

ما إن ندمتُ على سكوتي مرةً ... فلقد ندمتُ على الكلامِ مرارًا

أيُّها المؤمنون

إذاً فالكلماتُ لها تفاعلٌ غريبٌ في النفسِ البشريةِ، وهي لا تخرجُ عن طريقين هما: كلمةٌ طيبةٌ وكلمةٌ خبيثةٌ؛ ولكلِّ طريقٍ مِن هذين تفاعلٌ.

وقد ظهرت في عالمِ شبابِ اليومِ كلماتٌ كثيرةٌ وعباراتٌ تستشري في ثوانٍ مع تقدمِ تقنياتِ التواصلِ الحديثِ، ومع كثرةِ هذه الكلماتِ التي تحتاجُ إلى تحليلٍ عميقٍ لنتعرفَ على ما يدورُ في نفوسِ شبابِنا وبناتِنا،

---

(١) سورة إبراهيم الآيات: ٢٤ - ٢٦ .

نقتصرُ على عبارةٍ واحدةٍ فقط، هي عبارةٌ يتناقلُها الفتيانُ والفتياتُ، ويعلقُها بعضُهم على حديدِ سيارتِهم، إنَّها عبارةٌ وصلت بينهم إلى حدِّ الغثيانِ، إنَّها عبارةٌ لا يدري المنبرُ كيف يقولُها؟ واللغةُ العربيةُ تتربصُ متابعةً ما نقولُ وقواعدُ النحوِ لا تسمحُ بمجاوزةِ حدودِها، وللخروجِ مِنَ اعتراضِ اللغةِ العربيةِ نستأذنُ النَّحوَ عميدَها الذي سمحَ باستخدامِ العبارةِ في دائرةٍ حمراءَ لماعةٍ، هل تعلمون ما هي العبارةُ أيُّها الموحدون إنَّها: (عب أوَّل عادي).

أيُّها الجيل

نريدُ أن نعرفَ منكم ما الذي كانَ عاديًّا في الزمنِ الأولِ.

هل الزنا فقد كانَ عاديًّا في قومِ لوطٍ ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ هل تريدون التعاملَ بالزنا؟! أم تريدون الشركَ فقد كانَ عاديًّا في قومِ نوحٍ؟! أم تريدون البطرَ والغرورَ فقد كانَ عاديًّا في قومِ صالحٍ؟! أم تريدون البَخسَ والفسادَ في الأرضِ فقد كانَ عاديًّا في قومِ شعيبٍ؟! أم تقصدون قذفَ الأوائلِ آبائِكم وأجدادِكم الذين عاشوا في هذا الوطنِ العظيمِ، وتتهمونهم بأنَّ كلَّ شيءٍ كانَ عاديًّا مباحًا عندهم فليسَ حرامٌ ولا ممنوعٌ ولو كانَ في معصيةِ اللهِ .

ثانيًا: تحفيظُ الأطفالِ لهذه العبارةِ وأمثالِها هو بدايةُ الانهيارِ الأخلاقيِّ في تربيةِ الطفلِ، الطفلُ لا يُنشّئُ على سفاسفِ الكلامِ، الطفلُ يعلَّمُ (ربي اللهُ ونبي محمدٌ، وديني الإسلامُ، الطفلُ يعلمُ الشهادتين، الطفلُ يدرَّسُ بُنيَ الإسلامُ على خمسٍ، الطفلُ يلقنُ البسملةَ والسبعَ المثاني، الطفلُ يُحفَّظُ حروفَ الهجاءِ والإعرابِ.

إخواني في اللّه

إنَّ هذه العبارةَ خطيرةٌ جدًّا، ولها مغازٍ وأبعادٌ كثيرةٌ .

أولًا: تدلُ على انتشارِ مرضِ التقليدِ والمعيةِ وتعطيلِ القوى العقليةِ والفكريةِ، وكلٌ نصيبٍ من الذكاءِ والقدرةِ في أصلِ العبارةِ الداعي إلى ذلك، وفي نشرِها وتداولِها تقليدٌ آخرُ ومعيةٌ.

ثانيًا: أنكرَ الحقُ تعالى التقليدَ الأعمى، فقالَ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1].

ثالثًا: هذه العبارةُ يبثُّها ضعفاءُ النفوسِ لإغراءِ الفتيانِ والفتياتِ لرتكابِ المحرماتِ وممارسةِ الفحشاءِ تحت ذريعةِ أنَّ هذا الفعلَ كانَ عاديًّا في الزمنِ الأولِ.

رابعًا: إنَّ العبارةَ تدلُ قطعًا أنَّ كثيرًا مِن شبابِنا يعاني مِن أزمةِ توجيهٍ وإرشادٍ، فهو لا يزالُ يعيشُ في فترةِ الهزلِ وعدمِ الجديةِ والحزمِ، وهو مناقضٌ لما كانَ عليه المصطفى (ﷺ) وما أمرَ به، فقد كانَ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ يمثِّلُ الجدَ والمثابرةَ في جميعِ مظاهرِ حياتِه، وفي كلامِه وحركاتِه كان إذا تكلَّمَ كنذيرِ جيشٍ، وإذا مشى كأنَّما يتقلعُ مِن صخرٍ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[2].

وأستغفرُ اللّهَ العظيمَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

(١) سورة المائدة الآية: ١٠٤ .

(٢) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

الحمدُ للّٰه حمدًا كثيرًا كما أمرَ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه ما اتصلت عينٌ بنظرٍ وأذنٌ بخبرٍ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيها الذين آمنوا أمَّا بعدُ فيا أيُّها الجيلُ

ما ذكرَ المنبرُ إلا عبارةً واحدةً، وهي لا تساوي شيئًا في جنبِ العللِ والأسقامِ والموبقاتِ التي لا يوجدُ لها نظيرٌ في كثيرٍ من القرون الماضيةِ فخذوا حِذرَكم، ولا تكونوا مقلدين لكلِّ ناعقٍ، ولا تعطلوا عقولَكم، واعتزوا بشخصيةِ الإسلامِ، وحفظوها مِنَ الذوبان والانحلالِ ولا تبهركم هذه البهرجةُ الخادعةُ والمدنيةُ الزائفةُ، ولا يحتقرنَّ أحدُكم دينَه وعقيدتَه وقيمَه، وحذروا الكلماتِ الفضفاضةَ التي تدعو الى الرذيلةِ، وكونوا مع اللّٰهِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1].

عبادَ اللّٰه هذه رسالةٌ مقدمةٌ مِن بعضِ أولياءِ الأمورِ والمدرساتِ والفتياتِ يقدمن فيها شكوى من بعضِ شبابِنا الذين غلبت عليهم الشِّقوةُ ـ هداهم اللّٰهُ ـ مِنَ التربصِ بهن عند خروجهن من مدارسهن بدرجاتِهم الناريةِ وسيارتِهم ومحاولةِ إلقاءِ أرقامِ هواتفِهم والحديثُ معهن ومضايقتهن، فيا وزارةَ التربيةِ والتعليمِ بيدكِ حلولٌ كثيرةٌ، ونحسبُ أنَّ الأمرَ غيرُ غائبٍ عنكم. ويا أيُّها المجتمعُ المسلمُ هذه قضيةٌ نضعُها بين يديك فانظر في الأمرِ وامتثل أمرَ اللّٰهِ ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[2].

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٨.

(٢) سورة التوبة الآية: ٧١.

الخطبةُ الثالثةُ والخمسون

الأسوةُ والمحبةُ لرسولِ اللّه (ﷺ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي أعانَ بفضلِه الأقدامَ السالكةَ، وأنقذَ برحمتِه النفوسَ السائمةَ بعثَ محمدًا(ﷺ) بالرحمةِ وتجليةِ الكُربِ المظلمةِ الهالكةِ، ذمَّ الدنيا وأعلمَ أنَّ سيوفَ غدرِها باتكةٌ، وأعرضَ عن أهلِها إلا العصبةَ الناسكةَ، وكيف يُسكَنُ إليها ونوقُ الرحيلِ باركةٌ، فالعملَ العملَ على تقوى خديجةَ وعائشةَ لا على انبساطِ المُرفَّهاتِ حُبَابةَ وبُورانَ وعاتكةَ[1] سَعِد مَن على نهجِ طه تصبَّرَ، ورضيَ بوصفِ أشعثَ أغبرَ وجاءته الدنيا بزخرفِها فأدبرَ ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾[2]، أحمدُه على الأمورِ اللذيذةِ والشائكةِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ شهادةً للحَزنِ سالبةٌ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه شهادةً للخيرِ جالبةٌ، وللشرِ سالبةٌ، اللهم صلِ وسلم على محمدٍ صلواتٌ وتسليماتٌ متداركةٌ، وعلى الخليفتينِ الصديقِ والفاروقِ، وعلى بقيةِ الصحابةِ الذين هم أناروا الظُلم الحالكةَ؛ أمَّا بعدُ:

فيا بني آدم

اعتبروا بالسابقين مِنَ الآباءِ والأمهاتِ والأقربين، وتفكروا في الراحلين، فلعلَ القلبَ القاسيَ يلينُ، وصبوا الدمعَ على أنفسكم قبلَ الحلولِ في رمسكم في بيتِ الترابِ ومراتعِ الدودِ في بيتِ الوَحشةِ والغربةِ، في بيتِ الهوامِ والظلامِ؛ فواعجبًا لمن رأى فعلَ الموتِ بصحبِه وسكنَ الإيمانُ في قلبِه؛ كيف باتَ مغرورًا وغافلًا على جنبِه وذاهلًا عن عيبِه وناسيًا جزاءَه على جرمِه وذنبِه ومعرضًا عن ربِّه إلى أربِه ؟! وكأني به قد سُقي كأسَ

---

(١) حُبَابَة وبُوران وعاتكة: مغنياتٌ مشهوراتٌ في دولةِ بني أميةَ.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ١٠٣ .

حمامٍ يَضِجُّ مِن شربِه، وأفردَه الموتُ عن أهلِه وسربِه، ونقلَه إلى قبرٍ بعيدٍ عن أخلائِه وصحبِه، فيا ذا اللبِّ جُز على قبرِه وقف متعظًا به.

فيا أيُّها الناسُ

جفَّ اليراعُ ، وكلَّت الألسنُ من وعظِكم بمصيركم، وكفى بالقرآن رادعًا، وبالحديثِ مذكرًا، وبالموتِ واعظًا فردعوا هوىً متبعًا، فإنَّما تندمون إذا غصَّت تراقيكم، ولاتَ ساعةَ مندمٍ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾[2] ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾[3]

أصحابَ القلوبِ المؤمنةِ

مَن القدوةُ؟! مَنْ اسمُ استفهامٍ يُستفهَمُ بها عن العاقلِ تقضي جوابًا محررًا مكتوبًا أولًا وتطبيقيًا عمليًا ثانيًا .

ربَّما إذا نشرَنا عليكم أوراقًا للإجابةِ المحررةِ المكتوبةِ لتفاوتت إجابتُكم بينَ درجةِ الامتيازِ والتفوقِ إلى درجةِ العنايةِ والضعفِ، وأصعبُ الامتحانين التطبيقيُّ العمليُّ فإنَّ جمعًا غفيرًا مِنَ الأمةِ المسلمةِ يحررون كلاماً يخالفونه فعلًا وتطبيقا، وقدِ انتقدَ الرحمنُ الرحيمُ على المؤمنين بهذا الخصوصِ، فقالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾[4] وإذا كانتِ الإجاباتُ المحررةُ والمطبقةُ مختلفةٌ تمامًا (فكلُّ إناءٍ بما فيه يرشحُ) بل ربَّما تكونُ

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .
(٢) سورة النساء الآية: ١ .
(٣) سورة الزمر الآية: ١٨ .
(٤) سورة الصف الآيات: ٢ - ٣ .

متناقضةً، فتكونُ النتيجةُ مِنَ الإجاباتِ: (كمبتغي الصيدَ في عرينةِ الأسدِ)[1]، فالتربيةُ والعاطفةُ والبيئةُ والمستوى العلميُّ وغيرُها لها دورٌ في تحديدِ مسارِ الإجاباتِ والتطبيقِ.

ولكن دعوا كلَّ هذا فلسنا بحاجةٍ إليه، وهلموا بألبابِكم نحددُ الإجابةَ الدقيقةَ لنحصلَ على درجةِ الامتيازِ، مَنِ القدوةُ؟

أيْ عبادَ اللهِ

هناك عبدٌ مِن عبادِ اللهِ أحاطت به العنايةُ الإلهيةُ والقبولُ الرحمانيُّ في نفسه والحياةِ التي كان يعيشُها، وشملت أخلاقَه وأعاداتِه وسننَه وطُرقَ معيشتِه، اختارَ المولى أخلاقَه مِن بينِ أخلاقِ الناسِ وعاداتِه مِن بينِ العاداتِ الكثيرةِ التي تعوَّدَها الناسُ حتى إذا سلكَ واديًا وفجًا، وسلكَ الناسُ واديًا وفجًا، كانَ واديه وفجُّه أحبَّ إلى اللهِ من وادي الناسِ وفجِّهم، إنَّه عبدٌ إن قلدناه واعتصمنا بسيرتِه واتخذناها دثارًا وشعارًا، وتشبهنا به كانَ فعلُنا أقربَ الأسبابِ وأقربَ الطرقِ وأيسرَها لجلبِ محبةِ اللهِ والإيمان، إنَّه عبدٌ وصلَ إلى حدودِ الكمالِ البشريِّ، فالمتشبهُ بغيرِ الحبيبِ بعيضٌ للهِ والحبيبِ ونفسِه

أيُّها المؤمنون

إنَّ الاقتداءَ بمحمدٍ(ﷺ) في سمعِه وبصرِه وحركاتِه وسكناتِه وأمرِه ونهيِه ومصعدِه ومنحدرِه وعباداتِه؛ والتشبهِ به أصلٌ مِنَ الأصولِ الإيمانيةِ وقانونٌ لا يتبدلُ ولا يتغيرُ على مرِّ الزمانِ واختلافِ المكانِ، وأصبحتِ الدعوةُ إليه عامةً وعلانيةً، قالَ المصطفى(ﷺ): " لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِه وولدِه والناسِ أجمعين"، وقد أعلنَ اللهُ تعالى ذلك على لسانِ خاتمِ النبين(ﷺ)، فقالَ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

(١) مثلٌ يضربُ للرجلِ يُخطئُ في طلبِ الحاجةِ في غيرِ موضعِها .

﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[1] وبالعكسِ مِن ذلك كانَ مجردُ الميلِ إلى الظالمين والتشبه بأصحابِ النفوسِ المريضةِ وإيثارِ طريقتِهم والسيرِ بسيرِهم جالبًا لسخطِ اللهِ والبعدِ عنه، قالَ البرُّ الكريمُ في محكمِ الذكرِ الحكيم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[2].

أيُّها الخلفُ الصالحُ

إنَّ محبةَ الرسولِ (ﷺ) ليست كلامًا منثورًا ومنظومًا، ولا عاطفةً متقلبةً بل واقعًا عمليًا وتطبيقًا سلوكيًا ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[3]، وللهِ درُّ الشاعرِ حينَ قالَ:

إن كانَ حبُّك صادقًا لأطعتَه ... إنَّ المحبَ لمن يحبُ مطيعُ

وقد ضربَ أصحابُ رسولِ اللهِ(ﷺ)أروعَ الأمثلةِ في الحبِّ العمليِّ التطبيقيِّ، فهاكم مِن أخبارِهم: الصحابيُ عبدُ اللهِ (رضيَ اللهُ عنه وأرضاه) سَمِعَ أنَّ والدَه عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ زعيمَ المنافقين وأميرَ المجاهرين للهِ ورسولِه(ﷺ)قالَ: لئن رجعنا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُ منها الأذلَ، ويقصدُ بالأعزِ: نفسَه، وبالأذلِ: رسولَ اللهِ (ﷺ) بأبي وأمي أنت يا رسولَ اللهِ، بل أنت يا ابنَ أُبيٍّ المدحورُ الأذلُ؛ ورسولُ اللهِ (ﷺ) الشرفُ المنيفُ الأعزُ، فلما قَدِموا المدينةَ، قامَ عبدُ اللهِ على بابِها بالسيفِ لأبيه، ثم قالَ: أنت القائلُ:(لئن رجعنا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَ؟) أمَا واللهِ لتعرفنَّ العزةَ لك أو لرسولِ اللهِ(ﷺ)؟ واللهِ لا يأويك ظلُّه ولا

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٣١ .
(٢) سورة هود الآية: ١١٣ .
(٣) سورة الأحزاب الآية: ٢١ .

تأويه أبدًا إلا بإذن مِنَ اللّه ورسولِه ولم يسمح له بالدخولِ حتى أرسلَ إليه رسولُ اللّه (ﷺ) يأمرُه بأن يخليَ سبيلَه.

ومرَّ رسولُ اللّه(ﷺ) بعبدِ اللّه بنِ أُبيٍّ زعيمِ المنافقين، وهو في ظلِّ أُطُمٍ - بناءٍ مرتفعٍ - فقالَ ابنُ سلولٍ: غبَّرَ علينا ابنُ أبي كبشةَ - وأبو كبشةَ هذا هو زوجُ حليمةَ السعديةِ مُرضعةِ الرسولِ(ﷺ)، وذلكَ مِن بابِ التنقُّصِ - فقالَ ابنُهُ عبدُ اللّه: يا رسولَ اللّه، والذي أكرَمكَ، لئِن شِئتَ، لآتِينَّك برأسِه! فقالَ(ﷺ): "لا . ولكن برَّ أباكَ، وأحسِن صُحبتَه".

وأتى عبدُ اللّه بنُ رواحةَ - رضيَ اللّهُ عنهُ - النبيَّ (ﷺ) ذاتَ يومٍ، وهو يَخطبُ، فسمعَهُ وهوَ يقولُ: اجلسوا، فجلسَ مكانَهُ خارجًا عنِ المسجدِ حتى فرغَ النبيُّ (ﷺ) مِن خطبتِهِ، فبلغَ ذلكَ النبيَّ(ﷺ)، فقالَ لهُ: "زادكَ اللّهُ حرصًا على طواعيةِ اللّهِ وطواعيةِ رسولِهِ".

(فرضيَ اللّهُ عنهم وأرضاهم وجعلَ الجنةَ مستقرَهم ومأوهم وحشرنا معهم) آمين.

أيُّها المؤمنون

خرجَ عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضيَ اللّهُ عنه ـ للاستسقاءِ، فلم يَزد على الاستغفارِ، فقيلَ له في ذلك؟ فقالَ: (لقد طلبتُ الغيثَ بمجاديحِ السماءِ التي يُستنزلُ بها المطرُ) فأكثروا من الإنابةِ والاستغفارِ.

★★★

الحمدُ للّه الذي بعثَ في الأميينَ رسولًا منهم يَتلوى عليهم آياتِه ويزكيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ؛ والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِ محمدٍ وسائرِ أصحابِه أجمعين؛ أمَّا بعدُ:

قالَ أنسُ بنُ مالكٍ: جاءَ رجلٌ مِن أهلِ الباديةِ إلى النبيِّ (ﷺ) فقالَ سائلًا: متى الساعةُ؟ فقالَ له النبيُّ(ﷺ): وما أعددت لها؟ قالَ: لا شيءَ

إلا أني أحبُّ اللهَ ورسولَه، فقالَ له (ﷺ): " أنت مع من أحببتَ"، وقولُ الأعرابيِّ: لا شيءَ . أرادَ تقليلَ ما قامَ به مع عظمِ الجزاءِ والعرصاتِ والأهوالِ التي تتواترُ بقيامِ الساعةِ، فمحبةُ النبيِّ تكونُ بالتأسي به والامتثالِ لأمرِه والدفاعِ عنه؛ ولذلك كلِّه استطاعَ السلفُ الصالحُ مِنَ الصحابةِ المهديين أن يضعوا رؤوسَهم على أكفِّهم وراحاتِهم وهانت عليهم الحياةُ؛ ولذلك استطاعوا أن يقولوا عندَ معركةِ بدرٍ الكُبرى: (إنَّ أمرنا تبعٌ لأمرِك فو اللهِ لئن سرتَ حتى تبلغَ بَرْكَ الغِمادِ ــ أي أقصى المعمورِ مِنَ الأرضِ ـ لنسيرنَّ معك، واللهِ لئن استعرضتَ بنا هذا البحرَ خضناه معك).

يا أيتُها الأمةُ المسلمةُ

إن أردتِ العزةَ والسؤددَ والكرامةَ والقوةَ الحقيقيةَ فزيدي مِن جرعِ دراسةِ سيرةِ الرسولِ(ﷺ) والعنايةِ بها، فإنَّها مكمنُ القوةِ الضاربةِ، ولا عاقبةَ لغيرِها إلا الذلَ والهوانَ والإخفاقَ الذريعَ.

أيُّها الجيلُ المؤمنُ

ولا سيما إخواني الشبابُ ـ حفظَهم اللهُ ووفقَهم للاستقامةِ والاقتداءِ بنبيِّهم الكريمِ (ﷺ) أقولُ لكم: لتعلموا أنَّ مصيرَكم في الدارين مربوطٌ بتقليدِ النبيِّ الكريمِ محمدٍ(ﷺ) واتباعِه والانقيادِ له والتمسكِ بأهدابِه والسيرِ في ركبِه؛ فلا تفلحُ أمةٌ ولا فردٌ مِن أفرادِها مهما أُوتيت مِنَ الحولِ والطولِ والذكاءِ والوسائلِ إلا بقدرِ اقتدائِها ومحبتِها لهذا النبيِّ الكريمِ (ﷺ).

ومَن تكن برسولِ اللهِ نصرتُه ... إن تلقَهُ الأسدُ في آكامِها تَجِم

ألا وصلوا وسلموا على النبيِّ المجتبى، كما أمرَكم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا.

الخطبةُ الرابعةُ والخمسون

الفجوةُ والجفوةُ بينَ الإسلامِ والمسلمينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ رافعِ الأمةِ بالقرآن وظلِّه، ومحذرِها مِنَ الزورِ والركون إلى منازلِه ومعابدِ غلِّه، قاهرِ المتجبرِ ومذلِّه، ورافعِ المتواضعِ ومُجلِّه، القريبِ مِن عبدِه فهو أقربُ مِن ظلِّه، هو عندَ المنكسرِ لأجلِه حالَ ذُلِّه، لا يعزبُ عن سمعِه وقعُ المطرِ في أضعفِ طَلِّه، ولا بغامُ ظبيِ البرِّ وكشيشُ صلِه، ولا يغيبُ عن بصرِه في الدجى دبيبُ نملِه، رفعَ مَن شاءَ بإعزازِه كما حطَّ مَن شاءَ بذلِه، اختارَ محمدًا مِنَ الخلقِ بالهدى ودينِ الحقِ ليظهرَه على الدينِ كلِّه، أحمدُه على أجلِ الإنعامِ وأقلِّه، وأشهدُ بوحَدانيتِه شهادةَ مصدقٍ قولَه بفعلِه، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه لنقضِ الكفرِ وحلِّه (ﷺ) وعلى أصحابِه وأتباعِه الجامعين للإسلامِ شملةَ شملِه.

يا ربِّ وفقنا للهدى، وعصمنا من أسبابِ الجهلِ والردى، وسلِّمنا مِن آفاتِ النفوسِ، فإنَّها سرُّ العِدا، يا ربِّ وفقنا لقولِ الحقِ واتباعِه وثبتنا على الأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عن المنكرِ في زمنٍ قلَّ فيه الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عَنِ المنكرِ، فأنكرنا على مَن صدعَ بالحقِ، في زمنِ المحابةِ والمجاملةِ لأهلِ الرئاسةِ والمناصبِ، في زمنِ الإسلامِ الصوريِّ الشكليِّ.

يا ربِّ هيأ لنا زعامةً تقومُ بحقِ الإسلامِ ولا تجعلْ لفاجرٍ وفاسقٍ علينا يدًا، وجعلنا مِنَ المتقينَ الأبرارِ، الذين إن مكنتهم في الأرضِ أقاموا الصلاةَ، وآتوا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونهوا عنِ المنكرِ، آمين.

أيُّها المسلمون

عجلةٌ أو مركبةٌ رُكِّبَ فيها فرسٌ في الأمامِ ورُكِّبَ فيها فرسٌ في الوراءِ وكلاهما قريبان، فكما أنَّ هذه العجلةَ مِنَ المعقولِ جدًّا أن يكونَ رُكَّابُها في حَيْرَةٌ من أمرِهم بل حَيْرَةٌ لا تعدلُها حَيْرَةٌ، مركبةٌ تقادُ مِنَ الأمامِ، ومِنَ الخلفِ هذا يجرُّها إلى الأمامِ، وهذا يجرُّها إلى الخلفِ.

إنَّ هذه الحَيْرَةَ تصدقُ على واقعِنا ـ معاشرَ المسلمين ـ فهناك فجٌّ عميقٌ بينَ الإسلامِ التطبيقيِّ والمسلمين، وكان يجبُ أن يكونَ الإسلامُ ممثلًا في كلِّ دولةٍ من دولِ الإسلامِ، وفي كلِّ فردٍ مسلمٍ، فإذا سألنا سائلٌ أين يُطبقُ الإسلامُ؟ قلنا: زر ما شئتَ من دولِ الإسلامِ، فالإسلامُ بحذافيرِه يطبقُ في جميعِها، وإن قيلَ لنا: ما هو الإسلامُ؟ أشرنا بكلِ سهولةٍ إلى مسلمٍ واثقين بأنَّه يفسِّرُ الإسلامَ تفسيرًا صحيحًا، ويطبقُه تطبيقًا دقيقًا، هكذا كانَ المسلمون في الصدرِ الأولِ، يقولُ اللهُ ـ تباركَ وتعالى فيهم ـ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾[1] فمعَ خصوصِ سببِ الآيةِ الكريمةِ في حادثةِ الإفكِ، ولكنَّها تكشفُ منهاجَ حياةٍ كانوا يطبقونه، فهذه ثقةُ المسلمِ بالمسلمِ الثقةُ التي لا نظيرَ لها في المجتمعِ البشريِّ، وفي تاريخِ الأخلاقِ وعلمِ النفسِ.

ولكن وقعت فجوةٌ وجفوةٌ بينَ الإسلامِ والمسلمين على مستوى الحكوماتِ وعلى مستوى المسلمين أفرادًا وجماعاتٍ، فقد يكونُ الإسلامُ في وادٍ والمسلمون في وادٍ، وقد لا تكونُ هناك قنطَرةٌ تصلُ بينهما، وقد أصبحنا بسببِ هذه الفجوةِ والجفوةِ الواقعةِ بين الإسلامِ والمسلمين حجةً على الإسلامِ والقرآن الكريمِ وسَبةً وعارًا لا عزًّا وفخرًا لأسلافِنا العظامِ وآبائِنا الكرامِ وعادتِنا وتقاليدِنا، يروى أنَّ أحدَ علماءِ الإسلامِ عندما رجعَ من زيارةِ أوروبا، قيلَ له: هل لك أملٌ في إسلامِ الأوربيين؟ قالَ:

---

(١) سورة النور الآية: ١٢ .

نعم . ولكن بشرطٍ واحدٍ، وهو أن نبرهنَ لهم على أننا لسنا مسلمين في الحقيقةِ، فإذا تحققَ عندهم أنَّ هؤلاء الذين هم يقيسون الإسلامَ بهم ليسوا مسلمين حقيقيين، وأنَّ دولَ الإسلامِ لا تمثلُ الإسلامَ الحقيقيَّ أقبلوا على الإسلامِ، وأقبلوا على دراستِه برغبةٍ وشغفٍ وحبٍّ وتقديرٍ .

أيُّها الموحدون

إنَّ المسافةَ قد شسعت بيننا وبينَ اللّه ورسولِه (صلى اللّهُ عليه وآلِه وسلمَ) فكثيرٌ من مظاهرِ حياتِنا وسلوكِنا وأخلاقِنا لا تتفقُ مع البعثةِ المحمديةِ ورسالتِها الجليةِ وأهدافِها النبيلةِ، بل تقعُ مع الأسفِ كثيرٌ من دولِ الإسلامِ ومن أهلِ الإسلامِ فريسةَ العاداتِ الجاهليةِ والثقافاتِ الباطلةِ يتسولونها منَ الشعوبِ الأوربيةِ، ويقلدون فيها الأممَ الجاهليةَ، ويتبعون سَنَنَ مَن كانَ قبلهم.

وركنت دولُ الإسلامِ وكثيرٌ من أبناءِ الإسلامِ إلى ما لم يكن يتصورُ في الزمنِ السابقِ من عبادةِ النفسِ والشهواتِ والشيطانِ والمالِ والجاهِ والحاكمِ، فتدفقت البدعُ في دولِ الإسلامِ وكثرَ الهرجُ والمرجُ، وسادتِ المُحْدَثاتُ في الدينِ حتى ظننا أنَّها منَ الإسلامِ أو لا بأسَ بها في فكرِ الإسلامِ، ومما زادَ الطينَ بلةٌ أنَّ هذه المفاسدَ لم تجدِ الناصحين الآمرين بالمعروفِ والناهين عنِ المنكرِ إلا النزرَ الذي لا يغيِّرُ لم تجد شبابًا تشربت نفوسُهم بالحميةِ الصديقيةِ والغضبةِ العُمَريةِ، فكتفينا بقولِ اليائسِ المُسلِّمِ بالواقعِ بحلوِه ومرِّه.

إن كانَ فيكَ يا زمانُ بقيةٌ مما يُهانُ بها الكرامُ فهاتِها

بارِكَ اللّهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلت وأستغفرُ اللّه لي ولكم إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

حمدًا لله وصلاةً وسلامًا على رسولِ اللهِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أحبابَ رسولِ اللهِ (ﷺ)

إنَّ على الأمةِ الإسلاميةِ عمومًا وكلِّ فردٍ من أفرادِها خصوصًا أن تـآمرَ بالمعروفِ، وتنهى عن المنكرِ، وأن تكونَ يدًا واحدةً على كلِّ ظالمٍ، وأن تكـفَّ هذا الصمتَ والمحابةَ والتمجيدَ والتقديسَ لمن يكونُ سببًا لإقصاءِ الإسـلامِ وتهميشِه عنِ الحياةِ والغَـرَقِ في أوحـالِ الماديـاتِ واسـتهلاكِ أمـوالِ الأمـةِ المسلمةِ في غيرِ مصبِّها الـذي يخـدمُها وإلا فلترتقـبِ العقوبـاتِ مـن محـقِ البركاتِ والأرزاقِ والبلايا والأمـراضِ والفيضـاناتِ والأعاصـيرِ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾[1] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[2].

أيُّها المؤمنون

يقولُ المولى عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3] ومِن منطلقِ هذه الأُخـوةِ، فإننا نباركُ للأمةِ الإسلاميةِ عامـةً وللشـعبِ الليـبيِّ المـؤمنِ خاصـةً لمقتـلِ عقيدِ الضلالِ الطاغيةِ الذي حكمَ أربعةَ عقودٍ مِنَ الزمنِ بالحديدِ والنـارِ، فهنيئًا بهذا النصرِ المبينِ، وعلى حكَّامِنا أن يعتـبروا، وأن يأخـذوا المـواعظَ والدروسَ، وليعلموا أنَّ البُعدَ عن منهجِ اللهِ ورسـولِه(ﷺ) وإغـراقَ شـعوبِهم باللهوِ والمجونِ والتوافهِ وعدمَ سياسةِ الحكمِ بالعـدلِ وإصـدارَ التشـريعاتِ الجائرةِ التي تضيِّقُ عليهم الرأيَ والفكرَ والكلمةَ هو سببٌ لانهيارِ حكمِهم ولعاناتِ شعوبِهم عليهم، وفي الآخرةِ عقـابٌ أليـمٌ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾[4].

ألا وصلوا وسلموا على المصطفى، كما أمركم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا.

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٥١.

(٢) سورة المائدة الآية: ٧٩.

(٣) سورة الحجرات الآية: ١٠.

(٤) سورة النمل الآية: ٨٥.

الخطبةُ الخامسةُ والخمسون

استغلالُ الوقتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ مستحقِ الحمدِ وأهلِه، خالقِ الوقتِ وأمسِه ويومِه، وواجدِ الفرعِ وأصلِه، منشئِ الكائناتِ بفعلِه، ومبينِ الهدى بإيضاحِ سُبُلِه، فضَّلَ نبيَّنا بالقرآنِ فزادَ على الرُّسلِ مِن قبلِه، وتحدَّى به المكذبين فخرسَ كلُّ ذي جهلٍ عن جهلِه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴿٢٣﴾﴾[1]، أحمدُه على صعبِ القدرِ وسهلِه، وأشكرُه على قليلِ عطائِه وجزلِه، وأُقرُّ بوحَدانيتِه متفيأً في حمى الصدقِ وظلِّه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ مَن قالَها طابَ نفسًا، وشدَّ يدًا لدمِه ومالِه وعرضِه، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي ختمَ به الأنبياءَ، فبتَّ كلَّ حبلٍ غيرِ حبلِه (ﷺ) وعلى صاحبِه أبي بكرٍ الصديقِ مزعجِ المعتدين بسيفِ عزمِه قبلَ سلِّه، وعلى عمرَ الفاروقِ الذي كانَ الشيطانُ يَفرقُ من صوتِ نَعْلِه، وعلى سائرِ آلِه وأصحابِه الذين جعلَ كلٌّ منهم طاعةَ اللّٰهِ أعظمَ شُغلِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

ليس الأسفُ على دنيا آخرُها الفوتُ والخرابُ، ولا على أحوالٍ نهايتُها التحولُ والانقلابُ، ولا على حطامٍ حلالُه حسابٌ وحرامُه عقابٌ، ولا على أعمارٍ يَتمنى المرءُ طولَها، فإذا طالت مُلَّت، ولا على أماكنَ كلما امتلأت بأهلِها أقفرت عنهم وتخلَّت، إنَّما الأسفُ على ليالٍ تنقضي على فُرُشِ الغفلاتِ، وعلى أيامٍ تمضي في اتباعِ الشهواتِ، وعلى أوقاتٍ تنطوي على

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٣ .

عثراتٍ وهفواتٍ، وعلى أنفاسٍ لا قيمةَ لها تذهبُ ثم لا ترجعُ، وعلى نفوسٍ يناديها لسانُ الشَّتاتِ، وهي لا تقلعُ وعلى خطايا محسوبٌ صغيرُها وكبيرُها، وقلوبٌ غافلةٌ، وقد جاءَ نذيرُها وأعوامٌ سريعٌ مرورُها وشهورٌ كثيرٌ كرورُها؛ فيا حسرةَ من ذهبت أيامُه سَبَهْلَلًا، ويا ندامةَ مَن خرجت روحُه مِن جسدِه وما قدَّمَ لما يقربُه مِنَ الجنةِ عملًا يا لها حسرةٌ لا تنقضي أبدَ الآبادِ وندامةً لا ينقطعُ كمدُها يومَ التنادِ، فاستيقظوا ـ رحمكم الله ـ وإياي فالعبرُ بمرأى منكم ومسمعٍ، وطالما ناداكم لسانُ الزواجرِ فأسمع. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1].

يا أيُّها الذين آمنوا

إنَّ الحياةَ التي قدَّرَها اللهُ لكلِ فردٍ مِن بني البشرِ حياةٌ قصيرةٌ، أمدُها معدودٌ وأيامُها وساعاتُها ولحظاتُها تنقضي سريعاً، وتذهبُ عجلى، ونحن نجري سراعًا إلى آجالِنا التي قدَّرَها اللهُ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١﴾[2].

ولَّما كانَ العُمُر محدودًا لا زيادةَ فيه ولا نقصَ، ولَّما كانَ كلُّ يومٍ يذهبُ لا يعودُ، ولما كانت كلُّ لحظةٍ تنقضي لا يَجْبُرُها الإنسانُ ولو دفعَ فيها كلَّ ما يملكُه مِن مالٍ لكانَ حتمًا على كلِّ عاقلٍ أن يعقدَ صداقةً بينه وبينَ الزمنِ، فيستفيدَ منه ويعمرَه بما يعودُ عليه بالنفعِ في هذه الدارِ وبينَ يدي ربِّه، ولو نظرنا إلى الذين تركوا في الدنيا آثارًا صالحةً ولو تفحصنا قائمةَ رجالاتِ التاريخِ الإسلاميِّ الذين استطاعوا الخلودَ بمبادئِهم وتفكيرِهم لوجدناهم جماعةً عَرفوا للزمنِ قيمتَه وللوقتِ حقَه، وإذا توسعنا إلى الحضارةِ الإنسانيةِ والأممِ الكافرةِ نجدُها قامت على غُنمِ

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

(٢) سورة النحل الآية: ٦١.

الزمنِ والاستفادةِ مِنَ الوقتِ أقصى حدودِ الاستفادةِ قامتِ الحضارةُ على تقديسِ الوقتِ.

فليستِ الآلةُ إلا لتوفرَ للإنسان مزيدًا مِنَ الإنتاجِ في وقتٍ قصيرٍ كيف يستطيعُ المحراثُ في زمنٍ قصيرٍ أن يَشقَ الأرضَ؟ وكيف يستطيعُ أن يتصلَ الفردُ بمَن يريدُ الاتصالَ به في أسرعِ وقتٍ، وأقصرَ مما كانَ يتطلبُه مِن قبل حتى وصلنا بالإذاعةِ والتلفزةِ والأقمارِ الصناعيةِ لسرعةِ البثِ؟ وصُنعت السيارةُ والطائرةُ والفُلكُ ليستفيدَ الإنسانُ من وقتِه وحياتِه استفادةً أبلغَ، بل إنَّ الإنسانَ قد قبلَ الأخطارَ التي قد تلحقُه في سبيلِ غُنمِ الوقتِ.

أيُّها الموحدون الأبرارُ

إننا نشعرُ بروحِ العنايةِ بالوقتِ في الرعيلِ الأولِ، كما نجدُ ذلك في عددٍ مِنَ الحضاراتِ الإنسانيةِ والأممِ الكافرةِ، وفي مقابلِ ذلك نجدُ في عصرِنا هذا التخبطَ والفوضى قد أطلت من جميعِ الشُّرفاتِ، ويتصدرُ هذا التخبطَ والفوضى الاستهانةُ بالوقتِ والتبذيرُ لرأسِ المالِ الحقيقيِّ، والقتلُ لأغلا السلعِ وأثمنها، فقد طفت على جسدِ الأمةِ الإسلاميةِ أجيالٌ فقدتِ السيطرةَ على وقتِها، وتبخرت مِن نفوسِها فريضةُ المحافظةِ على الوقتِ للّه وفي سبيلِ اللّه، وكلّت العزائمُ، وخارتِ الهممُ، وتقلصتِ المكتباتُ وأُقصِيَ الكتابُ والقراءةُ والقلمُ وحلّت الفوضى بدلًا عن التنظيمِ، والاستهتارُ بدلًا عن الجِد، بل بلغتِ العبثيةُ بالوقتِ وعدمِ المبالاةِ به ذروةَ السنامِ عندَ بعضِ المنتسبين للإسلامِ حتى في أماكنَ يقولُ الحقُ فيها:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، وفي المدارسِ انتقلتِ العبثيةُ بالوقتِ والاعتمادُ

(١) سورة النور الآية: ٣٦، ٣٧ .

على الشكلياتِ دونَ المضمون، وأصبحَ المجتمعُ المسلمُ من رأسِ هرمِه إلى أرجلِه يرى لذةً في قولِه: (الوقتُ طويلٌ وأشعرُ بالملل فلنقصرِ الوقتَ)، وظهرت من جراء ذلك آفاتٌ يَجِفُّ المدادُ ويَضيقُ فراغُ القِرطاسِ مِن حصرِها، ويَنْشَفُ الرِّيقُ مِن عدِّها، فمعَ البطالةِ وإهدارِ الوقتِ تبختَرت عباءةُ ضعفِ الإيمان ونقصِه واختلالِه، بل ونضوبِه أحيانًا ما بين عدمِ مبالاةٍ بالصلاةِ والعبادةِ واتباعِ الشهواتِ وكسلٍ في تلاوةِ القرآن العظيم وحفظِه وإهمالٍ للدعاءِ والذكرِ، وتبعت هذه الصنائعَ الأمراضُ الباطنيةُ مِن أرقٍ وخوفٍ وانطواءٍ على الذاتِ والأمراضُ النفسيةُ والتشنجاتُ العصبيةُ وموتُ الشخصيةِ.

وتفشت في المجتمعاتِ المسلمةِ أمراضُ الكسلِ العقليِّ والكسلِ البدنيِّ، وطفحت أمراضٌ عصيةٌ اجتماعيًا، فكثيرٌ مِنَ الانحرافاتِ هي وليدةُ البطالةِ والاستخفافِ بالوقتِ، وأولُها اللغوُ والاشتغالُ بالآخرين، اشتغالُ النَّقدِ البغيضِ والحسدِ الدفينِ القاتلِ وتمزيقِ الأعراضِ والقيلِ والقالِ .

وتمركزت عندَ عددٍ مخيفٍ من أبناءِ الجيلِ جلساتُ السَّمرِ والسهراتِ وارتيادِ مطاعمِ الضلالِ المبينِ شيشةٍ وتبغٍ ودخانٍ ومتابعةِ لأفلامِ الشيطانِ وحزبِه وحلقاتٍ تؤدي إلى الانحرافاتِ المزمنةِ الخطيرةِ، نجدُها جاثمةً على بيوتاتِ كثيرٍ مِنَ المسلمين.

ومعَ البطالةِ ودمارِ الوقتِ ظهرت أجيالٌ لا تفقهُ مِنَ الواقعِ إلا القشورَ تمتلئُ معدتُها صباحَ مساءَ، بينما العقولُ والقلوبُ جوفاءُ، ويعززُ ذلك انحطاطٌ فكريٌّ، وضمورٌ ثقافيٌّ يَغشاهُ موجٌ مِن فوقِه موجٌ مِن فوقِه سحابٌ، ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، إذا أخرجَ يدَه لم يكد يراها.

ومع حَرقِ الوقتِ ظهرت شبيبةٌ ليس لديها حصافةٌ، ولا تملكُ إلا فتاتًا هزيلًا مِنَ الثقافةِ المخلوطةِ، وليس لديها نظرةٌ للواقعِ ولا تطلعٌ للمستقبلِ، وبهذا الجهلِ الضاربِ المركَّزِ والغيابِ العامِ للثقافةِ الراشدةِ بسببِ عدمِ فهمِنا لشرفِ الزمنِ وقيمةِ الوقتِ حدثت خلخلةٌ لأساساتِ المجتمعِ،

وطفحتِ التقاليدُ الجاهليةُ العمياءُ في البُنيةِ العامةِ للمجتمعاتِ الإسلاميةِ عمومًا من فوقِها وتحتِها ويمينِها وشمالِها وأمامِها وخلفِها؛ تتمثلُ في الناحيةِ السياسةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والإداريةِ؛ فإذًا لا عجبَ أن نجدَ نضوبَ ينابيعِ العلمِ وندرةِ العلماءِ والمفكرين والتصحرَ الواسعَ يومًا بعدَ يومٍ للأخلاقِ والقيمِ والعاداتِ والتقاليدِ، إذا وجدنا الأجيالَ تقولُ: على الوقتِ التحيةُ والسلامُ .

اللهم إنَّا نسألُك صلاحَ الساعاتِ والبركةَ في الأوقاتِ، اللهم لا تدعنا في غمرةٍ ولا تأخذنا على غِرةٍ، ولا تجعلنا مِنَ الغافلين، واستغفروا اللّٰه أيَّها المؤمنون إنَّ ربَّكم بَرٌّ كريمٌ غفورٌ رحيمٌ.

★★★

الحمدُ للّٰه، نصرَ عبدَه وأنجزَ وعدَه وأعزَ جندَه وهزمَ الأحزابَ وحدَه؛ والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه وأصحابِه وأتباعِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الجيلُ المؤمنُ

الوقتُ كنزٌ ثمينٌ، فمَن صرفَه في غيرِ فائدةٍ كانَ كمَن أحرقَ ورقةَ نقدٍ غاليةَ القيمةِ، بل هو تبديدٌ لرأسِ المالِ الحقيقيِّ، وتبديدٌ للحياةِ ذاتِها ولرسالتِها الكُبرى وخسرانٌ مبينٌ لثمارِها وعوائدِها؛ وقد حرصَ ديننُا الحنيفُ على الوقتِ بمفهومِ الخصوصِ فقيَّدَ العباداتِ كافةً به ففي فريضةِ الصلاةِ، يقولُ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾﴾[1] وعن الصومِ يقولُ سبحانَه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾[2] وبمفهومِ العمومِ نزلت سورةٌ كريمةٌ لو تدبرَها المسلمون، وعَمِلوا بها لكفتهم، وهي: ﴿بِسۡمِ

(١) سورة النساء الآية: ١٠٣.
(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٧.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾[1] ، وفي سنةِ المختارِ ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ: "نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ الناسِ الصحةُ والفراغُ"، وقالَ ـ صلواتُ ربي وتسليماتُه عليه ـ: "لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ عن عُمُرِه: فيم أفناه وعن شبابِه فيم أبلاه، وعن مالِه من أين اكتسبه وفيم أنفقَه، وعن علمِه ماذا عَمِلَ به"، وكانَ عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ (رضيَ اللّٰهُ عنه) يقولُ: "إنَّ الليلَ والنهارَ يعملان فيك فاعمل فيهما".

فيا أيُّها المسلمون ويا شبابَ الإسلامِ

اعملوا بما في كتابِ ربِّكم وسُنةِ نبيِّكم (ﷺ) وسيرةِ السلفِ الصالحِ في المحافظةِ على الوقتِ لا تبذروا أوقاتَكم في اللهوِ واللعبِ والطيشِ والعبثيةِ؛ اغتنموا الساعاتِ في الطاعاتِ، افهموا واقعَكم، أكثروا من تثقيفِ أنفسكم، تفطنوا لقضايا أمتِكم الإسلاميةِ والمجتمعِ، انفتحوا وتابعوا المتُغيراتِ سياسيةً واقتصاديةً واجتماعيةً، وسيروا وقمرٌ لكم .

دقاتُ قلبِ المرءِ قائِلةٌ لهُ ... إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثواني

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

(١) سورة العصر كاملة .

الخطبةُ السادسةُ والخمسون

مكانةُ المرأةِ في الإسلامِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي تسبحُ له البحارُ الطوافحُ، والسحبُ السوافحُ، والأبصارُ الطوامحُ، والأفكارُ والقرائحُ، الرازقُ للصالحِ والطالحِ، العالمُ بما أضمرته الجوانحُ، المتعالي عن الضدِ المكادحِ الذي أهلكَ كَنْعان، فلم ينفعه أبوه نوحٌ مع أنَّه مِن أولي العزمِ المؤيدين النواصحِ كلا. ولا . ولن ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[1] سبحانه القائلُ في تنزيلِه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[2] فللهِ فيها للنساءِ نهيٌّ جليٌّ واضحٌ، وعطفُ تعليلٍ شاهرٌ فاضحٌ، وقالَ في نورِه: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٣٣﴾﴾[3] فللحاكمِ العدلِ لنساءِ المؤمنين أمرٌ ونهيٌّ رافعٌ صالحٌ.

نحمدُه على تسهيلِ المصالحِ ، ونشكرُه على سترِ القبائحِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أفضلُ غادٍ ورائحٍ (ﷺ) وعلى صاحبِه أبي بكرٍ ذي الفضلِ الراجحِ، وعلى عمرَ البحرِ الخضمِّ الطافحِ وعلى جميعِ آلِه وأصحابِه ذي الرأيِ السديدِ والعملِ الصالحِ؛ أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناسُ

استيقظوا ـ رحمكم اللّٰهُ ـ بقوارعِ العبرِ وتدبروا مواعظَ الكتابِ فإنهن صوادقُ الخبرِ، وتفكروا في حوادثِ الأيامِ، فإنَّ فيها المزدجرَ، وتأملوا دَوْرَ الزمانِ عصرًا فعصرًا، أيامٌ تتلو أيامًا، وشهرٌ يتلو شهرًا، وسنةٌ تجيءُ

---

(١) سورة هود الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٢.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.

قادمةً، وتذهبُ أُخرى، وأوقاتٌ تُطوى، وحياةٌ قصيرةٌ تَفنى، فاحذروا هذه الدنيا المضلةَ، واعلموا أنَّ مَن تكثَّرَ منها لم يزدد مِنَ اللهِ إلا قلةً، فتزودوا منها التقوى فإنَّها خيرُ زادٍ ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] ألا وإنَّكم في أولِ شهورِ العامِ وغرةِ الشهرِ المباركِ الحرامِ، فاجعلوا سنَتكم هذه خيرًا مِن الفائتةِ، ومستقبلَكم خيرًا من ماضيكم، واصطلحوا مع الرحمنِ الرحيمِ، وتوبوا إلى اللهِ جميعًا - أيُّها المؤمنون - لعلكم تفلحون.

أيُّها المسلمون

لا ريبَ إنَّ العالمَ قائمٌ على فلسفاتٍ تتناقضُ مع روحِ الإسلامِ ومقوماتِ رسالتِه، وهذه الفلسفاتُ تدفقت على ديارِ الإسلامِ ومكَّنتها شرجاتٌ[2] كثيرةٌ؛ منها مسلمون في قلوبِهم شكٌ ومرضٌ وأفكارٌ علمانيةٌ ورجالٌ هم مسلمون؛ يُخرِّبون من حيث لا يشعرون ويشعرون، لرتباك ثقافتِهم وتدهورِ أُفقِهم الفكريِّ، وهشاشةِ نقدِهم حتى ظهرت أفكارٌ خطيرةٌ تتصدى لكلِّ مَن يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ، بأنَّ ذلك تدخلٌ فيما لا يعني، ومِن قائلٍ: الخطيبُ الفلانيُّ لا يُؤمَنُ مِنَ الصلاةِ خلفَه لأنَّه في منبرِه يصرِّحُ بالقذفِ والبهتان، ومِن متكلمٍ: إنَّ الشيخَ زيدًا والواعظَ بكراً مِن مثالبِه كذا، وسوءِ أخلاقِه كذا، وتصبحُ الكتابةُ في مواقعِ الحاسبِ حجًا لكلِّ مَن أرادَ أن يخففَ عن نفسِه الحقدَ والحسدَ والبغضاءَ وما تُخفي صدورُهم أكبرُ، وفي مقابلِ ذلك نجدُ المنكراتِ والرذائلَ تتمكنُ وبُعدَ الشقةِ عن الإسلامِ تزدادُ وانحرافَ أغلبِ وسائلِ الإعلامِ قد تكشفت سحبُها حتى صبَّت مفاسدَها مع انحرافٍ مشاهدٍ للأجيالِ مِن البنينَ والبناتِ وضعفِ الإدارةِ البيتيةِ. وهَلُمَّ جرًّا .

وكلُّ هذا التناقضِ الفكريِّ يسحقُنا إلى المهامِه والأغوارِ المخيفةِ ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٧.

(٢) شرجات: مسيلُ الماءِ مِنَ الهضابِ والجبالِ ونحوِها إلى السهلِ .

أيُّها الموحدون

إنَّ من القضايا الخطيرةِ المهمةِ في هذا الزمان قضيةَ المرأةِ، هذه القضيةُ الخطيرةُ التي تحتاجُ إلى عرضٍ متجددٍ مركزٍ لأنَّها اتخذت مطيةً وغرضًا من أعداءِ الإسلامِ يبثون من خلالِها شبهَهم، وينشرون أباطيلَهم وسمومَهم في غفلةٍ وتدهورٍ فكريٍّ في كثيرٍ من المسلمين.

إخوةَ الإيمان

لقد جاءَ الإسلامُ، والمرأةُ مهضومةُ الحقوقِ مهيضةُ الجَناحِ مسلوبةُ الكرامةِ مهانةٌ مزدراةٌ محلُ التشاؤمِ وسوءِ المعاملةِ، معدودةٌ من سَقَطِ المتاعِ، لا تملكُ ولا ترثُ بل تُقتلُ وتؤدُ بلا ذنبٍ ولا جريرةٍ، فلمَّا جاءَ الإسلامُ بحكمتِه وعدلِه رفعَ مكانتَها، وأعلى شأنَها، وأعادَ لها كرامتَها، وألغى مسالكَ الجاهليةِ نحوَها، وجعلها جوهرةً مصونةً ودرةً مكنونةً؛ وقد ذكرَها اللهُ في كتابِه الكريمِ معَ الرجلِ في أكثرِ من موضعٍ يقولُ سبحانه: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[1] ويقولُ جلَّ شأنُه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾[2] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[3] وحذَّرَ من كرهِها، فقالَ تباركَ وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾[4] وأمرَ بمعاشرتِها بالمعروفِ، وتسريحِها بإحسانٍ، وفي السنةِ على صاحبِها ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ: " خيارُكم خيارُكم لنسائِهم"، وقالَ(ﷺ): "خيرُكم

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٥.
(٢) سورة النساء الآية: ١٢٤.
(٣) سورة النحل الآية: ٩٧.
(٤) سورة النساء الآية: ١٩.

خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي"، المرأةُ هي أمُّنا، وهي زوجُنا وأختُنا وبنتُنا وخالتُنا وعمتُنا؛ ومكانتُها غاليةٌ في قلوبِنا، فمَن حاولَ إنكارَ ذلك كمَن أنكرَ وجودَه أو أنكرَ النهارَ في ظهيرتِه.

أحبابَ رسولِ اللّه(ﷺ)

ولما كانتِ المرأةُ بهذه المكانةِ الشامخةِ فإنَّ الإسلامَ منعَها مِنَ التبرجِ والسفورِ والتهتكِ والاختلاطِ، وأمرَها بالطهرِ والعفافِ والحشمةِ؛ قال الحليمُ الرشيدُ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴿٣٣﴾﴾[1] وقالَ جلَّ شأنُه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[2] وكلُّ ذلك يصبُّ في صالحِ المرأةِ وكرامتِها ومكانتِها وصيانةِ المجتمعِ المسلمِ والمحافظةِ عليه.

ومع كلِّ هذا التكريمِ الذي قررَه القرآنُ الكريمُ وقررته سنةُ سيدِ المرسلين(ﷺ) أبت دولُ الإسلامِ إلا أن تناديَ بأبواقِ الغربِ الماكرةِ، فصارت دعوةُ حقوقِ المرأةِ والمساواةِ بين الرجلِ والمرأةِ؛ تتردد في بلادِنا صدى لما يقولُه الغربيون، وهذه الدعوى صحيحةٌ، إذ أنَّ المقصودَ بها التساوي في الكرامةِ والاحترامِ، والإسلامُ يقرُّ هذه المساوةَ بهذا المعنى، فالإسلامُ يأمرُ الرجلَ برعايةِ زوجِه، وهو المسؤولُ عن القوامةِ الزوجيةِ والإنفاقِ عليها وعلى أولادِه؛ كما يؤمرُ باحترامِ أمِّه ورعايةِ بناتِه، أمَّا المساواةُ بمعنى التطابقِ، فهي تخالفُ الواقعَ، وهي ظُلمٌ يُمارسُ ضدَ المرأةِ، وهي كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ يقصدُ بها تحسينُ الاختلاطِ تمهيدًا للإباحيةِ وقلةِ الحياءِ.

أيُّها الأحبةُ في اللّه

مِنَ المؤسفِ حقًا أن نقولَ بأنَّ قضيةَ تحريرِ المرأةِ والمساواةِ والحقوقِ الهدفُ منها تخريبُ المرأةِ المسلمةِ والبيتِ المسلمِ، نعم . المرأةُ يمكنُ أن تساهمَ في بناءِ المجتمعِ بل يجبُ عليها من خلالِ بيتِها وتكوينِ الأجيالِ

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.
(٢) سورة الأحزاب الآية: ٥٩.

النافعةِ أو في أعمالٍ محدودةٍ كمهنةِ التعليمِ والصحةِ وبعضِ المهنِ المتعلقةِ بالشؤونِ النسائيةِ، أمَّا أن يكونَ عملُ المرأةِ ذريعةً لتقويضِ روحِ الإسلامِ ونصوصِه، فهذا ما لا يرضى به الإسلامُ، فمَن الغريبِ أن تجدَ إعلانًا لعملٍ يطلبُ محاسبةً وليس محاسبًا، ويطلبُ مهندسةً ميكانيكيةً لا مهندسًا، وبلغَ الحالُ في بعضِ المؤسساتِ الرسميةِ في بعضِ دولِ الإسلامِ أن تقدمَ الفتياتُ الفطورَ وطعامَ الغداءِ والعشاءَ للشبابِ والرجالِ، ومما يزيدُ الأمرَ سوءًا أن تقدمَ مؤسسةٌ شرعيةٌ في حفلتِها على جعلِ الفتياتِ مَن تقدِّمُ الطعامَ لطلابِ دراساتٍ شرعيةٍ أو في مؤتمراتِها وندواتِها الإسلامية، وقد بلغَ السيلُ الزُّبى في بعضِ دولِ الإسلامِ أن يزجَ بالمرأةِ المسكينةِ في أعمالٍ لا قدرةَ لها فيها، ولا تتناسبُ مع فطرتِها في القواتِ المسلحةِ والشرطةِ، وأن تنزلَ مِنَ المضلياتِ في وقتٍ نجدُ عددًا مِن دولِ الغربِ لا تسمحُ للمرأةِ بالدخولِ في القواتِ المسلحةِ، ولا يُسمَحُ لها أن تقتربَ مِنَ المراكزِ القياديةِ إلا في حالاتٍ استثنائيةٍ، ونجدُ في بعضِ دولِ الإسلامِ مَن يهتمُ بالفتياتِ والنساءِ أكثر من الفتيانِ والشبابِ حتى أصبحَ مِنَ السهلِ على الفتاةِ أن تجدَ عملًا رسميًا بينما نجدُ الشابَ المسكينَ لا يبلغُه إلا بشقِ الأنفسِ، فأحسنَ اللهُ عزاءَ أمةِ الإسلامِ على حالِها، ذهبتِ الغيرةُ، ماتتِ الشهامةُ، انحلتِ الرجولةُ، ذابتِ النخوةُ، سادتِ النساءُ على الرجالِ .

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافِهم وبقيتُ في جلدٍ كجلدِ الأجربِ

واستغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه إنَّ ربي رحيمٌ ودودٌ.

★★★

الحمدُ للهِ حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً مِن عندِه وعلى آلِه وصحبِه مِن بعدِه، أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الموحدون الأبرارُ

تطالعُنا المجلاتُ والجرائدُ المحليةُ السيارةُ ببعضِ الكتاباتِ النكرةِ، وكانَ قد نُشرَ مقالٌ لكاتبٍ جعلَ عنترةُ زمانه نفسَه، وأنَّه أزكنُ مِن إياس[1]، وما أكثرَ العناترةَ في ذا الزمان، قالَ في مقالِه: لماذا لا نثقُ في المرأةِ أن تكونَ والية، وقالَ آخرُ: قاضية، وهل لا زلنا نشككُ في كفاءةِ المرأةِ وقدرتِها يجبُ أن نرتفعَ إلى هذا السقفِ أم نخافُ الانتقادَ من بعضِ المنغلقين، وكذا وكذا من شِنْشِنة أخزم، والجوابُ:

لو كلَّ كلبٍ عوى ألقمتهُ حجرًا ... لأصبحَ الصخرُ مثقالًا بدينارِ

فيا حسرةً عليك وعلى أمثالِك ابكِ على نفسِك إن كانَ مبلغُ فكرِك هذا وإلا فتباكى.

أولًا: للمرأةِ أعمالٌ ووظائفُ محدودةٌ، أمَّا بقيةُ الوظائفِ، فيجبُ أن تكونَ الأولويةُ للرجالِ إذا تساوت المؤهلاتُ، فالرجلُ هو قوامُ المجتمعِ، وهو المطالبُ شرعًا وعرفًا وقانونًا بالإنفاقِ على الأسرةِ وبحفظِ أعمدةِ المجتمعِ؛ والمرأةُ غيرُ مطالبةٍ بالإنفاقِ على أحدٍ بموجبِ الشرعِ والعرفِ والقانون، وهي الدرجةُ المعنيةُ بقولِه تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[2]، فوضعُ المرأةِ في الأماكنِ الصعبةِ التي لا يتحملُها إلا الرجالُ هو ظلمٌ كبيرٌ للرجلِ وظلمٌ للمرأةِ وظلمٌ للمجتمعِ عامةً.

ثانيًا: ربُّ العزةِ والجلالِ لم يبعث مِنَ الأنبياءِ والمرسلين امرأةً واحدةً، وروىَ عن المصطفى(ﷺ) قولُه: " ما فلحَ قومٌ ولَّوا أمرَهم امرأةً "، وفي ذلك دلالةٌ على طبيعةِ المرأةِ وفطرتِها التي خلقَها اللهُ عليها، وأنَّها تغلبُ عليها

(١) هو إياسُ بنُ معاويةَ – قاضي البصرة – يُضربُ بهِ المثلُ في الفراسةِ والذكاءِ، ولهُ في ذلكَ أخبارٌ كثيرةٌ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٨.

العاطفةُ والحنانُ، فلو وليت وأعطيت من المناصبِ ما أعطيت، فهي ملازمةٌ لصفاتِها التي فطرَها اللهُ عليها، وأن شاهدتَها نصفُ شاهدةِ الرجلِ.

ثالثًا: المرأةُ ابتلاها اللهُ بالعادةِ الشهريةِ، فتمكثُ ثُلثَ الشهرِ أو أقلَ شبهَ مريضةٍ، وكذا المرأةُ تحملُ، هكذا خلقَها اللهُ، ويَستمرُ الحملُ معها تسعةَ أشهرٍ، فهل المرأةُ الحاملُ في وضعٍ صحيٍ طبيعيٍ؟! ثم ترضعُ وتهتمُ بطفلِها، أليسَ مِنَ الظلمِ لها أن يتناسى المجتمعُ فطرتَها وكلَّ ذلك فتُحمَّلُ ما لا تطيقُ؟!

رابعًا: الواقعُ يُثبتُ أن تمكينَ المرأةِ في كلِّ الوظائفِ بلا استثناءٍ، ولو على حسابِ شرفِها وعرضِها هو تنفيذٌ لمطالبِ الدولِ الغربيةِ التي تجدُ في بلادِ المسلمين تلامذةً نجباءَ لها مِنَ الحُكَّامِ والعملاءِ والمهندسين.

خامسًا: يا كُتَّابَ المقالاتِ إذا كنتم تريدون المرأةَ حاكمةً ووالية وقاضيةً، فما وظيفتُكم أنتم أيُّها الرجالُ؟! إنَّه عارٌ وشَنارٌ وعيبٌ أن تُكتبَ هذه المقالاتُ من مسلمٍ، وليضرب هؤلاءِ رؤوسَهم على جبلِ ثهلانَ ورُضوى أو أيِّ جبلٍ شاؤا، فإنَّ عزةَ المرأةِ ومكانتَها الأمومةُ البيتيةُ وتربيةُ الأسرةِ إلا فيما لا بُدَّ منه والاجتنابُ عنِ مخالطةِ الرجالِ الأجانب، وأن تصونَ عرضَها وعفتَها وشرفَها عن مخالطتِهم، وبالجملةِ فإنَّ الحديثَ ذو شجونٍ، وعلى الشبابِ المسلمِ المثقفِ الراشدِ أن يَسخرَ قلمَه ونفسَه للردِّ على كلِّ هذه الكتاباتِ المضللةِ للناسِ وقليلي المعرفةِ بكلِّ الوسائلِ المتاحةِ وفيما قلنا كفايةً، فمن لم ينفعه قليلُ الكلامِ ضرَّه كثيرُه ومِن اتبعَ هواه ما نفعَه كتابُ اللهِ.

وما كلَّ طولٍ في الكلامِ بطائلٍ ولا كلَّ مقصورِ الكلامِ قصيرُ

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .



الخطبةُ السابعةُ والخمسون

حوادثُ المرورِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي أحكمَ الأشياءَ كلَّها صُنعًا، وتصرَّفَ كما شاءَ إعطاءً ومنعًا، أنشأَ الأدَميَّ مِن ماءٍ فإذا هو يَسعى، وخلقَ له عينين ليبصرَ المسعى، ووهبَه روحًا تدبُّ في جسدِه وترعى، وأمرَه بالمحافظةِ عليها وأن يحسنَ فيها المرعى، وأنذرَه مِن هلاكِها في التنزيلِ تترى، سبحانَه والا علينا النِّعمَ وترًا وشفعًا، وأمرَنا بتوحيدِه المحضِ الخالصِ، فلا لاتَ ولا عُزَى ولا مناةَ الثالثةَ الأخرى، أحمدُه ما أرسلَ سحابًا وأنبتَ زرعًا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تقينا عذابًا نُكرًا، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أفضلُ نبيٍّ علَّمَه اللّٰهُ شرعًا (ﷺ) وعلى أصحابِه وآلِه الذين قطعَ اللّٰهُ بهم شأفةَ الكفرِ قطعًا؛ أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناسُ

يقولُ ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[1] هنيئًا ثم هنيئًا لَمن ساقته الملائكةُ سَوْقَ إعزازٍ وتشريفٍ وتكريمٍ إلى الجنةِ فما الجنةُ؟ إنَّها دارٌ فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، دارٌ لا يبلى شبابُها، ولا يفنى نعيمُها، ولا تنقطعُ صحتُها، لا صخبَ فيها ولا نصبَ، دارٌ يدخلُها أهلُها جُرْدًا مُردًا بيضًا مُكحلين في ريعان شبابِهم، تصوَّر نفسَك يا عبدَ اللّٰه أن يناديَ عليك مَلِكٌ مِن ملوكِ الدنيا، ويمنحُك جائزةً مِن أرضٍ أو مالٍ بسيطٍ، ما شعورُك؟

(١) سورة الزمر الآية: ٧٣.

بالتأكيدِ. فرحةٌ لا توصفُ ونشوةٌ تخالجُ حواسَك؟ فما بالُك؟ أن يناديَ عليك ملكُ الملوكِ خالقُك ورازقُك، ويقولُ: إنَّ عبدي فلانَ بنَ فلانٍ زُفُّوه إلى الجنةِ جزاءً لما قدَّمَه مِن أعمالٍ صالحةٍ، للجنةِ ثمانيةُ أبوابٍ، كثبانُها المسكُ وترابُها الزعفرانُ؛ وإنَّ أدنى مرتبةٍ في الجنةِ لمن ينظرُ إلى جنانه وزوجِه ونعيمِه وخدمِه وسُرُرِه مسيرةَ ألفِ سنة؛ وإنَّ موضعَ سوطِ أحدِكُم في الجنةِ خيرٌ مِنَ الدنيا وما فيها، وإنَّ بها أنهارًا من ماءٍ غيرِ آسنٍ وأنهارًا من لبنٍ لم يتغير طعمُه وأنهارًا من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهارًا من عسلٍ مصفى، يقودُ أهلُ الجنةِ هذه الأنهارَ حيث شاؤا، وفي أيِّ وقتٍ شاؤا، فذلك قولُه تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾[1]، إنَّ في الجنةِ حورًا بيضًا لهن جمالٌ تَرى الواحدةَ منهن من بياضِها ما بين عصبِها ولحمِها ودمِها ما لو أطلت واحدةٌ منهن على الدنيا لأضاءت ما بين مشرقِها ومغربِها، حورٌ مطهرةٌ مِنَ الحيضِ والنفاسِ، وكلِّ قذرٍ، فيا أبائي ويا إخواني ويا مَن يسمعونني: هل تفوِّتون هذا النعيمَ المقيمَ، وهذه السعادةَ الأبديةَ لحياةٍ قصيرةٍ ومتاعِ الدنيا الزائلِ تزهدوا من دنياكم لآخرتِكم، واتقوا اللهَ وأنفقوا خيرًا لأنفسِكم، تورعوا عنِ الحرامِ، وأكثروا مِنَ الصلاةِ والطاعاتِ لتلقوا غدًا الأحبةَ محمدًا وصحبَه ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣﴾[3].

أحبابَ المصطفى (ﷺ)

لطالما تكلمَ العلماءُ والمشايخُ والمربون عن موضوعٍ لا يزالُ حديثُهم تترددُ عبارتُه، وكم من خطباءٍ كرروا التذكيرَ والتنبيهَ والإرشادَ، وكم من جهاتٍ رسميةٍ تحدثت وأنذرت؟ وكم من إجراءاتٍ اتُخذت .

---

(١) سورة الإنسان الآية: ٦.
(٢) سورة الأنعام الآية: ٣٢ .
(٣) سورة مريم الآية: ٦٣.

ولكن لمن تقرأ زبورَك واعظًا بنصحِك يا داودُ والأُذنُ في وقر

إنَّه جهادٌ في غيرِ جهادٍ، وحربٌ في غيرِ معركةٍ، إنَّه لَحصادٌ للأرواحِ في كلِّ يومٍ وحين، إنَّه لبلاءٌ يتكررُ كلَّ يومٍ على أسماعِكم، ويشاهدُه بعضُكم بأمِّ أعينِهم، إنَّه تحطيمٌ لهبةِ اللهِ تعالى الغاليةِ الحياةِ ـ الروحِ ـ في طرقِ الموتِ وإفناءٍ لزهرةِ الحياةِ على شوارعِ الهلاكِ؛ فأصبحت شوارعُنا أشباحًا تروى منها الحكاياتُ الأليمةُ، والمآسي العظيمةُ، وكم مِن أرواحٍ أُزهقت بسببِ طيشِ الطائشين، ولعبِ المتلاعبين، واستهتارِ المستهترين، وكم مِن نساءٍ أبكارٍ في ريعانِ الحياةِ الزوجيةِ ترملت بلا ذنبٍ، وكم من أطفالٍ تيتموا بلا جرمٍ؟ وكم مِن شابٍ في العقدِ الثاني أو الثالثِ من عُمُرِه أُلقيَ جثةً هامدةً بينَ يدي أبيه الذي كانَ يَعْقِدُ عليه آمالًا، وأمُّه الضعيفةُ وزوجُه المسكينةُ التي كانت تنتظرُ عودتَه في شوقٍ لا مزيدَ عليه، ويُلقى الجثمانُ ثم لا يُسمَحُ لهم بفتحِ جثمانه لإلقاءِ نظرةِ الوداعِ الأخيرةِ، فقد تفحمت جمجمتُه ونشطرَ جسدُه، أو احترقَ في سيارتِه، وكم مِن شابٍ رهينَ بيتِه ملازماً لفراشِه، قد أصابَه الشللُ أو تجدُه قد فقد ذاكرتَه أو تجدُه على فراشِه يوسخُ ويبولُ، ويُلبسُ ما يلبسُه الأطفالُ، قد أتعبَ أباه وأمَّه وزوجَه، وكم من أموالٍ وممتلكاتٍ خربت، وكم من أهاتٍ وحسراتٍ في المشافي والبيوتِ زوروها واعتبروا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾[1] إننا نعيشُ في أسبوعٍ دامٍ شُيِّعَ العشراتُ إلى المقابرِ، والمصابون حدِّث ولا حرجَ .

أيُّها الجيلُ

مَن المسؤُول عن كلِّ ما يحدثُ هل الحكومةُ ؟ لا . الحكومةُ ليست مسؤولةً عن هذا الموتِ الأسودِ في الشوارعِ، فقد بذلت ما بوسعِها، وأدَّت مسؤولياتِها كاملةً، فالحقُ والحقَ أقول: الشوارعُ معبدةٌ، الأزدواجيةُ في أماكنِ الاختناقاتِ المروريةِ قائمةٌ على قدمٍ وساقٍ، التنبيهاتُ والإرشاداتُ تمتلئُ بها الشوارعُ، الإنارةُ في أغلبِ الشوارعِ متوفرةٌ، الجهودُ حثيثةٌ

(١) سورة الزمر الآية: ٩ .

متواترةٌ في هذا البابِ، وقد سعتِ الحكومةُ لتأمينِ الناسِ وتأمينِ أرواحِهم، فبُثت المراقباتُ للسرعةِ في الشوارعِ، وأقامت إشاراتِ المرورِ والجسورَ والتوسعاتِ، وكلُّ هذه الجهودِ تصبُّ في الصالحِ العامِ وصيانةِ الأرواحِ والحفاظِ عليها.

هل العلماءُ والخطباءُ والوعاظُ ووسائلُ الإعلامِ والموجهون هم المسؤلون؟ لا . العلماءُ قاموا بواجبِهم من إصدارِ الفتاوى والتوجيهاتِ، وهكذا الخطباءُ والوعَّاظُ ووسائلُ الإعلامِ، وقد صدرت الكتبُ و فتاوى حوادثِ المركباتِ، وآدابِ الطريقِ والمطوياتِ والأشرطةَ والندواتِ، كلُّ ذلك متوفرٌ.

هل الشرطةُ هي المسؤولةُ ؟ لا . الشرطةُ قامت بواجباتِها وأماناتِها.

أيُّها السادةُ الميامينُ

إذا كانَ هؤلاءِ جميعًا غيرَ مسؤولين، فما السببُ إذًا لوقفِ حربِ الطرقِ المستعرةِ، الجوابُ: تأملوا معي: شابٌ يسوقُ سيارتَه، وقد ركبَه الغرورُ، وغرَّته نفسُه الأمارةُ بالسوءِ، يسوقُ بسرعةٍ جنونيةٍ تصلُ إلى المأتين، وزيدٌ يقودُ مركبتَه، وقد غطَّى الخمرُ عقلَه وسمعَه وبصرَه، وعمروٌ في سيارتِه مشغولٌ بالمراسلاتِ الهاتفيةِ، وبكرٌ قادمٌ من بعيدٍ يطلقُ الإشاراتِ الضوئيةَ، والأصواتَ المزعجةَ أنَّ موكبي قادمٌ فأفسحوا أفسحوا ليَ المجالَ، وفي الطرقِ الداخليةِ يُطلبُ منه الرجوعُ ليفسحَ لأخيه لمجالِ عنده، فيحلفُ بأقسامِ الأيامينِ المغلظةِ، ثم يغلقُ سيارتَه ويضعُ الشيخُ يديه على خديه معلنًا بحركاتِه هذه أني لستُ براجعٍ، ووالدنا العزيزُ يعدُ ولدَه بشراءِ درجةٍ ناريةٍ ويُخيّرُه: هل تريدُ عجلتين أم أربعَ عجلاتٍ؟ فتجدُه مِن طريقٍ إلى طريقٍ ومِن شارعٍ إلى شارعٍ بدون فائدةٍ بسرعةٍ جنونيةٍ وأصواتٍ صاخبةٍ؛ يتربصُ بالفتياتِ المسكيناتِ بعد خروجهن مِنَ المدارسِ، وفي طرقاتِهن فلا يبقى إنسيٌّ ولا جنيٌّ إلا وقد تأذى مِن هذا الولدِ

الشقيِّ، والأبُ يظنُ ولدَه شيئًا نفيسًا وبطلًا نجيبًا، وفي الحقيقةِ هو صفرٌ سالبٌ ليس بشيءٍ.

أيُّها الأحبةُ في اللّه

مِن خلالِ هذه النماذجِ يتبينُ لنا أنَّ حوادثَ المرورَ علاجُها جليٌّ واضحٌ، وهو البعدُ الإيمانيُّ العَقديُّ الربانيُّ، فهناك تغيبٌ ظاهرٌ في المجتمعِ لهذا البعدِ، هناك جفافٌ حادٌ نحن بحاجةٍ إلى إشباعِ الجانبِ الروحيِّ الإسلاميِّ عند الأجيالِ والناشئةِ؛ فقد أصبحتِ الثقافةُ ماديةً بحتةً لا روحَ فيها، لذلك لم يلتزم بها المجتمعُ، واعتبرَها ثقافةً عامةً، فكانَ الالتزامُ بها من قبلِ فئةٍ محدودةٍ، إنَّ المجتمعَ بحاجةٍ إلى غرسِ جانبِ العقيدةِ والأخلاقِ الإسلاميةِ التي تخاطبُ الروحَ والوجدانَ، فهي المهربُ والعلاجُ الناجعُ لحوادثِ الطرقاتِ، بل هي ركنٌ ركينٌ وعمادٌ متينٌ، فإذا أعطينا هذا البُعدَ عنايةً إعلاميًا وتربويًا، ولم يُهمَّش في دائرةِ التثقيفِ العامةِ سيجدُ المجتمعُ أثرَ ذلك عمَّا قريبٍ - بإذن اللّه - على المجتمعِ عامةً والجهاتِ المسؤولةِ خاصةً أن تغرسَ هذا البُعدَ وتُعرِّفَ الأجيالَ بأنَّ آدابَ الطريقِ ليست ثقافةً عامةً، بل هي فريضةٌ شرعيةٌ على الأجيالِ أن تعرفَ مضامينَ الأمنِ في الطرقاتِ على النفسِ والمالِ المنصوصِ عليها في قولِ العزيزِ الحكيمِ ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

وأترككُم في فسحةٍ قصيرةٍ تستغفرون البرَّ الكريمَ الرؤوفَ الرحيمَ.

★★★

الحمدُ للّه، أعزَّ جندَه ونصرَ عبدَه وغلبَ الأحزابَ وحدَه، فلا شيءَ بعدَهُ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه والتابعين له بإحسانٍ؛ أمَّا بعدُ:

(١) سورة سبأ الآية: ١٨.

فيا أيُّها المسلمون

إنَّ المخلصَ من حوادثِ المرورِ غرسُ خلاقِ الرسولِ الكريمِ(ﷺ) والمهدين مِن بعدِه، كيف كانوا يتعاملون مع الطرقات، قالَ رسولُ اللّه (ﷺ) يومًا لأصحابه: " إياكم والجلوسَ في الطرقاتِ"، فقالَ الصحابةُ الكرامُ – رضيَ اللّهُ عنهم –: ما لنا بُدٌّ مِن مجالسنا نتحدثُ فيها، قالَ:" فإذا أبيتم فأعطوا الطريقَ حقَّه" ، قالوا: وما حقُّه يا رسولَ اللّه ؟ قال: " غضُّ البصرِ وكفُّ الأذى وردُّ السلامِ والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عنِ المنكرِ وإرشادُ الضالِ " على الأجيالِ والشبابِ أن يعرفوا أن مَن يؤذي الطريقَ والمارةَ ليس بمسلمٍ، وإن صلى وإن صامَ، ومن يُهلِكُ نفسَه وغيرَه ليس بمسلمٍ وإن صلى وإن صامَ، وعلى المتهورين أن يعلموا أنَّ السرعةَ الجنونيةَ هي انتحارٌ داخلٌ في قولِه (ﷺ):" مَن قتلَ نفسَه بحديدةٍ فحديدتُه في يدِه يَتوجأُ بها في نارِ جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومَن رمى نفسَه مِن شاهقٍ فقتلَ نفسَه فهو يتردَّى في نارِ جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شربَ سُمًّا فقتلَ نفسَه فسُمُّه في يدِه يتحسَّاه في نارِ جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، " فلنحترم آدابَ الطريقِ، ولنطبق تعاليمَ الإسلامِ العظيمةِ ليحبَّنا اللّهُ ورسولُه (ﷺ) ولنكونَ من الفائزين.

أيُّها المؤمنون ويا شبابَ الإسلامِ

حدث حادثان منفصلان في البلدِ، وكانَ أحدُهم يصرخُ وهو في النزعِ الأخيرِ: لا أريدُ أن أموتَ لم أصلِ صلاةً، وفي حادثٍ آخر: كانَ شابٌ يصرخُ أمي ارحميني ما بررتُ بكِ قد عققتكِ أطلبُ منك السماحةَ ويأنُ، وهو يقولُ: يا اللّهُ أمهلني أصلِ، وهيهاتَ فارقتِ الروحُ الجسدَ، فقولوا: ربَّنا جعل لنا عبرةً، ولا تجعلنا عبرةً، حافظوا على صلواتِكم جماعةً بلا كسلٍ بروا ووقروا أبائكم وأمهاتِكم، فمَن صلَّى وبَرَّ بوالديه سالمٌ محظوظٌ لن يندمَ . وصلوا وسلموا على النعمةِ المهداةِ والرحمةِ المسداة .

الخطبةُ الثامنةُ والخمسون

بمناسبةِ ضربِ الغوطةِ الشَّرقيةِ السوريةِ بغازِ السارين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه المنتقم مِنَ المفسدين في الأرضِ ظلمًا وطغيانًا، المقتدرِ على الطواغيتِ بطشًا وحرمانًا، القاهرِ فوقَ عبادِه عزًّا وسلطانًا، القادرِ على مُرادِه فما اتخذَ في خلقِ السمواتِ والأرضِ أعوانًا، الناصرِ لَمن ينصرُه وحاشاه أن يُرْهِقُه خذلانًا، العظيمِ السلطانِ ونَاهيك بشأنِ الرُّبوبيةِ شأنًا، قَسَّمَ خلقَه شمائلَ وأيمانًا، فمُنْتَحِلٌ كفرًا ومُنْتَحِلٌ إيمانًا، قِسْمَةٌ قُسِّمَت فَكُتِمَت غَيْرَ أنَّ للسعادةِ والشقاوةِ عنوانًا، فطوبى للذين إذا ذُكِّروا بآياتِ ربِّهم زادتْهم إيمانًا، وويلٌ للذين إذا ذُكِّروا بآياتِ ربِّهم خرُّوا عليها صُمًّا وعُمْيانًا، أَحمدُه سبحانه على ما عمَّنا به من فضلِه وأولانا، وأشكرُه ولم يزل سبحانه يُولي الشاكرين إحسانًا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له توحيدًا وإيمانًا، شهادةً تكونُ لشاهدِها في الآخرةِ أمانًا، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه يَكْسِرُ أصنامًا، ويهدمُ أوثانًا، ويهدي ضُلَّالًا، ويُبَصِّرُ عُميانًا، ويدعو إلى التوحيدِ سرًّا وإعلانًا، اللهم صل وسلم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه الذين كانوا له على الحقِّ أنصارًا وأعوانًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

اتقوا اللّٰهَ تعالى، وأخلصوا له العبادةَ فقد أفلحَ مَن أخلصَ أعمالَه للّٰهِ مُفردًا، وخابَ مَن ابتغى سواهُ ناصرًا ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾[1] تذكروا إخواني

(١) سورة مريم الآيات: ٨١ - ٨٢ .

بأنَّه لا بُدَّ مِنَ الموتِ وإن طالتِ المدةُ وبَعُدَ المَدى، ولا بُدَّ مِن حشرٍ ونشرٍ غدًا، يوم تكونُ الأعضاءُ شهودًاوالمحشرُ مشهدًا؛ فيا فضيحةَ العاصي وربُّه ينظرُ إليه كلما راحَ للمعصيةِ أو غدا، ويا سفاهةَ مَن لم يدرِ أيوضعُ كتابُه في يمينه أو شمالِه غدًا، كيف يَلتذُ بالأهلِ والبنينَ والمالِ منفقًا له في معاصي اللّه مبددًا، وكيف يقابلُ المسرفون بالقتلِ والتنكيلِ بعبادِ اللّه ربَّهم جلَّ وعلا، أهلَ التوحيدِ التزموا بوصيةِ للّه تعالى للأولين والآخرين ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] .

أيُّها الأحبةُ المؤمنون

غيرُ خافٍ على أحدٍ ما يعاني منه جسمُ الأمةِ الإسلاميةِ مِنَ الأمراضِ المستعصيةِ، والمحنِ الموغلةِ مِنَ أبرزِها: الحروبُ الطاحنةُ التي أبادت الحرثَ والنسلَ بينَ المسلمين أنفسِهم دونَ إلتفاتٍ إلى نداءِ القرآن الكريمِ القائلِ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[3] ودونَ خشيةٍ مِنَ الوعيدِ الذي جاءت به السنةُ الغراءُ على صاحبِها – أفضلُ الصلاةِ والسلامِ – القائلِ:" إذا التقى المسلمان بسيفِهم، فالقاتلُ والمقتولُ في النارِ ".

إنَّ ما يحدثُ في أمةِ الإسلامِ مِنَ الحروبِ الشرسةِ والقتالِ الضاري شيءٌ إدٌّ وانتهاكٌ صارخٌ وتشويهٌ لحقيقةِ الإسلامِ وأمرِ الإسلامِ ورحمةِ الإسلامِ ومحبةِ الإسلامِ؛ وليته كانَ على اليهودِ أو على عبدةِ الطاغوتِ فوا أسفاه ووا حسرتاه على حالِنا .

---

(١) سورة النساء الآية: ١٣١ .

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٥ .

إخواني في اللّه

إنَّ الصراعَ المريرَ الذي تدورُ رحاه في سوريا شيءٌ جللٌ يهزُّ مشاعرَ الإنسانيةِ قاطبةً مِنَ الخرابِ والبوارِ والتشريدِ والتقتيلِ في البلادِ والعبادِ بينَ السلطةِ التي لا تريدُ مغادرةَ الحكمِ والمعارضةِ التي تصرُّ على إسقاطِ الحكمِ، وبسببِ ذلك حدثَ ما حدثَ – واللّهُ المستعانُ – .

إنَّ الحوادثَ جمةٌ، والخطوبُ التي تَحِلُّ بالديارِ السوريةِ مدلهمةٌ، ولا يتسعُ النطاقُ لكتابٍ ولا خطيبٍ ليُعبِّرَ عنها، وكانَ مِن طاماتها التي تبكي منه الإنسانيةُ ما أقدمَ عليه النظامُ السوريُّ من ضربِ الغوطةِ الشرقيةِ بغازِ السارينِ السامِ[1]، إنَّه إقدامٌ أحمقُ، وتصرفٌ جنونيٌّ تتقلبُ من هولِه القلوبُ والأبصارُ، وتبيضُّ العيونُ مِنَ الحزنِ، وتنصبُّ الدموعُ دماءً ويتفجَّرُ القلبُ كمدًا .

أكلُّ هذا مِن أجلِ كرسيٍّ فانٍ، يُبادُ الشعبُ، وتُنتهكُ حقوقُ الإنسانيةِ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[2] .

أيُّها المسلمون

لو رأيتُم ما أقدمَ عليه هذه النظامُ المجنونُ لعيلَ صبرُكم بما صنعَه ويصنعُه، ولرددَ كلٌّ واحدٍ منكم قولَ الحكيمِ:

سأصبرُ حتى يعلمَ الناسُ أنني ... صبرتُ على شيءٍ أمرُّ مِنَ الصبرِ
وما طعمُ صابِ الصَبرِ وإنما ... صبرتُ على شيءٍ أحرُّ من الجمرِ
وما حيلتي في الأمرِ هذا وإنَّما ... أفوضُ أحوالي إلى صاحبِ الأمرِ

ما هذا يا أيُّها النظامُ الفاشلُ، تضربُ شعبَك بغازاتٍ تشفقُ أن تستخدمَها على وحوشٍ ضاريةٍ وحيواناتٍ مفترسةٍ، بينما تلقيها بكلِّ برودٍ

---

(١) تمَّ ضربُ الغوطةِ الشرقيةِ بغازِ السارينِ السامِ يومَ الأربعاءِ في ١٥ شوال سنة ١٤٣٤هـ، الموافق ٢١ أغسطس سنة ٢٠١٣م .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٠٥ .

وحماقةٍ على هؤلاءِ المساكينِ العُزَّلِ – واللّه – إنَّها مناظرُ مرعبةٌ مفجعةٌ خلَّفَها غازُ السارينِ، أطفالٌ في زهرةِ أعمارِهم وغضاضةِ أجسادِهم البريئةِ تغيَّرت جُثثُهم، ونساءٌ تصرخُ وتتقطعُ أنفاسُها مِن تمزقِ الأمعاءِ واختناقِ الشُّعَبِ الهوائيةِ، وشيوخٌ – لا ذنبَ لهم – قد أكلَهم الغازُ، وشبابٌ في نضارةِ شبابِهم يتقلبون على بطونِهم وظهورِهم مِن ألمِ الغازِ الذي يتسربُ إلى أجسادِهم يحرقُها شيئًا فشيئًا، وكأنَّ بتروًلا سُكِبَ عليها ثم أُوقدت عليها النار .

أيُّها الموحدون

إنَّ ما حدثَ بصورتِه القاتمةِ البشعةِ من ضربِ الغوطةِ الشرقيةِ بغازِ السارينِ السامِ يمثِّلُ الاختلالَ البشريَّ، والفسادَ النفسيَّ، والظلامَ الروحيَّ، وموتَ الضميرِ الإنسانيِّ، فأين المتشدقون بحقوقِ الإنسان؟ وأين المنظماتُ الدوليةُ؟ وأين المحاكمُ الجنائيةُ لمحاسبةِ الضالعين في هذه الجريمةِ الإنسانيةِ البشعةِ التي تمثلُ بكلِّ المقاييسِ الدوليةِ (إبادةً جماعيةً).

واللّه إن ما حدثَ عارٌ على النوعِ البشريِّ بأسرِه، وعارٌ على الشعوبِ الإسلاميةِ، وعارٌ على كلِّ موحدٍ .

وإنَّ اللّهَ تعالى ليسَ بغافلٍ، وسينتقمُ مِنَ المفسدين عاجلًا أم آجلًا ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

باركَ اللّهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَني وإياكم بهدي سيدِ المرسلين، أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم، فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

(١) سورة إبراهيم الآية: ٤٢، ٤٣ .

الحمدُ للّه، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللّهِ(ﷺ)؛ وبعدُ:

فيا أيُّها الأحبةُ في اللّهِ

إنَّ ضربَ الغوطةِ الشرقيةِ السوريةِ بغازِ السارين السامِ، حدثٌ مأساويٌّ مسجلٌ في كتابٍ لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى، فويلٌ للمتورطين في هذه الجريمةِ مِن عقابِ اللّهِ، وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون، ونعزِّي إخوانَنا السوريين في مصابِهم الجللِ، ونشدُّ على أيديهم، ونقولُ لهم قولَ الحقِ المبينِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على الرسولِ المجتبى كمَا أمرَكُم بذلكَ ربُّكم جلَّ وعلا.

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .

الخطبةُ التاسعةُ والخمسون

إسلامُ بلالِ بنِ رباحٍ (رضيَ اللّهُ عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه القديمِ الأحديِّ، العظيمِ الصمديِّ، الدائمِ الأبديِّ، القائمِ السرمديِّ، نحمدُه سبحانَه على العزمِ القويمِ القويِّ، ونستعيذُه مِنَ الشيطانِ الرجيمِ الغويِّ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ شهادةَ توحيدٍ خالصةٍ مِنَ الشكِ الرديِّ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه استخرجَه مِنَ العنصرِ الزكيِّ، ونصرَه بالرعبِ قبلَ المشريِّ، أرسلَه بالدليلِ الواضحِ الجليِّ، وزهّدَه في مجالسةِ الغنيِّ العليِّ ورغّبَه في صحبةِ الفقيرِ الضعيفِ القصيِّ، وعاتبَه في صهيبٍ الروميِّ وبلالٍ الحبشيِّ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾[1]، فصلى اللّهُ وسلمَ على سيدِنا محمدٍ الهاشميِّ القرشيِّ المكيِّ التهاميِّ الزمزميِّ الأبطحيِّ؛ وعلى صاحبِه المخصوصِ بفضيلةِ ثاني اثنين، وهو في القبرِ مضاجعُه كهاتين ـ المسبحةِ والوسطى ـ كيف لا . وقد كانا رفيقين في الزمنِ الجاهليِّ، وعلى الخليفةِ الثاني أميرِ المؤمنين الذي كانتِ الشياطينُ إذا سمعوا خَفْقَ نعلِه هربوا مِنَ الأحوذيِّ[2]، وعلى جميعِ أصحابِه وأزواجِه وأتباعِه على منهاجِه ما قامَ مكلفٌ بالفرضِ الرسميِّ؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّهِ

استعدوا ـ رحِمَكم اللّهُ ـ للحشرِ والحسابِ، وتوبوا قبلَ أن يُطوى الكتابُ، واخشوا يومًا تُعرَضُ فيه الخلائقُ على ربِّ الأربابِ، فما هذا السكونُ إلى دارِ الدوائرِ؟! وما هذا الانحرافُ إلى جرفٍ حرفٍ هائرٍ؟ أما تلمَّحتم أبصارَ البصائرِ ما إليه الأمرُ صائرٌ، فإياكم أعني، وقد عنيتُ

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٥٢.

(٢) الأحوذي: السريعُ في كلِّ ما أخذَ فيه .

وعنيتُ، ولا يسمعُ إلا القلائلُ، أأنتظارٌ لوقعِ الطاماتِ النوازلِ؟ أعمى إلى بلوغِ شاهقاتِ الجلائلِ؟ أسمعٌ وطاعةٌ للهوى إلى حلولِ صارماتِ الذوابلِ؟ فرجعوا - أيُّها الموحدون البررةُ - إلى هدي سيدِ المرسلين(ﷺ) وعضوا عليها بالأنامل وسيرةِ أصحابه والطاهرين الأوائلِ، ارجعوا إلى القرآن، واستمسكوا بأمره وزجره، فهو أعذبُ المناهلِ، وشدوا يدًا وعصبوا رأسًا بالتقوى، فهي ركنٌ لكسبِ الفضائلِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾[1] ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣ ﴾[2].

أيُّها المؤمنون

لا ينكرُ فضلَ صحابةِ رسولِ اللهِ (ﷺ) وما بذلوا من الأنفسِ والأموالِ إلا غافلٌ عمَّا جاءَ في تنزيلِ المتعالي، وساهٍ عن أصدقِ ما قاله ذو الجلالِ، ومعرضٌ ناءٍ عن سنةِ رسولِ اللهِ (ﷺ) وما روي عنه فيهم من صحيحِ الأقوالِ البعيدةِ عن المراءِ والوهمِ والجدالِ، قالَ الحليمُ الرشيدُ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠ ﴾[3] وقد أكدَ جلَّ جلالُه مرضاتَه عن تلك البدورِ النَّيرةِ من صحابةِ رسولِ اللهِ (ﷺ) فقالَ في تنزيلِه: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ

(١) سورة الحج الآية: ١، ٢.
(٢) سورة القصص الآية: ٨٣ .
(٣) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] وقالَ فيهم خاتمُ النبين والمرسلين(ﷺ): " خيرُ القرون قرني"، فهل بعد ذلك مِن فخرٍ؟!

أيُّها الأحبةُ في اللّه

إننا في زمنٍ خلفت فيه خلوفٌ مِنَ المسلمين تنكرت لمجدِ الإسلامِ الباذخِ، وركنه المشيدِ الشامخِ، إنَّها خلوفٌ اشتدَّ فقرُها مِن أخلاقِ الرسولِ (ﷺ) وأصحابِه الميامين والتابعين بإحسان إلا ما رحمَ ربي، وليت فقرُها فقرَ النجدين مِن مضرٍ أو فقرَ العُريان مِن بني طيٍّ، إنَّه فقرٌ مِن شخصيةِ الإسلامِ وجدبٌ في التأسي بسلفِ الأمةِ الصالحِ؛ إنَّها أجيالٌ إمعاتٌ تتقمصُ الأزدواجَ في الشخصيةِ، فالحالُ والقالُ:

وما أنا إلا مِن غزيةَ إن غوت غويت وإن ترشد غزيةُ أرشدُ

والأمرُ عندَ كثيرنا هكذا، فجديرٌ أن نشربَ مِن مرابعِ الرسولِ الكريمِ (ﷺ) وأصحابِه الكرامِ، لعلنا نتأثرُ بشيءٍ مِن أخبارِهم فنَقربُ مِنَ اللّهِ زلفى.

فمع خبرِ إسلامِ تقيٍّ حليمٍ رشيدٍ مِن أصحابِ أسوةِ محمدٍ(ﷺ)، إنَّه عَندليبُ[2] الإسلامِ الغِرِّيدُ البطلُ الصنديدُ الذي فاقَ بتقواه الكرامَ السادةَ الصيدَ، إنَّه مَن أُوذي من أجلِ إسلامِه بالقاسياتِ الجلاميدِ، وعانى مِن ابنِ خلفٍ عذابًا لا يُحصى بتعديدٍ.

أيُّها الخلفُ المؤمنُ

لعلكم عرفتَم المقصودَ؟ إنَّه مؤذنُ الإسلامِ الأولِ، وخازنُ رسولِ اللّهِ (ﷺ) على بيتِ المالِ، الفقيرُ الذي أغناه اللّهُ بقلبٍ مطمئنٍ بالإيمان، الحبشيُّ

---

(١) سورة الفتح الآية: ١٨.

(٢) عَندليب: طائرٌ صغيرُ الجُثَّةِ سريعُ الحركةِ كثيرُ الألحان؛ يَسكنُ البساتينَ، ويظهرُ في أيامِ الربيعِ، والجمعُ: عنادلُ.

الذي علا على كثيرٍ من بني قحطانَ وعدنانَ، العبدُ الذي تحررَ بكلمةِ الإخلاصِ فنسبُه الإسلامُ .

أبي الإســـلامُ لا أبَّ لي ســـواهُ إذا فتخـــروا بقـــيسٍ أو تمـــيم

نعم . إنَّه بلالُ بنُ رباحٍ (رضيَ اللّٰهُ عنه) كانَ حبشيًا أسودَ اللون، جعلته المقاديرُ عبدًا مملوكًا لأميةَ بنِ خلفٍ الجمحيِّ، كانَ يعيشُ معه عِيشةَ الرقيقِ، تمضى أيامُه متشابهةً قاحلةً لا حقَ له في يومِه ولا أملَ له في غدِه؛ فسمعَ ما يدورُ من سيدِه وأضيافِه مِن أنباءِ المبعوثِ رحمةً للعالمين (ﷺ)، فأشرقَ قلبُه بنورِ الإيمان وتعمَّقَ قلبُه بمحبةِ اللّٰهِ ورسولِه (ﷺ)، ولا يلبثُ خبرُ إسلامِه أن أُذيعَ من قبلِ المتربصين من وجوهِ الكفرِ وجواسيسِ الشركِ، فعلمَ سيدُه ابنُ خلفٍ، فدارت الأرضُ برأسِه، ونفخَه الكِبرُ والغرورُ الذي مرَّنته عليه الجاهليةُ الأولى، واعتبرَ إسلامَ عبدِه الحبشيِّ لطمةً ألبسته الخزيَّ والعارَ، وأنَّ هيبتَه ضُربت مِن أركانها، فكشَّرَ سيدُ جُمحٍ لبلالٍ عن أنيابٍ، وأسعفَه لأمرِه داءٌ متغلغلٌ جاثمٌ في صدرِه مِنَ السوءِ والعنادِ، فقالَ: لن تغربَ شمسُ هذا اليومِ إلا ويغربَ معها إسلامُ هذا العبدِ الأبقِ[1]، يظنُ ابنُ خلفٍ أنَّ قلبَ بلالِ بنِ رباحٍ طوعَ أمرِه وهيهاتَ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[2] طلبَ الجُمحيُّ مِن بلالٍ الكفرَ بمحمدٍ (ﷺ) فأبى فاشتدَّ غيظُه وغلت نيرانُ قلبِه، عبدٌ حبشيٌّ أسودُ يتمردُ عليَّ من متى؟ وجوابُكَ يا ابنَ خلفٍ من مقدمِ الإسلامِ . هنا نكَّلَ ابنُ خلف وأسيادُ جُمَحٍ وشياطينُ الوثنيةِ ببلالٍ، وتولى الإشرافَ على عذابِه سيدُه أميةُ بنُ خلفٍ، أتدرون ماذا صنعَ به هذا الأشقى؟ ربطَه وسحبَه كما تُسحبُ البهائمُ الميتةُ إلى أرضِ الفلاةِ! وجلدَه جلدًا شديدًا، وكانَ بلالٌ يرددُ عبارةً واحدةً لا غيرَ، وهي: أحدٌ أحدٌ، ثم جرَّدَه مِن ثيابِه، وجعلَه عُريانًا فوقَ الجمرِ.

---

(١) الأبق: الهاربُ عن طاعةِ سيدِه المتمردُ عليه .

(٢) سورة الزمر الآية: ٢٢.

وكانَ يخرجُ به في الظهيرةِ في صحراءِ مكةَ التي تتحولُ فيها إلى جهنمَ قاتلةٍ مِن شدةِ سخونتِها وسمومِ هوائِها، فيَطرحُ في صدرِه حجرًا متسعرًا كالحميمِ ينقلُه مع بعضِ معاونيه، فيُلقون بها فوقَ جسدِه وصدرِه، وهو يرددُ ـ أحدٌ أحدٌ ـ ويقولُ له أميةُ: أيُّها العبدُ الأسودُ لا تزالُ هكذا حتى تموتَ أو تكفرَ بمحمدٍ وتعبدَ اللاتَ والعزَّى، فيقولُ له مغيضًا ـ وهو في ذلك البلاءِ ـ أحدٌ أحدٌ ـ فيردُّ عليه ابنُ خلفٍ، وقد تفجَّرَ غمًّا وغيظًا ويصيحُ: أيُّ شؤمٍ رمانا بك يا عبدَ السوءِ؟ واللاتِ والعُزى لأجعلنَّكَ للعبيدِ والسادةِ مثلًا، ويقولُ بلالٌ: ما عندي إلا أحدٌ أحدٌ ولو كنتُ أعلمُ كلمةً تغيظُك أكثرَ منها لقلتُها، واستمر النكالُ حتى يئسَ أميةُ منه ورقت قلوبُ معذبيه، فتنازلوا آخرَ الأمرِ أن يخلو سبيلَه على أن يذكرَ ألهتَهم بخيرٍ ولو بكلمةٍ واحدةٍ تحفظُ لهم شيئًا من ماءِ وجههم وكبريائِهم فأبى ذلك .

أيُّها المؤمنون

لقد جعلَ رسولُ اللهِ (ﷺ) مِن هذا العبدِّ الحبشيِّ المستضعفِ أستاذًا للبشريةِ كلِّها في فنِ الصبرِ على أذى المفسدين، وفي فنِ احترامِ الضميرِ الإنسانيِّ والدفاعِ عن حريتِه وسيادتِه، فلا مِن حقوقِ إنسانٍ ولا مِن منظماتٍ شرقيةٍ ولا غربيةٍ، إنَّما الإسلامُ القائلُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1]، وعلى الجميعِ أن يعلمَ بأنَّ الأنسابَ والأحسابَ والقبائلَ والمالَ والجاهَ والسيادةَ والمنصبَ لا قيمةَ لها عندَ اللهِ تعالى وفي ميزانِ الإسلامِ، فبلالٌ عبدٌ حبشيٌّ أسودُ في رحمةِ اللهِ، وأميةُ غنيٌّ سيدٌ أبيضُ باءَ بسخطٍ مِن اللهِ، وقد رويَ أنَّه قالَ(ﷺ)لأهلِ البيتِ الطاهرِ: " لا يأتيني الناسُ بأعمالِهم، وتأتوني بأنسابِكم فإني لا أغني عنكم مِن اللهِ شيئًا" أو كما قالَ (ﷺ) .

(١) سورة الإسراء الآية: ٧٠.

بارك اللّه لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للّه الذي لم يجعل للشيطان سلطانًا على مَن رزقَهم من عبادِه إيمانًا، وزادَهم من فضلِه كرمًا وإحسانًا، وصلى اللّهُ تعالى وسلمَ على آلِه الطيبين الطاهرين المطهرين وعلى التابعين بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ؛ وبعدُ:

فيا إخوةَ العقيدةِ

أجيبوا سائلًا مَن في زماننا كإيمان ابنِ رباحٍ، بل جزءٍ من إيمان ابنِ رباحٍ، إنَّ بعضًا من أجيالِنا يتركُ استقامتَه ويرمي صلاحَه لكلمةٍ تُقالُ أو غمزةٍ تُصنعُ، أولئك السطحيون الذين لم يتمكن حبُّ اللّه وحبُّ رسولِه (صلى اللّهُ عليه وآلِه وسلَّمَ) مِن قلوبِهم يا ابنَ رباحٍ: اذكرِ اللاتَ والعُزى، فيجيبُهم: أحدٌ أحدٌ، فيقولون: قل كما نقولُ، فيجيبُهم في تهكمٍ عجيبٍ وسخريةٍ حاميةٍ: إنَّ لساني لا يحسنُه، فيشتدُّ العذابُ عليه حتى قالَ معذبوه: قد تعبنا مِن تعذيبِك حتى لكأننا نحن المعذبون، ويمرُّ عليه ـ والحالةُ هذه ـ القانتُ الأوَّابُ الصديقُ ـ رضيَ اللّهُ عنه وأرضاه ـ ويسمعُه يئنُ تحتَ وطأةِ التعذيبِ، وهو يقولُ: أحدٌ أحدٌ، فيقولُ لهم: أتقتلون رجلًا أن يقولَ: ربيَ اللّهُ؟ ولا يلتفتون إليه، أشفقَ الصديقُ على حالِ بلالٍ فذهبَ فورًا إلى أميةَ بنِ خلفٍ فقالَ له: يا أميةُ ألا تتقي اللّهَ في هذا المسكينِ؟ حتى متى؟! فردَّ عليه أميةُ بغلظةٍ وسوءِ أدبٍ: أنت الذي أفسدته يا ابنَ قُحَافةَ، فأنقذه مما ترى، فقالَ له الصديقُ: أتبيعُ بلالًا؟ فردَّ عليه: إن شئت فنعم أبيعُه، عبدٌ سيءٌ لا خيرَ فيه فبيعُه خيرٌ لي من موتِه؛ فباعَه للصديقِ بخمسةِ أواقٍ مِن ذهبٍ، ثم قالَ أميةُ للصديقِ: خذه يا ابنَ قُحَافةَ فو اللاتِ والعزى لو أبيتَ إلا أن تشتريه بأوقيةٍ واحدةٍ

لبعتكُه بها، وفطنَ أبو بكرٍ لما في هذه الكلماتِ مِنَ اليأسِ وخيبةِ الأملِ، ولما كان فيها مساسٌ بكرامةِ هذه الذي قد صارَ أخًا له وندًا، أجابَه أبو بكرٍ الصديقُ قائلًا: واللهِ يا أميةُ لو أبيتُم أنتم إطلاقَ سراحِه إلا بمئةِ أوقيةٍ لأعطيتُكها .

فأعتقَ أبوبكرٍ الصديقُ بلالًا، فكانَ عيدًا عظيمًا خدمَ الإسلامَ وبذلَ الغاليَ والنفيسَ لرفعِ رايةِ التوحيدِ وشمَّرَ عن ساقِ الاجتهادِ في العبادةِ، فجديرٌ بأجيالِ المسلمين أن يتأسوا بنبيِّهم الكريمِ (ﷺ) وأصحابِه الصابرين الباذلين لتشعرَ قلوبُهم بعظمةِ الإيمانِ الذي إن وقرَ في القلبِ صدقَه العملُ.

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين وقائدِ الغرِّ المحجلين الميامين .

الخطبةُ الستون

العنايةُ بالريِّ والزراعةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطان الرجيمِ مَن قالَها قمعَ الشيطانَ وقهرَه، ونثني بباسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ فمَن تركَها في كلِ أمرِ ذي بالٍ فقد نحرَه وبترَه، والحمدُ للهِ مقدرِ المقدورِ، وكلُّ شيءٍ دبَّرَه، العالمُ بما طواه ونشرَه، الحاكمُ العدلُ فيما أمرَ به وحجرَه، أنزلَ مِنَ السماءِ ماءً فأسكنَه في الأرضِ وقدَّرَه، أحمدُه على ما يسَّرَه حمدَ مَن أمنَ به وشكرَه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه (صلى اللهُ عليه وآله وسلمَ) شهادةً خالصةً تلحقُنا بالكرامِ البررةِ، وتقي وجوهَنا مِن غبرةٍ نزهقُها قترةً؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

إنَّه ليسَ أحدٌ أكرمَ على اللهِ من نبيِّه (صلى اللهُ عليه وآلِه وسلمَ)، ولا أشرفَ عنده من محمدٍ نجيِّهِ وحبيبِه وصفيِّه (صلى اللهُ عليه وآلِه وسلمَ) ولن يُؤخرَ عندَ انقضاءِ مدتِه، ولن يعمَّرَ عند حضورِ منيتِه، ولقد أتاه في مثلِ شهرِكم هذا مِن رسلِ ربِّه الكرامِ الموكلين بقبضِ نفوسِ الأنامِ، فاستلموا روحَه الزكيةَ لينقلوها وعاجلوها ليُرحِّلوها إلى رحمةٍ ورضوانٍ وخيراتٍ حسانٍ، فاشتدَّ لذلك كربُه وأنينُه، وترادفَ قلقُه وحنينُه، واختلفَ بالانقباضِ والانبساطِ شِمالُه ويمينُه، والتجأَ إلى الرحمنِ الرحيمِ بقولِه: " لا إلهَ إلا اللهُ إنَّ للموتِ لسكراتٍ اللهم أعني على سكراتِ الموتِ"، هذا وهو وما أدركَ ما هو، هو أوَّلُ مَن تَنشقُ عنه الأرضُ وصاحبُ الشفاعةِ يومَ العرضِ، وأكرمُ أهلِ السماءِ وأهلِ الأرضِ، وعلى يقينٍ مِنَ السلامِ في المعادِ وثقةٍ بالكرامةِ في يومِ الأشهادِ، فكيف بنا نحنُ مَن لا نعلمُ على ما نَقْدُمُ؟ ولا بما علينا في القيامةِ يَحْكُم فيا مَنْ عن قريبٍ

أمواتٌ، أما تتعظون بمصرعِ سيدِ المرسلين وإمامِ المتقين وحبيبِ ربِّ العالمين (صلى اللّٰهُ عليه وآلِه وسلمَ)؟ أتظنون أنَّكم في الدنيا مخلدون؟ أم تحسبون أنَّكم مِن الموتِ محصنون؟ كلا . إنَّها خيالاتٌ وأوهامٌ هيهاتَ هيهاتَ، إنَّكم إذاً لمغـــرورون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1].

أيُّها المؤمنون

هناك حقيقةٌ لا ينكرُها العقلاءُ، وهي أنَّ سببَ بقاءِ الوجودِ يتمثلُ في أمرين: معنويٍّ يُقصدُ به الروحُ التي تجري في الأجسادِ، ومادِيٍّ وهو الماءُ، هذا المخلوقُ العجيبُ الذي لا يستغني عنه كلُّ كائنٍ حيٍّ، وقد نطقَ بهذهِ الحقيقةِ كتابُ ربِّ العالمين، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾[2] وكلٌّ: اسمٌ معربٌ يفيدُ الاستغراقَ الكليَّ والجزئيَّ، كما أنَّ الرَّزاقَ جلَّ جلالُه جعلَ مِن صبِّ الماءِ وسقيِ الأرضِ متاعًا وسبيلًا للحياةِ، فقالَ في التنزيلِ: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢ ﴾[3] وقد أحاطتِ السنةُ النبويةُ ثروةَ الماءِ بسياجٍ منيعٍ مِنَ الاقتصادِ حتى في العباداتِ التي أُمِرَ فيها بالمبالغةِ والتخليلِ، فعنِ المعصومِ (صلى اللّٰهُ عليه وآلِه وسلمَ): " خيارُ أمتي الذين يتوضون بالماءِ اليسيرِ "، وقالَ (صلى اللّٰهُ عليه وآلِه وسلمَ): " توضوا بالمدِ واغتسلوا بالصَّاعِ "، والمُدُّ يساوي: نصفَ لترٍ، والصاعُ يساوي: لترين، وهذا دليلٌ على الاقتصادِ في الإسلامِ والمحافظةِ على شِريانِ الحياةِ ووريدِها.

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ – ٧١.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٣٠ .

(٣) سورة عبس الآيات: ٢٤ – ٣٢ .

ومن أجلِ العنايةِ بالماءِ أمرَ الشرعُ الجليلُ بزراعةِ الأرضِ وغرسِها واستصلاحِ الأرضِ الموات، وجعلَ الزراعةَ والغرسَ سبيلاً لكسبِ الحسناتِ، فقالَ أسوتُنا محمدٌ (صلى اللّٰهُ عليه وآلِه وسلمَ): " ما من مسلمٍ يزرعُ زرعًا ويغرسُ غرسًا فيأكلُ منه إنسانٌ أو طيرٌ أو بهيمةٌ إلا كانَ له بهِ صدقةٌ "، وموقفُ الإسلامِ مِنَ المحافظةِ على المياهِ بكلِّ الطرقِ والوسائلِ متواترٌ كثيرٌ جدًّا تقصرُ عن سردِه الخطبُ والمحافلُ.

إخوةَ العقيدةِ

إنَّ الحروبَ القادمةَ في العالمِ لا تكونُ في النزاعاتِ البترولية أو الغازيةِ ولا في البرامجِ النوويةِ والثرواتِ المعدنيةِ، وإنَّما الحروبُ القادمةُ هي حروبٌ على الماءِ، إذا ما علمنا أنَّ التغيراتِ المناخيةَ بدأت تلقي ظلالَها، وتطفو على السطحِ، وهناك حربٌ كلاميةٌ مستترةٌ، وأحيانًا ظاهرةٌ، ومدافعاتٌ نفسيةٌ ومغالباتٌ كلاميةٌ بين كثيرٍ مِنَ الدولِ تقفُ وراءَها بامتيازٍ الثروةُ المائيةُ، فالحوادثُ الحدوديةُ المرتبطةُ بالمياهِ قد تتحولُ إلى حروبٍ مفتوحةٍ، وما يغذي هذه النزاعاتِ الأنهارُ الحدوديةُ، وكذلك الخزاناتُ الجوفيةُ المشتركةُ؛ فاليهودُ الغاصبون والصهاينةُ المعتدون يعلمون قيمةَ المياهِ، ويعلمون مذلةَ الاستيرادِ لذا سيطروا على المياهِ الفلسطينيةِ، ولا يوجدُ مخزونٌ مائيٌّ إلا استولوا عليه وزرعوا الأرضَ المغصوبةَ، كما أنَّ هناك خلافًا إسرائيليًا لبنانيًا حولَ نهرِ الحاصباني، بينما نجدُ بين تركيا وسوريةَ والعراقِ خلافاتٌ تشبُّ، وتخبو بين حينٍ وآخرَ بسببِ السدودِ التركيةِ لمياهِ نهري دجلةَ والفراتِ، وهناك تنافسٌ بينَ إيرانَ والعراقِ على مياه شطِّ العربِ ملتقى لمياهِ نهري دجلةَ والفراتِ، وفي مصرَ والسودان خلافاتٌ حولَ حصةِ مياهِ نهرِ النيلِ، ونجدُ في مصرَ والسودان وليبيا وتشادَ والنيجرَ خلافاتٌ متجددةٌ حولَ حقلٍ مائيٍ جوفيٍّ عظيمٍ بعمقِ ثمانمائة مترٍ، وهذا كلُّه يدلُ على أهميةِ الثروةِ المائيةِ.

أيُّها الإخوةُ في اللهِ

وإذا تحدثنا عن المياهِ في بلدِنا الحبيبِ سلطنةِ عُمانَ، فمعلومٌ أنَّ اعتمادَها على مياهِ الأمطارِ، وكمياتُها متفاوتةٌ غيرَ منتظمةٍ مِن سنةٍ إلى أُخرى، ومع هذا فإنَّ البلادَ وإن كانت تمرُّ بفتراتٍ مِنَ الجفافِ، ولكن لا يمكنُ مقارنتُه بجفافِ القرن الإفريقيِّ الضاربِ، فالمياهُ عندنا ـ بحمدِ للهِ وفضلِه ـ إذا تناقصت منَّ اللهُ تعالى علينا بغيثٍ يقتلعُ ذلك الجفافَ، فلا تتأخرُ مدتُه ولكن هناك مآسٍ جمةٌ تمرُّ بالمياهِ في السلطنةِ.

أولًا: الإسرافُ المذمومُ في استخدامِ المياهِ في جميعِ مرافقِ الحياةِ، وعدمِ الترشيدِ في استخدامِه على مستوى الفردِ والجماعةِ والمؤسسةِ، وهي مخالفةٌ صارخةٌ تتناقضُ مع روحِ إسلامِنا وكتابِ ربِّنا القائلِ: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

ثانيًا: إهمالُ مياهِ الأفلاجِ وتسريحُها في الأوديةِ والشوارعِ، ويشاهدُ كلُّنا المأسةَ بأمِّ عينيه مع أننا خرجنا من محلٍ ومستوى المياهِ بالأفلاجِ ليس بمستوى الامتيازِ المعهودِ، ومع ذلك تُرمى بلا استغلالٍ فيا أيُّها النبلاءُ أهكذا نشكرُ اللهَ تعالى على نعمِه، أليسَ هذا مِنَ الكفرِ بفضلِ اللهِ ورزقِه؟ وقد قرنَ اللهُ الزيادةَ بالشكرِ والعذابَ بالكفرِ، فقالَ سبحانَه: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[2].

ثالثًا: الأرضُ الصالحةُ للزراعةِ في سلطنةِ عُمانَ تساوي خمسةَ عشرَ بالمئةِ، ولا يُزرعُ منها إلا النصفُ، ويزيدُ الأمرَ سوءًا على هذا أنَّ معظمَ الأراضي الزراعيةِ الخاصةَ تمت زراعتُها بالمساكنِ الأفقيةِ، واستغلت في استخداماتٍ أُخرى تجعلُ الأرضَ غيرَ قابلةٍ للزراعةِ، ويصعبُ استصلاحُها، وإذا بيعت بنيت، وأصبحت الأفلاجُ بلا أرضٍ، وهو أمرٌ يُنذرُ بكارثةٍ

(١) سورة الأعراف الآية: ٣١ .
(٢) سورة إبراهيم الآية: ٧ .

حقيقيةٍ مقبلون عليها إن لم يتم تـداركُ الأمـرِ، وهـذا مرجعُـه إلى وزارةِ الإسكان ووزارةِ الزراعـةِ على جهـةِ الخصـوصِ، ولا تثريـبَ إن قلنـا: إن الوزارتين لم يصلا إلى الحدِ الأدنى مِن مستوى المسؤوليةِ، والواقـعُ يشـهدُ عليهما بذلك.

رابعًا: كانَ السلفُ من شـدةِ محـافظتِهم وحرصِـهم علـى دفـعِ التلـوثِ مِـن منابعِ الشِّراجِ ومجاري الأوديةِ يتورعون عن رميِ نواةِ التمرِ، ويمنعـون مِـن غرزِ الحطبِ في الأوديةِ لأنَّهم يعلمـون أن تلويـثَ المنـابعِ الرئيسـيةِ معنـاه انتقالُ التلوثِ إلى الآبارِ والأفلاجِ والعيـون، فـإذا تلوثـت حـدثت الكارثـةُ والأمراضُ المستعصيةُ كالسِّرطان وأضرابِه، وقد بدأَ يتفشى ـ الأمـرُ للّه ـ والآنَ نجدُ وزارةَ البلدياتِ تستغلُ الحلاةَ ومصافيَ الأوديةِ والمياهَ الجوفيـهِ بلا حسابٍ ولا مستنكرٍ، فتحفرُ الخنادقَ وترمي الزيوتَ ومخلفاتِ الشـوارعِ والأبنيةَ والحديدَ والموادَ السامةَ، وأصبحتِ الشاحناتُ تتجـهُ إلى مجـاري الأوديةِ لترمي جبالًا مِنَ المخلفاتِ، فهـل هكـذا حـقُّ الأوديـةِ؟ وهـل بهـذه الصورةِ نحافظُ علـى سـلامةِ الميـاهِ الصـحيةِ الجوفيـةِ مِـنَ التلـوثِ؟ وهـل نفدتِ الحلولُ الناجعةُ للتخلصِ مِنَ الفضلاتِ والمخلفـاتِ إلا بهـذه الصـورةِ الكارثيةِ الخطيرةِ!

أقولُ مثلَ الـذي أكوابُـه صـدحت ودواني بـالتي كانـت هـي الـداءُ

وللّهِ الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ على حالِنا.

أيُّها الموحدون

استغفروا ربَّكم ثم توبوا إليـه يرسـلِ السـماءَ عليكم مـدراراً، ويـزدكم قوةً إلى قوتِكم ولا تتولوا مجرمين.

★★★

الحمدُ للّه مفيضِ النعمِ، عظيمِ السلطانِ مقلبِ القلوبِ بين ظـلامِ الكفـرِ ونـورِ الإيمـانِ، ونصـلي ونسـلمُ علـى سـيدِنا محمـدٍ وعلـى آلِـه وصـحابتِه وزوجاتِه وعترتِه كلما تجددَ الزمانُ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أولي النهى

هناك أفكارٌ غريبةٌ تتلمسُ النظرةَ السطحيةَ المجردةَ عن العمق، فتجدُ مَن يقولُ: الزراعةُ لا فائدةَ منها مع أنَّ عددًا مِن رجالاتِ العلمِ والفكرِ قالوا: بأنَّ الزراعةَ والعنايةَ بالريِّ مِن أفضلِ المكاسب، ومِن قائل: النخلةُ مغرمُها وخسارتُها أكثرُ من ربحِها، فبناءُ منزلٍ وتأجيرُه خيرٌ مِن زراعةٍ، وإن كانت هذه النظرةُ تلامسُ الصحةَ، فهي لا تجاوزُ السطحيةَ لأنَّ القضاءَ على الأرضِ الزراعيةِ معناه القضاءُ على المياهِ وعلى الأفلاجِ وعلى الإنتاجِ الزراعيِّ مما يعني ذلك حدوثَ مشكلةٍ في المخزونِ الغذائيِّ، وتحولُنا إلى أمةٍ اتكاليةٍ مستهلكةٍ بدلًا مِن أن نكونَ أمةً منتجةً، كما أنَّ الاعتمادَ على الآخرين يجعلُنا مهددين بالمجاعةِ وسوءِ التغذيةِ في حالِ نشوبِ حربٍ أو غلقِ الممراتِ المائيةِ أو حصارٍ تفرضُه محاورُ الشَّر؛ وهذا ما حدثَ فعلًا بعُمانَ في الحربِ العالميةِ الثانيةِ، فقد اشتدَّ الجوعُ، وزادَ الفقرُ، وغلتِ المعيشةُ، وانقطعَ المددُ، وسافرَ الناسُ للبحثِ عن لقمةِ العيش: (فمن اعتمدَ على زادِ غيرِه طالَ جوعُه)، ناهيكم بأنَّ القضاءَ على الغطاءِ النباتيِّ يضاعفُ نسبةَ التلوثِ الهوائيِّ والأمراضِ المزمنةِ كالاختناقاتِ والأمراضِ الرئويةِ.

أيُّها المؤمنون

جديرٌ بنا أن نستخرجَ ما تُنبت الأرضُ، وأن نستغلَ المياهَ، ونحافظَ على نظافتِها ونظافةِ مجاريها، ولا سيما الأوديةُ فقد تحمَّل سلفنا المشاقَ في شقِّ الأفلاجِ وحفرِ الآبارِ والعنايةِ بالأرضِ، وكانوا يستبشرون بنزولِ شرجةٍ ويزرعون ضِفافَها بالخضراواتِ المختلفةِ، فأينعتِ النخيلُ والليمونُ والأنباءُ والسفرجلُ والحبوبُ والبقولياتُ، وصدَّروها بوفرةٍ، وجنوا منها رزقًا وفيرًا وخيرًا كثيرًا، وبهذا يكونُ شكرُ المنعمِ على نعمِه ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

---

(١) سورة يس الآيات: ٣٣ - ٣٥.

الخطبةُ الحاديةُ والستون

بمناسبةِ العامِ الدراسيِّ الجديدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي جعلَ خصوبةَ التربيةِ والتعليمِ للناسِ هدايةً دانيةً، وجعلنا من أمةٍ قد طلَّقت (لا أقرأُ) تطليقاتٍ بائنةً، وحذَّرنا الانحطاطَ والجهلَ بأسبابٍ جانيةٍ، وعظَ مَن قدَّمَ الدنيا الحقيرةَ الفانيةَ، وشوَّقَ إلى جنةٍ قطوفُها دانيةٌ، وخوَّفَ عِطاشَ الهوى أن يُسقوا مِن عينٍ أنيةٍ، وأصلي وأسلمُ على رسولِه محمدٍ صلاةً وسلامًا لعزٍّ بانيةٍ، وعلى صاحبِه أبي بكرٍ السابقِ في الوفاقِ والإنفاقِ والدارِ والغربةِ في الغارِ أربعٌ للفخرِ بانيةٌ، وعلى عمرَ مقيمِ السياسةِ على كلِّ نفسٍ شانيةٍ، ونذكرُ عثمانَ الذي اختارَه الرسولُ(ﷺ) بعدَ موتِ ابنتِه الثانيةِ، وعليٍّ المنزلُ فِيه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾[1]؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الذين آمنوا

أكثرُ أهلِ القبورِ في تجاراتِهم قد خسروا، فمُرُّوا على القبورِ، واعتبروا وتفكروا في أحوالِهم وانتظروا يتمنون العودَ وهيهاتَ، ويسألون الرجوعَ وقد فاتَ، فيا مُطلقًا اذكر قبورَهم، ويا متحركًا قد عرفت سكونَهم خلِّص نفسَك مِن أسرِ الذنوبِ، وتذكر بقلبِك يومَ تُقلَّبُ الأبصارُ والقلوبُ، مَن أنت يا مسكينُ غدًا يُمسكُ لسانُك وتُنشَرُ أكفانُك وتزورُ حفرتَك وتطولُ سفرتُك وتزيدُ حسرتُك، وليسَ لك من قرارٍ إلا إلى الجنةِ أو النارِ؛ فاتقِ اللّهَ وأنت في فسحةٍ مِنَ العُمرِ ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧٤ .

ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾[1] ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2] ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[3].

عبادَ اللّهِ

يقولُ البرُّ الكريمُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[4] في الآياتِ الكريماتِ ينبهُ الوحيُ الإلهيُّ على رحلةِ العلمِ المصحوبةِ بأهمِ وسيلتين للحصولِ على مكنوناتِه، وهما: القراءةُ والقلمُ على أن تكونَ هذه الرَّحلةُ في هدايةِ هادٍ كاملٍ، وليس هو إلا اللّهُ العليمُ الكريمُ لأنَّ الرَّحلةَ طويلةٌ شاقةٌ معقدةٌ خطرةٌ؛ والطريقُ وعرٌ ذاتُ منعطفاتٍ تعترضُها بحارٌ وأنهارٌ ذاتُ عمقٍ سحيقٍ، وتتخللُها غاباتٌ كثيفةٌ، فيها سِباعٌ مخوفةٌ، وحياتٌ وعقاربُ، وكلُّ حيوانٍ ضارٍ، ولكن ما هو العلمُ الذي يخلصُنا من هذه المشاقِ والمتاعبِ؟ هل هو علمٌ مجردٌ قائمٌ على التسليةِ والدُمى واللعبِ وصرمِ الساعاتِ، كلا. إنَّما هو علمٌ ربما وجدتموه في الجاهليةِ في بيتِ ورقةَ بنِ نوفلٍ، وفي الإسلامِ في الوحيين. هل هو العلمُ الإجباريُّ والقهريُّ؟! كلا. إنَّما هو العلمُ الذي يذهبُ طلابُه لنيلِه ولو بالصينِ، وإنَّما هو علمُ فريضةٍ كما نطقَ الحبيبُ(ﷺ): "طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ".

هل هو علمٌ قائمٌ على المقارنةِ بعددِ المدارسِ في سنةِ كذا عددُها كذا، والآن عددُها كذا، كلا. فإنَّ قيمةَ كلِّ بلدٍ من البلادِ ليست في كثرةِ المدارسِ والجامعاتِ والمعاهدِ، إنَّها نظريةٌ باليةٌ قد تقادمَ عهدُها، بل

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٧٦.
(٢) سورة الأعراف الآية: ٣٥.
(٣) سورة يوسف الآية: ٩٠.
(٤) سورة العلق الآيات: ١ - ٦.

القيمةُ في قوةِ المادةِ العلميةِ، وفي كثرةِ أبنائِه الذين يُثبتون تميّزَهم واختصاصَهم في علمٍ مِنَ العلومِ، ويقضون أوقاتَهم بالليلِ والنهارِ للبحثِ والدراسةِ والاكتشافِ ورفعِ معنوياتِ أمتِهم.

أربابَ العقيدةِ الإسلاميةِ الغراءِ

يعلمُ كلُّكم أنَّ في هذه الأيامِ الشَّواليةِ مخرت سفينةُ الأيامِ الدراسيةِ مؤذنةً ببدءِ عامٍ دراسيٍّ جديدٍ، تشتركُ في نجاحِه أو فشلِه أربعُ جهاتٍ، هي وزارةُ التربيةِ والتعليمِ، المدرسون، الطلبةُ، أولياءُ الأمورِ، ويمكنُنا أن نعتبرَ هذه الجهاتِ هي جسدُ الحلقةِ التعليمةِ مجتمعةً، لا يجوزُ انفصامُ أحدِها أو خرابُه أو تعفنُه وإلا لأصبحَ جسدُ المؤسسةِ التعليميةِ يعاني من الحمى والسهرِ" كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالحمى والسهرِ"، والحديثُ عن هذه الأعضاءِ بأربعتِها يطلبُ وقتًا نختصرُه حسبَ الدقائقِ المعدوداتِ، كما يطلبُ انتباهًا منكم . ونبدأُ بوزارةِ التربيةِ والتعليمِ؛ لا ريبَ بأنَّ وزارةَ التربيةِ والتعليمِ محبةٌ لأولادِها مِنَ البنينِ والبناتِ صغارًا وكبارًا، فهم أساسُ الوطنِ وأعمدةُ المستقبلِ؛ وقد سعت الوزارةُ سعيًا حثيثًا فنجحت نجاحًا باهرًا في تعليمِ الأجيالِ، وبعدها قامت الوزارةُ منذُ عِقدٍ مِنَ الزمنِ إلى ما يعرفُ " تجديدُ التعليمِ وتطويرُه "[1]، وهو منعطفٌ جديدٌ، نهجته الوزارةُ، وكانَ المفروضُ أن يُقابلَ هذا التجديدُ بالثناءِ والمدحِ، ولكن كانتِ المفاجئةُ أنَّ هذا التجديدَ أحدثَ رجاتٍ عنيفةً وزلازلَ متقاربةً، فصدقَ في تطويرِ وزارةِ التربيةِ والتعليمِ قولُ الشاعرِ:

أما ترى الدهرَ وهذا الورى كهرةٍ تأكلُ أولادَها

فمِن حبِّها أكلتهم، فهل راجعت وزارةُ التربيةِ والتعليمِ أسبابَ هذه الرجاتِ والزلازلِ والانتقاداتِ؟! وهل شعرت بتدني مستوى الطلابِ

(١) بعدَ ضربِ برجي التجارةِ بالولاياتِ المتحدةِ الإمريكيةِ في شهرِ جمادى الثاني ١٤٢٢ هـ الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، حدثت حملةٌ شرسةٌ على العالمِ الإسلاميِّ، واتهمت المناهجُ بأنَّها تحرِّضُ على العنفِ، ويجبُ حذفُ آياتِ الجهادِ مِنَ المقرراتِ الدراسيةِ، فحدثت حملةٌ لتغييرِ المناهجِ وغربلةِ مادتِها العلميةِ.

ورسوبِ المدارسِ بكاملِها ونجاحِ الأقليةِ فيها؟ الواقعُ إنَّ وزارةَ التربيةِ إمَّا أن تكونَ تدري بما يحدثُ وهي تدري، وإما أن تكونَ لا تدري، وفي الحالين تعيشُ في مصيبةٍ .

إن كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ أو كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ

أحبابَ رسولِ اللهِ (ﷺ)

هناك نقاطٌ مهمةٌ نوضحُها سويًا لوزارةِ التربيةِ والتعليمِ؛ ولَمن له الطَّولُ والحولُ في المؤسسةِ التعليميةِ.

أولًا: يجبُ أن يكونَ في الاعتبارِ لدى إنشاءِ كلِّ مدرسةٍ أو منهجٍ تعليميٍ أن يكونَ الهدفُ من كلِّ ذلك ترسيخَ الإيمانِ بالعقائدِ والحقائقِ التي آمنت بها من ذي قبلٍ لأنَّ ذلك يقوِّي أركانَ الدولةِ، ويشدُّ كيانَها بأجيالٍ صالحةٍ فلا تُهمشُ مادةُ التربيةِ الإسلاميةِ وتُقلصُ حصصُها، وتصبحُ مادةً هزيلةً خفيفةً في مهبِّ الريحِ، إنَّ بعضَ المسؤولين يقولُ: مجتمعُنا ليسَ هو الذي نعرفُه، كيف ستعرفونه؟ ولا يوجدُ في المقرراتِ الدراسيةِ بعد غيابِ دورِ الإسرةِ والمجتمعِ ما يُشبعُ نَهَمَ الطالبِ مِنَ الآياتِ البيناتِ والأحاديثِ النبويةِ وأخلاقِ الرسولِ (ﷺ) وسيرةِ أصحابِه الكرامِ، وما كانوا عليه، ولكن كما في المثلِ: (يداك أوكتا وفوك نفخَ)[1] ، فلتُرجعوا مادةَ التربيةِ الإسلاميةِ[2] لسابقِ عهدِها لترجعَ العبارةُ: (مجتمعُنا هو الذي نعرفُه) .

ثانيًا: يجبُ أن يكونَ ترسيخُ الحقائقِ وإقناعُ الناسِ بالحججِ الواضحاتِ لا بالتناقضاتِ والأهواءِ، ليكونَ ترسيخُ الحقائقِ عن طريقِ القلبِ والعقلِ معًا

---

(١) مثلٌ يُضرَبُ في وقوعِ الرجلِ في سوءِ أفعالِه وتصرفاتِه .

(٢) إشارةٌ إلى التبديلِ الذي اشتدَّ على مادةِ التربيةِ الإسلاميةِ بدايةً من سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ولا سيما في الصفوفِ: الحادي عشر والثاني عشر؛ فقد تمَّ تبديلُ مسمَّى التربيةِ الإسلاميةِ إلى ثقافةٍ إسلاميةٍ، والأهمُ مِن ذلكَ ما حدثَ من حذفٍ لكثيرٍ مِنَ المقررِ، فصارَ المضمونُ هشًّا ذابلًا، وقُلِّصَت حصصُها، وأصبحت مادةً اختياريةً بعدَ أن كانت أساسيةً، وبعد المطالباتِ الحثيثةِ مِن أبناءِ الوطنِ العُماني الغيارى على إسلامِهم، وعلى فلذاتِ أكبادِهم، تمَّ إرجاعُها إلى سابقِ عهدِها بأمرٍ مِنَ السلطانِ قابوسَ بنَ سعيدٍ – سلطانِ عُمان – ، وكانت الخطبة سنة ١٤٣٥ هجرية .

حتى لا يَخْرُجَ جيلٌ يتصارعُ مع الحقائقِ ويتصارعُ مع دينه وعقيدتِه، ويتصارعُ مع مجتمعِه خذوا مثلًا بسيطًا من تناقضاتِ الوزارةِ، قالتِ الوزارةُ: كلمةُ ثقافةٍ أوسعُ وأشملُ مِن كلمةِ تربيةٍ، ولذا غيَّرنا المسمَّى من تربيةٍ إسلاميةٍ إلى ثقافةٍ إسلاميةٍ، ولكن يا وزارةَ التربيةِ والتعليمِ ألا تشعرين بالخجلِ والاستحياءِ مِن اسمِكِ الضيقِ، فليكن اسمُكِ: وزارةَ الثقافةِ والتعليمِ، ثم مَن قالَ لهؤلاءِ أنَّ الثقافةَ أوسعُ مِنَ التربيةِ وأشملُ مفهومًا، والحقُ يقولُ: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[1]، ولم يقل ثقفاني صغيرًا، ولم يستخدم القرآنُ الكريمُ والسنةُ النبويةُ الثقافةَ بمعنى العلمِ والفهمِ والإدراكِ، وعند التربويين والعباقرةِ والمهتمين يستخدمون كلمةَ تربيةٍ، ولكنَّه الاضطرابُ بين العقلِ والقلبِ، ولكنَّه الاضطرابُ في الحقائقِ والمفاهيمِ، فلنرجع - أيُّها المسؤلون - إلى رشدِنا، ولنفق مِن غفلتِنَا قبلَ فواتِ الأوانِ، فقد بدأت تطفحُ في المجتمعِ أجيالٌ نافرةٌ عن إسلامِها وعقيدتِها وقيمِها، وخارجةٌ عن عاداتِها وتقاليدِها .

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ وأستغفرُ اللهَ لي ولكم إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

حمداً للهِ وصلاةً وسلامًا على رسولِ اللهِ وعلى آلِه وصحبِه، ومن والاه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون

أمَّا بعدُ فيا وزارةَ التربيةِ والتعليمِ أمَّا **ثالثًا**: مِن الخطأِ أن تزاحمي المناهجَ التعليميةَ بالمسابقاتِ والأنشطةِ الزائدةِ وإخراجِ مجموعةٍ من الطلبةِ إلى خارجِ المدرسةِ لتلقي المهارةِ الفلانيةِ فالمنهجُ التعليميُّ والخطةُ

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٤ .

الدراسيةُ والعلمُ الحقيقيُّ الموصِّلُ لا يتحملُ مثلَ هذا الاهدارِ لوقتِ الطالبِ والمعلمِ والأيامِ الدراسيةِ، وقديمًا قيلَ: (العلمُ إذا أعطيتَه كُلَّك أعطاكَ بعضَه وإذا أعطيته بعضَك لم يعطك شيءٌ).

رابعًا: الدوامُ يبدأُ مِنَ البكورِ إلى قربِ الساعةِ الثانيةِ ظهرًا، ويدرسُ الطالبُ كلَّ يومٍ ثماني حصصٍ، فهل يا تُرى هذه المنهجيةُ تعينُ على الفهمِ والاستيعابِ؟ وهل بإمكانِ الطلبةِ أن يحققوا علمًا نافعًا لهم، ولأمتِهم يتمخضُ عنه التقدمُ في الشريعةِ وعلومِ الهندسةِ والطبيعةِ والفلكِ وغيرِها؛ اللهم لا . المنهجيةُ التي نسيرُ عليها لا تجرؤ على محوِ الأميةِ من عقولِ أجيالِنا، وهي بعيدةٌ كلَّ البعدِ عن هذه المراحلِ المتقدمةِ.

وزبدةُ القولِ لوزارةِ التربيةِ والتعليمِ: الحلُ لحمايةِ الأمةِ والوطنِ والشعبِ والأجيالِ، ليس إلا أن يُصاغَ هذا النظامُ التعليميُّ صوغًا جديدًا، ويلائمُ بعقائدِ الأمةِ المسلمةِ ومقوماتِ حياتِها وأهدافِها وحاجاتِها؛ وتُخرَجُ من جميعِ موادِه روحُ المادية، والتمردُ على اللهِ، والثورةُ على القيمِ الخُلقيةِ والروحيةِ وعبادةُ الجسمِ والمادةِ، ويُنفخُ فيه روحُ التقوى والانابةِ إلى اللهِ والعطفِ على الإنسانيةِ كلِّها؛ فمِنَ التربيةِ الإسلاميةِ إلى الفيزياءِ إلى الجغرافيا؛ لا تسيطرُ على كلِّ ذلك إلا روحٌ واحدةٌ ويُبَعدُ المخربون الشرقيون أذنابُ الغربِ والتحللِ والانبطاحِ؛ ويُقصى استيلاءُ الغربِ العقلي على الموادِ الدراسيةِ، ويُكفرُ بإمامتِه وسيادتِه.

هذا هو الحلُّ الوحيدُ للموجةِ الطاغيةِ التي قد اكتسحت المؤسسةَ التعليمةَ، موجةِ التجددِ والتغربِ بأستارِ التطويرِ التي تتحدى الكيانَ الفكريَ للإسلامِ وجهازه الاجتماعيِّ، فإذا تحقق الحلُّ فأنعموا وأملوا وأبشروا وإلا فمستقبلُ الأجيالِ والوطنِ ظلامٌ دامسٌ وليلٌ أليلٌ يَحِلُّ بساحتِكم .

أيُّها المؤمنون

أمَّا الجهةُ الثانيةُ فالمدرسون، ونتركُ الحديثَ عنهم بما لهم وما عليهم الأسبوعَ القادمَ - إن شاءَ اللّٰهُ -.

ثم إنَّ اللّٰهَ أمرَكم بأمرٍ بدأ فيه بنفسِه وثنى بملائكةِ قدسِه وثلَّث بالمؤمنين لأمرِهِ ونهيهِ، فقالَ عزَّ قائلًا عليمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1] اللهم صلِ وسلم على نبينا.

(١) سورة الأحزاب الآية: ٥٦ .

الخطبةُ الثانيةُ والستون

تنبيهاتٌ للمدرسين والمدرساتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ فالقِ الحبِّ والنَّوى، وخالقِ العبدِ وما نوى، المطلعِ على باطنِ الضميرِ وما حوى، بمشيئتِه رشدَ مَن رشدَ وغوى مَن غوى، وبإرادتِه فسدَ مَنْ فسدَ واستوى ما استوى، وصرفَ مَن شاءَ إلى الهدى، وعطفَ مَن شاءَ إلى الهوى، قرَّبَ موسى الكليمَ نجيًّا، وقد كانَ مطويًّا مِن شدةِ الطَّوى، وعرجَ بمحمدٍ(ﷺ) ثم عادَ وفِراشُه ما انطوى، أحمدُه على صرفِ الجوى، حمدَ مَن أنابَ وارعوى، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له فيما نشرَ وطوى، وأنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه وعودُ الهدى قد ذوى، فسقاه بماءِ المجاهدةِ حتى ارتوى (ﷺ)، وعلى أبي بكرٍ الصديقِ صاحبِه إن رحلَ أو ثوى، وعلى الفاروقِ الذي وسمَ بحدِه جبينَ كلِّ جبارٍ وكوى، وعلى جميعِ آلِه وأصحابِه الذين هم كزرعٍ على سُوقِه استوى؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الإنسانُ

أين علامةُ الإيمان يا مَن يدعيه؟ أين تأثيرُ الوعظِ يا مَن يسمعُه ويعيه؟ أين اعتبارُك بمَن ملكَ الدنيا فأصبحَ اللحدُ يحويه؟ يا مسؤولًا عمَّا يُسرُّه ويُبديه؟ يا مَن نفسُه في الحقيقةِ مِن أكبرِ أعاديه! يا مَن أصمَّه الهوى ومنادي الهدى يناديه، يا مَن لا يَفيقُ حتى يَحلَّ الموتُ بناديه، نبِّه هذه النفسَ النائمةَ، أعلمها ما هي عليه قادمةٌ، قل لها: إلى متى يا ظالمةُ؟ فحقيقٌ - أيُّها الإخوانُ - لِمَن علمَ ما بين يديه، وتيقنَ أن العملَ يكتبُه المَلكان عليه، وأنَّه لا بُدَّ مِنَ الرحيلِ مِن الدنيا وما لديه إلى المواقفِ الصعابِ أن يتجافَ من مضجعِ البطالةِ بجنبيه، وأن يتوبَ عمَّا قدَّمه بيديه، وأن يهذِّبَ حواسَه التي تشهدُ له أو عليه ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[1] ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[2] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[3] .

أمَّا بعدُ فيا أصحابَ العقيدةِ الإسلاميةِ الغراءِ

بعد أن انتهينا الأسبوعَ الذي تصرَّمت أيامُه كلمحِ الأبصارِ، وكان شاهدًا لكم أو عليكم في كتابٍ ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[4] وتكلَّمنا في مثلِ هذا اليومِ المباركِ الأنورِ عن الجناحِ الأولِ من أجنحةِ وزارةِ التربيةِ والتعليمِ، وهي الوزارةُ ذاتُها ننتقلُ إلى الجناحِ الثاني المتمثلِ في المدرسينَ والمدرساتِ فألقوا حواسَكم أحبابَ رسولِ اللهِ (ﷺ).

استدعى أحدُ الأمراءِ وأصحابِ الولاياتِ والمكاناتِ العاليةِ بشابٍ بلغَ مرحلةً، صارَ له شأنٌ وعلمٌ غزيرٌ، وطلبَ الأميرُ مِنَ الشابِ أن يقرأَ بعضَ الكتبِ ويترجمَها له، وهيأَ الأميرُ للشابِ مكانًا من أحسنِ الأمكنةِ وأثثَه أحسنَ تأثيثٍ يقدرُ عليه أميرٌ وصاحبُ ولايةٍ وحكمٍ، وهيأَ له كلَّ ما تقعُ إليه الحاجةُ من أسبابِ الراحةِ، وفي يومٍ تخوَّفَ أن يكونَ هناك نقصٌ، فدخلَ غرفةَ الشابِ فجأةً فراهُ مستلقيًا على الفراشِ ولم ينم على السريرِ الذي قد هُيئَ له؛ فقالَ له الأميرُ: سامحني، لماذا تنامُ على هذا الفراشِ البسيطِ المتواضعِ، وتتركُ السريرَ المهيأَ فسكت؛ فلمَّا ألحَّ عليه قالَ: تذكرت أستاذي ومعلمي الذي يؤولُ إليه كلُّ الشرفِ وكلُّ السعادةِ في

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٣٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩٨.
(٣) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .
(٤) سورة الكهف الآية: ٤٩ .

حياتي، كانَ ينامُ على بساطٍ متواضعٍ على الأرضِ، وكانَ قد علمني كذا، وعلمني كذا، ومن أفعالِه كذا، فأنا أقلِّدُه، ومن سنين لم يطب لي النومُ على السريرِ الأثيرِ، ومعلمي كانَ ينامُ على فراشِه البسيطِ، ودمعت عيناه .

أيُّها المدرسون والمدرساتُ

ما سرُّ هذا التأثيرِ؟ ولماذا كانَ تأثيرُ المعلمِ بهذه الجاذبيةِ القويةِ في سلوكياتِ تلميذِه مع أنَّ الطالبَ فارقَ معلمَه مِن سنين؟ إنَّه الإخلاصُ الذي جرت مادتُه مِنَ العلمِ لنفسِ التلميذِ، إنَّه الإيمانُ برسالةِ التدريسِ وحبِّ أفضلِ المهنِ على الإطلاقِ رسالةِ العلمِ، إنَّ التدريسَ الذي يَخرجُ من أعماقِ القلبِ يصلُ إلى أعماقِ القلبِ، ويسكنُ فيها، هذا هو التدريسُ الحقيقيُّ الذي نحتاجُه - أيُّها المدرسون والمدرساتُ - التدريسُ عبادةٌ ركنُها الأساسيُّ الإخلاصُ للهِ تعالى كسائرِ الأعمالِ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1] إنَّ المعلمَ الذي يخلصُ في مهنةِ التدريسِ يكونُ راغبًا في الارتقاءِ بتلاميذِه شاعرًا بأبوتِه لهم وبنوتِهم له حريصًا على أن يبلغَ ما في نفوسِهم، وأن يبلغَهم ما في نفسِه متفانيًا في احتوائِهم مشفقاً عليهم مراقباً للهِ خائفًا مِنَ التقصيرِ والتفريطِ في حقِّهم.

أيُّها المسلمون يا حملةَ رسالةِ التدريس

المدرسون والمدرساتُ قدوةٌ، ولهم تأثيرٌ على طلابِهم من حيث يشعرون ولا يشعرون فتجبُ عليهم المطابقةُ بين القولِ والعملِ، إذ مناقضةُ القولِ الفعلَ ضربٌ مِنَ التلوثِ أو لونٌ مِنَ الفصامِ الشخصيِّ الذي لا يليقُ بالعقلاءِ، فمن بابِ أولى حملةُ رسالةِ التعليمِ، وقد أنكرَ القرآنُ المجيدُ على هذا الصنفِ، فقال: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾[2] وقالَ الكبيرُ المتعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا

(١) سورة البينة الآية: ٥ .
(٢) سورة البقرة الآية: ٤٤ .

تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[1] ؛ وعن أحمدَ المختارِ (صلى اللّهُ عليه وآلِه وسلمَ) قالَ: " لا أتخوَّفُ على أمتي مؤمنًا ولا مشركًا، ولكنِ الخوفُ عليكم عالمُ اللسانِ يقولون ما تعرفون ويعمل ما تنكرون" وللّهِ درُّ مَن قالَ:

تصفُ الدواءَ لذي السقامِ وذي الضنا كيما يصحَّ به وأنتَ سقيم

على أعضاءِ الهيئةِ التدريسيةِ قاطبةً أن يعملوا بمقتضى رسالتِهم على معنى أن تكون هناك صلةٌ بالاستقامةِ والأخلاقِ الحميدةِ، وصلةٌ بين العلمِ والإرادةِ وبينَ القولِ والتطبيقِ والقدوةِ .

عبادَ اللّهِ

مِنَ المخجلِ أنَّ بعضَ المعلمين والمعلماتِ يرى منكرًا ظاهرًا وخطاءً صريحًا أو حركةً سيئةً، فيسكتُ ولا ينصحُ، وبعضُهم يتجاهلُ ما شاهدَ، ويأتي بحديثٍ يتظاهرُ فيه كأنَّه لم يرَ شيئًا، فهو بعيدٌ كلّ البعدِ عن توعيةِ طلابِه وأمرِهم بالمعروفِ ونهيِهم عنِ المنكرِ، ويقولُ: أنا معلمٌ ولست منتقدًا ومتدخلًا أو يقولُ: هذه التصرفاتُ يصلحُها مدرسُ التربيةِ الإسلاميةِ، وهو المسؤولُ عنها، وهذا جوابٌ غيرُ مقبولٍ، فصفةُ المدرسِ المسلمِ المحبِّ لأمتِه ووطنِه وتلاميذِه غيرَ مرتبطةٍ لا بمادةٍ ولا بطبقةٍ ولا بأسرةٍ ولا بمعهدٍ ولا بشهادةٍ أو درجةٍ علميةٍ، ولا بزيٍّ كهنوتي، فالإصلاحُ ليس حكرًا على مدرسِ التربيةِ الإسلاميةِ، بل مِن أوجبِ واجباتِ المعلمِ والمعلمةِ النصحُ والإرشادُ والتوجيهُ لطلابِهم.

أحبتي في اللّه

يقولُ رسولُ اللّه (ﷺ): " واللّه إني لأستغفرُ اللّهَ وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ مِن سبعين مرةً " فاقتدوا بنبيِّكم واستغفروا ربَّكم، وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجبْ لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

---

(١) سورة الصف الآيات: ٢ - ٣ .

★★★

فللهِ الحمدُ ربِّ السمواتِ وربِّ الأرضِ ربِّ العالمين؛ والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آلِه وأصحبِه الغرِّ الميامين؛ أمَّا بعد:

فيا أيُّها المربون والمربيات للأجيال

إنَّ المنهجَ الدراسيَ ليس قرآنًا يُتلى، فلا بُدَّ مِنَ الحرصِ على توسيعِ مدارِك ثقافتِكم وبحثِكم والسهرِ على طلبِ العلمِ وإثراءِ الطلبةِ بمطالعتِكم مِنَ المؤسفِ أنَّ بعضَ المدرسين والمدرساتِ يعانون مِنَ الظمأ المعرفيِّ والجوعِ الثقافيِّ وضحالةِ الأُفقِ والتفكيرِ، فو الذي نفسي بيدِه لو أنَّ مدرسَ التربيةِ الإسلاميةِ أخلصَ وغرسَ حبَّ العقيدةِ الإسلاميةِ وحبَّ اللهِ ورسولِه (صلى اللهُ عليه وآلِه وسلمَ)، وكانَ لديه اطلاعٌ مِنَ السيرةِ النبويةِ وسيرِ السلفِ الصالحِ، ولو أنَّ مدرسَ اللغةِ العربيةِ أخلصَ وجعلَ الأمثلةَ النحويةَ والصرفيةَ والبلاغيةَ مستوحاةً مِنَ الكتابِ والسنةِ مع شرحٍ بسيطٍ، ولو أنَّ مدرِّسَ الرياضياتِ ربطَ نظرياتِ العالمِ عنَ الرأسمالِ والعمالِ والأرضِ والبنوكِ بالنظامِ الاقتصاديِّ الإسلاميِّ، ولو أنَّ مدرسَ الفيزياءِ والكيمياءِ والأحياءِ ربطوا دروسَهم باللهِ والرسولِ (صلى اللهُ عليه وآلِه وسلمَ)، والكونِ والعظمةِ الإلهيةِ ولو أنَّ المدارسَ تبنتْ مشاريعَ ببدايةٍ بسيطةٍ قائمةٍ على العلمِ التجريبيِّ تفتحَ آفاقَ الأجيالِ، فليستِ الدباباتُ والطياراتُ والرشاشاتُ تبعثُ العزائمَ، وتوقدُ نيرانَ الحميةِ في صدورِ الأجيالِ بلِ العزيمةُ والعقولُ المدبرةُ والمعاملُ هي التي تولدُ مِن أرحامِها الدباباتُ والطائراتُ والرشاشاتُ لو تحققَ هذا لكنا أُسودَ الأممِ لا قطعانَها وحينها ترجعُ خيريةُ هذه الأمةِ المرحومةِ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

(١) سورة البقرة الآية: ١١٠ .

أيُّها الموحدون

علت أصواتُ كثيرٍ مِنَ المدرسين والمدرساتِ مطالبين بالإصلاحِ، وإنا نرجو مِن أهمِّ الإصلاحاتِ التي يلتفتُ إليها أساتذتُنا ما تخدمُ أمتَهم المكلومةَ، ووطنَهم الغليَّ العزيزَ وأبناءَ وطنهم وأمتِهم، وأهمُّ المطالبِ تقويةُ المادةِ العلميةِ في الموادِ كافةً، والعنايةُ بالطلابِ عنايةً خاصةً تعتمدُ على تقويةِ المادةِ العلميةِ في الموادِ كافةً والعنايةُ بالطلابِ عنايةً خاصةً تعتمدُ على المضمون والجوهرِ دونَ الشكلياتِ والكمالياتِ والإلحاحِ على دفعِ الأغلالِ والمصائبِ التي أفسدت المؤسسةَ التعليميةَ فقد صُبَّت عليها مصائبُ.. لو أنَّها صُبَّت على الأيامِ صرنَ لياليًا.

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

الخطبةُ الثالثةُ والستون

وبالوالدين إحسانًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي رزقنا من جميعِ آلاه، وجعلَ لنا معاشًا في ضوءِ نهارِه، وسكنًا في ظلمةِ الليلِ البهيمِ حتى تبلَّجَ بأسحارِه، خوَّفنا مولانا من الغرورِ بالزمان، فعمارُه مقرونٌ بخرابِه، وشَهدُه مختومٌ بأوصابِه، وحذَّرنا مِن رسنِ[1] الهوى بطولِ عقابِه، وأنذرنا عقوقَ الوالدين بخطبٍ صاعدٍ بصعابِه، سبحانَه قرنَ طاعتَه بطاعةِ الوالدين وإلا فتعجيلٌ بعذابٍ في الدنيا حتى عضةِ نابِه، ثم في الآخرةِ بابٌ مفتوحٌ إلى طباقِ عذابِه، وهل ثمتَ نجاةٌ؟ لا ولن في جهنمَ إلى مدى أحقابِه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً معدةً للشدائدِ يومَ لقائِه، وأشهدُ أنَّ سيدَنا وحبيبَنا وعظيمَنا محمدًا رسولُ اللّٰه (ﷺ) أرسلَه اللّٰهُ بسرِّ الإيمانِ وسنائِه، فطمَّ على رجسِ الجاهليةِ بعُبابِه[2]، وتدفقَ نهرُ اللّٰه ورسولِه (ﷺ) بغيثِ الحقِ حتى امتلأت منه الجزيرةُ وامتلأَ العالمُ مِن هَتونِ سحابِه حتى رفلَ الإسلامُ في أذيالِه، واعتدلَ الحقُ في جميعِ أحوالِه، وتلالأ كالدرِ منظومًا بجيدِ كعابِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

سيعمُّكم قَدَرُ اللّٰه الذي لا محيصَ لكم من مكتوبِه ولا قبيلَ، فلا تغرنَّكم الحياةُ الدنيا فإنَّها متاعٌ قليلٌ، أنسيتم سكراتِ موتٍ أعيتِ الأطباءَ؟ وظلماتِ قبورٍ أطبقت على الأحياءِ؟ وسؤالَ ملائكةٍ يبهتُ عندَها الفصحاءُ الألباءُ؟ وأهوالَ قيامةٍ يعظمُ فيها التغابنُ والحسراتُ؟ وطولَ مقامٍ تتصاعدُ فيه مِنَ النفسِ الزفراتُ؟ وشدةَ حسابٍ يأتي على عزائمِ القلوبِ

---

(١) رسن: حبل .

(٢) بعُبابِه: بسيلِه الجارفِ .

والخطراتِ؟ يا له مِن موقفٍ يشيبُ فيه الأطفالُ، وتُفضحُ فيه الأعمالُ، وتكثرُ فيه الأفزاعُ والأهوالُ، جعلني اللّهُ وإياكم ممن اتَّعظَ بالمواعظِ الزاجرةِ، وجمعَ لنا ولكم بين خيري الدنيا والآخرةِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾[2].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

قبلَ الدخولِ في عمقِ الخطبةِ، نريدُ تقريبَها بمثلين بسيطين، فأرجو أن تنتبهوا إليهما جيدًا، جميعُنا يعرفُ الكُحلَ الذي تضعُه المرأةُ على عينيها من أجلِ الزينةِ، هذا الكُحلُ عبارةٌ عن نوعٍ من أنواعِ الحجارةِ موجودٌ بكثرةٍ في أرضِ الإسلامِ وهو مرميٌّ على الطرقِ لا يلتفتُ إليه أحدٌ ولا تعتني به الحكوماتُ القائمةُ في دولِ الإسلامِ، فلمَّا أخذته الدولُ الغربيةُ، وأنشأت له المصانعُ وهيأته أصبحت دولُنا تتنافسُ عليه وتوردُه بكمياتٍ متعددةٍ ومختلفةٍ وبمقاييسَ ومعاييرَ متفاوتةٍ.

لما تغرَّبَ حازَ الفضلَ أجمعَه ... فصارَ يُحملُ بين الجفنِ والحَدقِ

خذوا المثلَ الثانيَ: لما نادتِ الدولُ الأوربيةُ بمشروعِ الضمانِ الاجتماعيِّ، ونظرت فيه مجالسُهم، ونفَّذته حكوماتُهم صرخت حكوماتُنا والناسُ، وقالوا: يا له من مشروعٍ عجيبٍ وغريبٍ، وتملكَهم الغرامُ والإعجابُ، وأخذوا يمجدون ذلك الغربَ الحائرَ، ويتحدثون عن عنايتِه بالفقراءِ والضعفاءِ والعجزةِ والمصابين، ولم يدرِ هؤلاءِ الجاهلون أنَّ الضمانَ الاجتماعيَ ركنٌ من أركانِ الإسلامِ، فربُّنا جلَّ وعلا يقولُ: ﴿ لَّيۡسَ

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.
(٢) سورة الحشر الآية: ١٨.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[1] فالآيةُ وعددٌ مِن أمثالِها تشيرُ بجلى إلى مشروعِ الضمان الاجتماعيِّ .

أهلَ السمو والسيداتِ والإحسان

تحتفلُ طوائفُ مِنَ الناسِ في مثلِ الحادي والعشرين مِن مارسَ ببدعةِ عيدِ الأمِّ، ولا يحبُّ منبرُ رسولِ اللّه (ﷺ) أن يأتيَ بشهرِ الميلادِ، وليسَ بميلادٍ فليس بينَه وبينَ الإسلامِ نسبٌ ولا خلةٌ، وقد كفانا الخليفةُ الثاني عمرُ بنُ الخطابِ (رضيَ اللّهُ عنه) بالتأريخِ الهجريِّ الذي تعتزُّ به أمةُ الإسلامِ، ولئن ساقَ المنبرُ ذلك الشهرَ، فهو سَوقُ اضطرارٍ لإيصالِ الفكرةِ بكاملِ وضوحِها، وهناك أسئلةٌ خطيرةٌ جدًّا، هل نحنُ بحاجةٍ إلى عيدِ الأمِّ؟ وهل شرعَ اللّهُ ورسولُه(ﷺ) يومًا ليكونَ عيدًا للأمِّ؟ أليسَ للإسلامِ عيدان لا ثالثَ لهما! وهل حقُ الأمِّ يومٌ واحدٌ من كلِّ سنةٍ؟ وهل إشعالُ الشموعِ وتبادلُ الرسائلِ والهدايا مِنَ البنينِ والبناتِ لأمهاتِهم العزيزاتِ هو البرُّ الحقيقيُّ؟ أم لأنَّ عيدَ الأمِّ واردٌ غربيٌّ مئةٌ بالمئةِ، فلا يقتنعون بما في الكتابِ ولا سنةِ رسولِ اللّه (ﷺ) وقد تعوَّدن أن نكونَ لصوصًا نتخذُ مِنَ الغربِ ألهةً وأندادًا نحبُّهم كحبِّ اللّهِ، أو أشدّ حبًّا كما صنعنا في مسألةِ الكُحلِ والضمان الاجتماعيِّ.

أيُّها المؤمنون.رعاكم اللّهُ.

من أرادَ أن يعرفَ حقَّ الأمِّ، فليسَ بعيدِ الأمِّ، ومن أرادَ أن يدركَ حقَّ والديه فليسَ بمظاهرَ جوفاءَ وعواطفَ عنِ اليمنِ والشمالِ مَن شاءَ أن يعرفَ حقَّ والديه فتحت حروفِ وقضى، مَن أحبَّ البرَّ بوالديه فليراجع إحسانًا، من أرادَ حلاوةَ البرِّ بوالديه فتحت تنوينِ كلمةِ أفٍ، مَن صدقَ في

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

محبةِ والديه فليبحث عن صدقِه تحتَ جَناحِ الذُّلِ، وليقرأ بعد ذا مِن سورةِ الإسراءِ قولَه تعالى متبتلًا خاشعًا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[1].

ومَن أرادَ الجهادَ فعنِ الكريمِ (ﷺ) ففيهما فجاهد، أي في الوالدين، ومَن أرادَ بركةً في عُمُرِه ورزقِه فليبرَّ والديه، ومَن أرادَ تجارةً رابحةً، فليتاجر في والديه، وهما حيَّان، إنَّ المسلمَ الصادقَ يَعتبرُ كلَّ دقيقةٍ مع أمِّه وأبيه عيدًا جديدًا له لأنهما من أسبابِ دخولِ الجنةِ، بطاعتهما والإحسان إليهما وكفِّ الأذى عنهما وتقديمِهما عن أصحابِنا وأصدقائِنا وزوجاتِنا وبطيبِ الكلامِ إليهما وخفضِه والإبتسامِ إليهما والإنفاقِ عليهما؛ وفي زمنِ الكِبَرِ خاصةً، وهما من أسبابِ دخولِ النارِ بعقوقِهما والمنِّ عليهما وعدمِ البرِّ بهما وتقديمِ الزوجاتِ عليهما وعدمِ اتباعِ أوامرِهما؛ وكيف لا يكونُ كذلك أيُّها المسلمُ، وقد حملتك أمُّك تسعةَ أشهرٍ حملًا ثقيلًا، وحين ولادتِها تقاسي بوضعِك ألمًا شديدًا، وعذابًا وبيلًا، وكم مِنَ الأمهاتِ فارقن الحياةَ في طلقاتِ الولادةِ، وقد أرضعتكَ حولين كاملين مِن صدرِها لبنًا، وأطالت لأجلِك وسنًا، وغسلت بيديها عنك الأذى، وآثرتك عن نفسِها بالغذاء، وصيَّرت حِجرَها لك مهدًا، وأنالتك إحسانًا ورفدًا، فإياكَ ثم إياكَ أن تعقَها أو تضيِّعَ حقَها، أو تظنَّهُ في يومٍ واحدٍ مِنَ السنةِ، فتكونَ مِن الخاسرين في حياتِك، ويوم تُوفى كلُّ نفسٍ ما كسبت، وكانَ وعدُ ربِّك مفعولًا، أمَّا الأبُ الغالي فذلك الموجهُ القويمُ، يسعى ويكدُّ ينفقُ بسخاءٍ مِن أجلِك، كم قد قبَّلَك، وإذا حضرَ أقعدَك على حِجْرِه وصدرِه، وإذا خرجَ تعلقت به، كم يبذلُ لتعليمِك وتنشئتِك وتغذيتِك وتربيتِك، فجزاه اللهُ

(١) سورة الإسراء الآيات: ٢٣ - ٢٤.

مِن والدٍ كريمٍ وأبٍ رحيمٍ خيرَ الجزاءِ وأعظمَ المثوبةِ، فحذر أن تعتديَ على مقامِه، وعرف قدرَك، وكن له مع إخوانك وأخواتِك تالينَ قولَه تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

وفي السيرةِ: أنَّ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ – رضيَ اللهُ عنهُ – كانَ كثيرَ البرِّ بأمِّهِ مبادرًا للإحسان إليها شديدَ التواضعِ والانكسارِ إليها، وكانَ يخدمُها طوالَ الليلِ، وفي يومٍ مِنَ الأيامِ طلبت منه ماءً، فقامَ ولدُها ابنُ مسعودٍ إلى مكانِ الماءِ، فأحضرَهُ وأقبلَ وإناءُ الماءِ في يدِه، فلمَّا وقفَ عندَ رأسِها، فإذا هي قد غلبَها النومُ، فنامت فكرَه أن يبقضَها، وهي في بدايةِ نومِها، وكرَه أن يضعَ الماءَ بجانبِها، خشيَ أن تستيقظَ في ظلمةِ الليلِ، وهي عَطشى، ولا تدري أنَّ الماءَ موجودٌ عندَها فبقيَ واقفًا بهذا الماءِ ينتظرُ استيقاظَها، فإذا تعبَ جلسَ فإذا غلبَه النومُ وقفَ، ولم يزل على هذه الحالةِ حتى انفلقَ الفجرُ، وأذَّنَ المؤذنُ فاستيقظت ثم دفعَ الماءَ إليها؛ وقالَ: خذي يا أمي اشربي هذا الماءَ، فهذا هو البرُّ بالوالدين، وهذا هو الإحسانُ الحقيقيُّ والمحبةُ المتجذرةُ، فمن كصحابةِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، ومَن كابنِ مسعودٍ في برِّه.

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلت، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه يغفر لكم إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ الذي أمرنا بالبرِّ وأداءِ الحقوقِ، ونهانا عنِ القطيعةِ والعقوقِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه وأصحابِه وأتباعِه ما تعاقبَ الجديدان بين غروبٍ وشروقٍ؛ أمَّا بعدُ:

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٤١.

فيا أيُّها الأباءُ والأمهاتُ

وإذا كانَ للأبناءِ حقوقٌ عليكم، فكذلك عليكم حقوقٌ لابنائِكم، فرحمَ اللّهُ أبًا وأمًّا أعانا أولادَهم على خيرٍ، ورحمَ اللّهُ أبًا وأمًّا أعانا أولادَهم على برِّهما، عليكم أن تكونوا عونًا لأبنائِكم على الفضيلةِ، جاءَ رجلٌ إلى أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ـ رضيَ اللّهُ عنه ـ يشتكي مِن عقوقِ ولدِه وقلةِ أدبِه معه، فطلبَ أميرُ المؤمنين الابنَ، وقالَ له: هذا أبوك جاءَ يشكو عقوقَك، فرفعَ عليه الدرةَ العصا ليؤدبَه، فقالَ الولدُ: على رسلِك انتظر قليلًا يا أميرَ المؤمنين ثم قالَ ـ يا أميرَ المؤمنين ـ: أليسَ للولدِ حقٌّ على أبيه كما أنَّ للأبِ حقًّا على ولدِه؟ قالَ أميرُ المؤمنين: نعم. أن يحسنَ اختيارَ أمِّك، وأن يسميكَ اسمًا حسنًا، وأن يحفظَك القرآنَ، فقالَ الولدُ يا أميرَ المؤمنين: إنَّ أبي لم يفعل شيئًا من ذلك، أمَّا أمي فهي أمَةٌ خرقاءُ سفيهةٌ اشترها مِنَ السُوقِ، واسماني جُعلًا، ولم يحفظني مِن القرآنِ الكريمِ آيةً، فالتفت أميرُ المؤمنين عمرُ إليه، وقالَ له: قد سبقت ولدَكَ إلى العقوقِ.

فيا أولياءَ الأمورِ

إذا كانَ أولادُكم تربيهم القنواتُ ما بين الممثلين والممثلاتِ والراقصين والراقصاتِ والمطربين والمطرباتِ فعليهم السلامُ؛ ولا تنتظرون منهم إلا عقوقًا، وإذا كانَ يسهرُ الأبناءُ إلى الواحدةِ والثانيةِ ليلًا مع قرناءِ السوءِ فقد ضيعتموهم قبلَ أن يضيعوكم فلُم نفسَك يا وليَّ الأمرِ (يداك أوكتا وفوك نفخَ)، إذا كنتَ يا وليَّ الأمرِ عندك قصورٌ في التربيةِ وإهمالٌ في التنشئةِ فقد جنيت على نفسك الشوكَ والحنظلَ، كما يشهدُ واقعُنا الأليمُ عن انفلاتٍ خطيرٍ في تربيةِ البنين والبناتِ، فالواجبُ أن يراعيَ الأبُ والأمُّ حقوقَ الأولادِ ليكونوا بارين بهم نافعين لأمتِهم: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[1]، فهذا في الرجلِ وزوجتِه، وكذلك في

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢٨.

الوالدِ وولدِه، وكونوا أيُّها الأبناءُ بارين بأبائِكم وأمهاتِكم، فهما من أعظمِ أسبابِ دخولِ الجنان .

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

الخطبةُ الرابعةُ والستون

اللغةُ العربيةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي شرفنا باللغةِ العربيةِ، وجعلَها وعاءً للآياتِ العليةِ، وشعارًا للإسلامِ والأمةِ المحمديةِ، وسبيلًا مؤثرًا على العقولِ والأخلاقِ فكانَ تعلمُها فرضًا مِنَ الفروضِ العينيةِ، لممارسةِ الشعائرِ الفرضيةِ، مَن أدبرَ عن أمِّ اللغاتِ لغيرِها فقد اختارَ لنفسه اللغةَ الدنيةَ، ومَن جهلَها فقد تغلَّقت عليه العلومُ الشرعيةُ، وتعمَّت عليه مرامي الكتابِ والسنةِ النبويةِ، فيا مَن قرأَ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾[1] بجرِ ورسولِه، أليسَ رسولُه مرفوعًا بالضمةِ العليةِ، بلى فرسولُنا(ﷺ) في الولايةِ العُظمى والجنةِ العليةِ، نحمدُه تعالى أن علمنا البيانَ، ويسرَ لنا نطقَ الحروفِ الهجائيةِ، وأنزلَ آياتِه وأحكامَه بحُكمِ العربيةِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، القائلُ في حقِّ كتابِه المبينِ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾[2] فهنيئًا للغتِنا هذه الشهادةِ مِن خالقِ البريةِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ اللّٰه ورسولُه أفصحُ مَن نطقَ بالضادِ، وانقادت له الجوامعُ الكلاميةُ، فصلى اللّٰهُ وسلمَ عليه وعلى آلِه وأصحابِه وأتباعِه ما حذَّرَ محذرٌ مِنَ الأخطاءِ اللحنيةِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا مَن أنذرَه يومُه وأمسُه، وحادثَه بالعبرِ قمرُه وشمسُه، واستلبَ منه ولدُه وأخوه وعِرسُه، وهو يسعى إلى العصيانِ مشمرًا، وقد دنا حبسُه

---

(١) سورة التوبة الآية: ٣.

(٢) سورة الشعراء الآية: ١٩٥.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾[1] أمَا علمت أنَّك مسؤولُ الزَّمان فيما أفنيته وأبليته، مشهودٌ عليك يومَ تنطقُ الأركانُ فيما صنعته وفعلته، محاسبٌ على خطواتِ القدمِ وكلماتِ اللسان؛ تبصر خليلي بتدبرٍ وإمهالٍ إلى قولِ الملكِ العلاَّمِ ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾[2] فيا أيُّها العبدُ المسكينُ ارحم نفسَك وخلِّصها مِن نارٍ تلظى .

فمَن عصى خالقَه ما رَحِما لنفسِه أدخلَها جهنما

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[3] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[4] .

إخوةَ الإيمان

قبلَ بضعةِ أيامٍ طالعتنا الصحفُ المحليةُ عن سعيٍ حثيثٍ من مؤسساتِ التعليمِ العالي في زيادةِ حزمةِ التدريسِ للغاتِ الأجنبيةِ كاللغةِ الصينيةِ والفرنسيةِ والألمانيةِ في كلياتِ العلومِ التطبيقيةِ كما نجدُ حرصًا متناميًا بعقدِ الندواتِ والدوراتِ وفتحِ سيلٍ من المعاهدِ المعنيةِ بتدريسِ اللغةِ الإنجليزيةِ واللغاتِ الأجنبيةِ؛ وقبلَ التوغلِ في بحثِ الموضوعِ نتفقُ على أمرٍ هو أن تعلَّمَ لغاتِ الآخرين عندَ الحاجةِ إليها وخصوصًا إذا كان عندهم علمٌ يؤخذُ أو حكمةٌ تقتبسُ أمرٌ حميدٌ لم يمنعه الإسلامُ، بل دعا إليه باعتبارِ تعلمِ لغاتِ الآخرين مِن وسائلِ نشرِ دعوةِ الإسلامِ في العالمِ، وهي سببٌ لأمنِ مكرِهم وخديعتِهم، فقد رُويَ: " مَن تعلم لغةَ قومٍ آمنَ

---

(١) سورة ص الآية: ٥.

(٢) سورة الصافات الآية: ٢٤.

(٣) سورة الحشر الآية: ١٨.

(٤) سورة الطلاق الآيات: ٢ - ٣.

غدرَهم "، وقد كانَ من أصحابِ محمدٍ (ﷺ) مَن يعرفُ الفارسيةَ والروميةَ والحبشيةَ يكفونه هم الترجمةَ منها وإليها، ولَّما لم يكن عندَه (ﷺ) مَن يعرفُ اللغةَ السِّريانيةَ التي يكتبُ بها يهودُ أمرَ (ﷺ) كاتبَ وحيه الأنصاريَّ النابغةَ زيدَ بنَ ثابتٍ (رضيَ اللّٰهُ عنه) أن يتقنَها قراءةً وكتابةً فاستغنى به عن الوسطاءِ مِنَ اليهودِ، وقد صدقَ مَن قالَ:

فأقبل على درسِ اللغاتِ وحفظِها فكلُّ لسانٍ في الحقيقةِ إنسانُ

دراسةُ اللغاتِ مهمٌ في التواصلِ معَ الشعوبِ والاستفادةِ منها، وفي الأسفارِ والنواحي العلميةِ والاقتصاديةِ، ولا سيما في هذا الزمان الذي أصبحَ العالمُ كلُّه كقريةٍ صغيرةٍ.

أيُّها الأحبةُ في اللّٰه

ومع هذا كلِّه فإنَّ اللغةَ العربيةَ هي أمُّ اللغاتِ وأقدسُ اللغاتِ محفوظةٌ من ربِّ العالمين لأنَّها لغةُ التنزيلِ، وهي التي وسعت كتابَ اللّٰه تعالى لفظًا ومعنى هي من أعذبِ اللغاتِ وأجملِها وأسلسها وأسهلِها، تمازجت علومُها مع دقاتِ القلوبِ ومعارجِ الأرواحِ لأنَّ اللّٰهَ شرَّفَها لغةً لتحمُّلِ وحيه وهدايته للناسِ أجمعين، وطبعَها على أنَّها دقيقةٌ، وبناها لغةً في باطنها الاقتدارُ على إبلاغِ كلِّ الأفكارِ بوضوحٍ كاملٍ، وشَهِدَ ربُّ العزةِ بذلك، وهو خيرُ الشاهدين، فقالَ: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1] ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2] ولم يتساهل الإسلامُ بشأنِ اللغةِ العربيةِ، فهي المميزُ الأولُ ــ إن لم يكنِ الأوحدُ ــ لذاتيةِ الأمةِ الإسلاميةِ وأصلِها، وهي التي تبرزُ هويتَها، وتحددُ شخصيتَها، وبها تكونُ الأمةُ أمةً وبدونها ضياعٌ وتسليمٌ للذاتِ.

(١) سورة النحل الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الشعراء الآيات: ١٩٣ - ١٩٥.

أهلَ القرآن واللغةِ العربيةِ

يجبُ أن نعترفَ بارتباكِنا الفكريِّ الذي أنجبَ لنا إزدواجيةً في المعايير، وعَشى في التصورِ، وفشلًا ذريعًا في سلكِ الأولوياتِ، ففي الوقتِ الذي ننادي فيه بزيادةِ اللغاتِ الأجنبيةِ والعنايةِ بها، وإنَّ مِن ثمارِها كذا، ومن فوائدِها كذا، ونجدُ الشابَ يملأُ شدقيه بالحديثِ عن فوائدِ اللغاتِ الأجنبيةِ بكلِّ حماسةٍ واندفاعٍ نجدُ في المقابلِ ضعفًا خارقًا وهزالًا خطيرًا في العنايةِ بلغتِنا الأمِّ العربيةِ، كانَ من مراعي هذا الضعفِ أجيالٌ لا تعرفُ القراءةَ والكتابةَ حتى يصلَ بنا العجبُ إلى درجةِ الاستحكامِ، فترى شابًا وشابةً في الصفِ الحادي عشر والثاني عشر يتعتعُ الكلمةَ حتى يتقنَ نطقَها، وربَّما يتعسرُ عليه نطقُها أصلًا، ويطمحُ الأساتذةُ المثابرون في المراكزِ الصيفيةِ لتحفيظِ المترددين عليها شيئًا مِنَ القرآنِ الكريمِ، فتأتي المفاجأةُ المؤلمةُ بأنَّ أغلبَ الطلبةِ لا يعرفون قراءةَ القرآنِ الكريمِ، فيحولون مساعيَهم مِن تحفيظِهم إلى تعليمِهم للنطقِ الصحيحِ للآياتِ، وتجدُ طلابًا وطالباتٍ في الجامعاتِ، وفي مناصبَ لا يحسنون صياغةَ رسالةٍ، ولا يجرؤن على الكلامِ بفصاحةٍ ووضوحٍ، وبالجملةِ فإننا نعاني مِن ضعفٍ مُركزٍ في اللغةِ العربيةِ يشملُ الدارسَ والمعلمَ والمؤسسةَ التعليميةَ والبيئةَ التي آثرت اللهجةَ العاميةَ والمحليةَ عن العربيةِ الفصحى.

أيُّها المؤمنون

إننا ظلمنا اللغةَ العربيةَ، وأسأنا إليها وهمَّشنا العنايةَ بها، بل كنا سببًا في تفاقمِ المشكلةِ بسببِ مناهجِ اللغةِ العربيةِ القائمةِ على الحشوِ والاسهابِ في الجانبِ الأدبيِّ والنظريِّ، والأسلوبِ الهزيلِ مما جعلَ الناشئةَ والطلبةَ يكرهون لغتَهم، ويرسخُ في أذهانهم أنَّ اللغةَ العربيةَ صعبةٌ كما نشجعُ على اللغاتِ الأجنبيةِ، ونبذلُ في سبيلِها أموالًا طائلةً، وليسَ هذا للغةِ العربيةِ، إنَّه مِنَ المؤسفِ أن نتحدثَ بكلِّ مرارةٍ أنَّ دولةً كاليابانِ نهضتُها حديثةٌ أدركت بوعيٍ أنَّها لن يتمَ لها امتلاكُ ناصيةِ العلومِ والصناعةِ إلا بنقلِها إلى لغتِها ونشرِها بين العالمين مع المحافظةِ على

أصولِها وثوابتِها برغمِ ما فيها من كثرةِ اللهجاتِ والصعوباتِ والتعقيداتِ، ولم يرتفع صوتٌ هناك ينادي باتخاذِ العاميةِ أو يجعلُ التعليمَ في المعاهدِ والجامعاتِ باللغةِ الإنجليزيةِ، وفي مقابلِ هذا الاتجاهِ نجدُ اتجاهًا معاكسًا في بلادِنا وافتتانًا باللغاتِ الأجنبيةِ وليت الأمرَ اقتصرَ عند أخذِ هذه المناهجِ على خيرِها بل جاءتنا بشرِّها وسُمومِها، فقد أخذناها بقصدِ تعليمِ اللغاتِ من دولٍ لا تدينُ بالإسلامِ .

وفيها مخالفاتٌ صارخةٌ لإسلامِنا ومبادئِنا وعاداتِنا، فهي مناهجُ مشحونةٌ بالنساءِ المتبرجاتِ وبإظهارِ مفاتنِها، وبصورٍ للعلاقاتِ المبنيةِ على الحبِّ والغرامِ وصورٍ للمحرماتِ ويا طالبًا ويا طالبةً انظروا الصورَ، وتحدثوا عنها، وفي موادِها العلميةِ مخالفاتٌ طافحةٌ وليس ثمةَ ناصحٌ أمينٌ، فجميعُنا صمٌّ بكمٌ عميٌ، وكأنَّ الأمرَ لا يعنينا، ولا يهمُّنا، ونقطةٌ مهمةٌ أشيرُ إليها عَرضًا لأهميتِها العظمى، وهي أنَّه يأتي وقتُ الصلاةِ في الجامعاتِ والكلياتِ، ولا فسحةَ ولا التفتَ إلى وقتِها، ومن يخرج يعاقب ويسجل غائبًا، بل تجاوزَ الأمرُ إلى غاياتٍ خطيرةٍ تمسُّ سَدَنةَ[1] السلكِ التدريسيِّ[2] نفسه؛ فلا أدري هل نحن في دولةٍ إسلاميةٍ؟ أهكذا الاهتمامُ باللغةِ العربيةِ؟ أهكذا الاهتمامُ بصلاتِنا؟ أبهذه المناهجِ المريضةِ نحافظُ على أصولِنا ونربي أجيالَنا؟ أبمثلِ هؤلاءِ الغربيين عن الإسلام نعلِّمُ أولادَنا؟ فانظروا ـ رحمَكم اللهُ ـ في الأمرِ وشدوا يدًا وعصبوا رأسًا بلغةِ القرآنِ الكريمِ وإسلامِكم، واستغفروا ربَّكم إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

---

(١) سَدَنَة: حرَّاسُ وأساسُ السِّلكِ .

(٢) هناكَ غاياتٌ خطيرةٌ وحقائقُ مرةٌ، يَضطربُ منها الوتينُ، ويَعرقُ منها الجبينُ، تجبُ متابعتُها واتخاذُ اللازمِ، فقد أخبرني طالبٌ في السنةِ الجامعيةِ الأُولى أنَّ بعضَ الدكاترةِ الأجانبِ لا يدينون بالإسلامِ، وتظهرُ منهم فلتاتٌ خطيرةٌ تسممُ عقيدةَ الناشئةِ، وتلوثُ أفكارَهم، قالَ: إنَّ دكتورَنا لا يدينُ بالإسلامِ، فقالَ لنا – يومًا – وكنتُ أنا الوحيدُ مِنَ الذكورِ بينما البقيةُ إناثٌ –: هذا واجبٌ وغدًا أراه، فردَّ عليه الطلبةُ: إنَّ شاءَ اللهُ، فردَّ عليهم:(no ln sha allah). فيما حدثني طالبٌ أخر أنَّ الدكتورات الأجنبيات اللاتي بالجامعةِ لا يلبسنَ لباسًا محتشمًا، وما أسفلَ الركبةِ مفتوحٌ، بينما لا يوجدُ حجابٌ يسترُ رأسَهن .

***

الحمدُ للّٰهِ حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً مِن عندِه وعلى آلِه وصحبِه مِن بعدِه؛ وبعدُ:

فاستمعوا إلى هذه الحقيقةِ التي نسجلُها ببالغِ الحسرةِ والأسى عندما نقارنُها بوضعِنا، ولعل فيها ذكرى لنا إن نفعتِ الذكرى لقد كانتِ اللغةُ العِبْريةُ اليهوديةُ قبلَ قرنٍ مِنَ الزمنِ ميتةً لا تحملُ تراثًا يُذكرُ مِن علمٍ أو فكرٍ أو أدبٍ، ولا أحدَ يتكلمُ بها إلا في المعابدِ بأعدادٍ قليلةٍ تُعدُّ وتُحصى، لغةٌ لا أثرَ لها في حياةِ الناسِ لا في البيتِ ولا في العملِ، ولا في المدرسةِ، ولا في الكليةِ، وإذا بالدولةِ اليهوديةِ المغتَصِبةِ تقومُ قبلَ بضعةِ عقودٍ مِنَ الزمنِ فقط، فتبعث لغتَها العِبْريةَ مِن قبرِها، وتعممَ تعليمَها لأطفالِها في سائرِ العالمِ لمَن يدينُ باليهوديةِ، فأصبحت لغةً تحملُ جميعَ العلومِ، تُدرَّسُ بها المعارفُ في جامعاتِ الدولةِ اليهوديةِ المغتَصِبةِ، وتبذلُ أموالاً باهضةً لنشرِ لغتِها في العالمِ، وتتخذُ مدارسَ في عددٍ من الدولِ الغربيةِ لهذه اللغية، وورثنا نحن لغةً حيةً عظيمةً، فأهملناها وخنقنا أنفاسَها وما زلنا نضغطُ عليها كلَّ يومٍ، والعجبُ أنَّ صاحبَ اليدِ الخانقةِ ينادي ما هي الوسيلةُ لإحياءِ اللغةِ العربيةِ ونشرِها!

أيُّها الناسُ

إنَّ حياةَ اللغةِ العربيةِ في استعمالِها والتزامِها في كلِّ شؤونِ الحياةِ، وفي العنايةِ بتثقيفِ الفكرِ، وتحبيبِ الناشئةِ للغتِهم، وفي إحياءِ روحِ الاعتزازِ والفخرِ بلغتِنا لا باللغاتِ الأجنبيةِ، كما على الحكوماتِ المسلمةِ عامةً، وحكومتِنا خاصةً أن تعتنيَ عنايةً فائقةً بالعربيةِ بإنشاءِ المعاهدِ والكلياتِ والجامعاتِ المعتنيةِ بلغتِنا الجميلةِ، وأن تبذلَ ما بوسعِها للارتقاءِ بمستوى لغةِ الناشئةِ منذُ نعومةِ أظافرِهم إلى مراحلِ تخصصاتِهم، وأن يكونَ هناك بذلٌ لإخواننا المسلمين في العالمِ بتأسيسِ المعاهدِ، وبعثِ المدرسين لتعليمِ اللغةِ العربيةِ، ولنا بالشرقِ الإفريقيِّ آباءٌ وأبناءُ عمٍّ لا يعرفون اللغةَ العربيةَ، ونسوها بسببِ مسيحيةِ الدولةِ وإهمالِها للغةِ

العربيةِ، فماذا قدَّمنا لهم لنكونَ صادقين في حبِّنا لإسلامِنا ولغتِنا، إنَّ الجميعَ مطالبٌ حكومةً وشعبًا بالعنايةِ باللغةِ العربيةِ والمحافظةِ عليها ونشرِها ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

(١) سورة الأحقاف الآية: ١٢.

الخطبةُ الخامسةُ والستون

حادثةُ الإفكِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي قسَّمَ عبادَه إلى قسمين طائعٍ وأثيمٍ، وجعلَ مآلَهم إلى دارين دارِ النعيمِ ودارِ الجحيمِ، فمنهم من عصمَه عن الخطايا، فكأنَّه في حريمٍ، ومَنهم قضى له أن يَبقى على الذنوبِ ويقيمَ، ومنهم متردِّدٌ بين الأمرين والعملُ بالخواتيمِ، خرجَ موسى ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ راعيًا فعادَ وهو الكليمُ، وذهبَ ذو النون ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ مغاضبًا فالتقمَه الحوتُ وهو مليمٌ، وكانَ محمدٌ(ﷺ) يتيمًا، فصارَ الكونُ لذلك اليتيمِ، سبحانَه برَّأَ عائشةَ في آياتِ الكتابِ الحكيمِ، وتوعدَ الذي تولى كبرَه منهم له عذابٌ عظيمٌ، وحذَّرَ مَن أحبَّ إشاعةَ الفاحشةِ بالعذابِ الأليمِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، أنعمَ علينا بالفضلِ العميمِ، وهدانا إلى الصراطِ المستقيمِ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه صاحبُ الخلقِ العظيمِ والمنهاجِ القويمِ (ﷺ)، وعلى آلِه وأصحابِه أولي الفضلِ والتصميمِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا طالبَ الدنيا بذنبٍ واحدٍ أبوك أُخرجَ منها، أفتريدُ دخولَها بذنوبٍ ما تبت عنها؟ كأني أراكَ تنقضي بالجهلِ ساعاتُك، وتذهبُ في المعاصي أوقاتُك، فخليقٌ أن تجريَ دمًا دموعُك، وحقيقٌ أن يقلَّ في الدجى هجوعُك، طارَ الواعظُ بالنصحِ تترى، وذكّرَك يا صاحِ بالموتِ والأهوالِ عشيةً وصبحًا، فلا هطلت على الذنوبِ مقلتاك، ولا اعتبرت حين اشتعل شيبًا فُوْداك، ولا تزالُ سادرًا في غيِّك يعلنُ حربًا على اللّٰهِ أجوفاك، وسترى غدًا ما قدمت يداك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٢٨﴾[1]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[2].

يا أهلَ الإيمان

ألقوا إليَّ أسماعَكم لهذا الحدثِ الخطيرِ والخطبِ المدلهمِ الجسيمِ، فعندَ عودةِ إمامِ المرسلين(ﷺ) مِن غزوةِ بني المصطلق ـ المريسعِ ـ في السنةِ السادسةِ مِن هجرةِ الحبيبِ (ﷺ) انبجست أعني انفجرت بساحتِه (ﷺ) أعنفُ المعاركِ النفسيةِ، صاحبَها نقعٌ اشتدَّ لهيبُه، وصوتٌ علا زفيرُه، وحزنٌ اصطفقَ موجُه، إنَّها شرارةٌ طارت من رأسِ الشقاقِ وسيءِ الأخلاقِ إمامِ اليهودِ والنفاقِ بلا نزاعٍ عبدِ اللهِ بنِ أبيٍّ بنِ سلولٍ الحاطبِ بليلٍ الخابطِ في العُبابِ الأخضرِ الطامي الناطقِ بعُورِ الكلامِ الشاربِ مِن أكدارِ الضلالِ؛ ظنَّ أنَّه جاءَ بالشوكِ والشجرِ، وما جاءَ إلا بقرني حمارٍ ورجلي أُفعوان، فيا بئسَ ما فاه فضَّ اللهُ فاه، ويا قُبَح ما شَفا رَماه اللهُ في شَفا، إنَّها قصةٌ امتزجت منها البحارُ، وتصدعت منها الجبالُ، وتكدرت مِن أحداثِها النجومُ في الليالي الصافيةِ السُّودِ، إنَّها قصةٌ فيها مِنَ العبرِ والعظاتِ والتربياتِ ما يستفيدُ منها كلُّ مؤمنٍ باللهِ جلَّ وعلا.

إخوةَ الإسلامِ

قالت عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ ـ رضيَ اللهُ عن أبيها وعنها ـ كانَ النبيُّ(ﷺ) إذا أرادَ سفرًا مِنَ الأسفارِ أقرعَ بين نسائهِ، فأيتهنَ خرجَ سهمُها ـ أي فازت في القرعةِ ـ خرجَ بها معه، وفي غزوةِ بني المصطلقِ أقرعَ بين نسائِه فوقعتِ القرعةُ عليَّ فخرجت معه، وكانَ النساءُ إذ ذاكَ يأكلن العلقَ ـ أي ما يكفي لسدِ الرَّمقِ ـ فلم يُهجْهُنَ لذلك اللحمُ والشحمُ فيثقلنَ، وكنتُ في هودجي، فلمَّا رجعَ رسولُ اللهِ (ﷺ)، وقَرُبَ مِنَ المدينةِ المنورةِ قررَ المبيتَ بعضَ الليلِ، ثم ارتحلَ هو والناسُ بينما كنتُ قد خرجت لبعضِ

(١) سورة الحديد الآية: ٢٨ .

(٢) سورة الحشر الآية: ١٨.

حاجتي، وفي عنقي عِقدٌ مِن خرزٍ فسقطَ عني؛ ولا أدري أين سقطَ؟ فرحت أبحثُ عنه فوجدته، بينما القومُ الذين يعتنون ببعيري ويقودونه ظنوا أني فيه، فاحتملوه على عادتِهم، وانطلقوا مع رسولِ اللّه (ﷺ).

أمَّا أنا فرجعتُ إلى المعسكرِ الذي ارتاحَ فيه النبيُّ (ﷺ) والناسُ، فلم أجد فيه أحدًا مِن داعٍ ولا مجيبٍ، فتلففت بجلبابي واضطجعت مكاني، وقلتُ في نفسي إنَّهم بلا شكٍ سيرجعون إليَّ عندما يفقدونني، وأنا على تلك الحالةِ إذ مرَّ بي صفوانُ بنُ المعطلِ السُلمِيُّ، وكانَ قد تخلفَ - أيضًا - عن المعسكرِ لحاجتِه، فأقبلَ إليَّ، وكان رأني قبلَ أن يُفرضَ علينا الحجابُ، فلما رأني استرجعَ، وقالَ: زوجُ رسولِ اللّه! ما خلَّفكِ عن الركبِ؟ فما كلمته أبدًا، ولا رددتُ عليه، وأنا في غايةٍ مِنَ التلففِ فقرَّبَ بعيرَه، وقالَ: اركبي فركبت، وأخذَ برأسِ البعيرِ مسرعًا إلى المدينةِ.

يا أولي الألباب.

انتبهوا للقصةِ ـ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1].

فلمَّا دخلَ صفوانُ بنُ المعطَّلِ بابَ المدينةِ، وفي بعيرِه عائشةُ بنتُ الصديقِ ـ رضيَ اللّهُ عنها ـ كانَ المنافقُ الأكبرُ ابنُ سلولٍ موجودًا في المعسكرِ بين قومِه الخزرجِ، إذ كانَ مِن جملةِ الخارجين في الجيشِ الإسلاميِّ الذي غزى بني المصطلقِ، فلمَّا رأهما، قالَ: واللّه ما نجت منه ولا نجى منها، ثم قالَ: امرأةُ نبيِّكم باتت مع رجلٍ حتى أصبحت ثم جاء يقودُها، فكانت هذه الشرارةُ الأولى لحادثةِ الإفكِ، فانتشرت شرارتُها للنيلِ مِن عرضِ رسولِ اللّه (ﷺ) وزوجِه الطاهرةِ الزكيةِ؛ وأنتنت زقةُ المدينةِ المنورةِ مِن هذا الكذبِ المبينِ، وفاحت روائحُ الشَّكِ، وانخدعَ كثيرٌ مِنَ المسلمين، وخاضَ منهم مَن خاضَ متهمين عائشةَ بارتكابِ فاحشةِ الزنا مع صفوانَ، هنا اشتدَّ الحزنُ برسولِ اللّه (ﷺ)، وتواترت عليه المحنُ النفسيةُ،

(١) سورة يوسف الآية: ١١١ .

وتكلَّف صاحبُ أطهرِ نفسٍ في تاريخِ الإنسانيةِ من الآلالم النفسيةِ ما تنهدُ له الجبالُ.

هذي الرزيةُ ما مِن بعدِها أبدًا تطرى مدى الدهرِ والدنيا رزياتُ

والحالةُ هذه انقطعَ خبرُ السماءِ، وتوقفَ الوحيُّ عن النزولِ حتى ذلك القلبُ الكبيرُ النقيُ الطاهرُ قلبُ محمدٍ رسولِ اللهِ (ﷺ) صارَ عرضةً لنزوعِ الشكِ والتحيرِ والقلقِ، فأعرضَ عن زوجِه عائشةَ (رضيَ اللهُ عنها)، وامتنعَ عنها، أمَّا آلُ الصديقِ أمَّا بنتُ الصديقِ أمَّا زوجُ الصديقِ أمَّا الصديقُ نفسُه ذو الوقارِ المتناهي والحساسيةُ المرهفةُ والطيبةُ الكاملةُ، فكانت مصيبتُهم أعظمَ مِن أن توصفَ، وهل هناك أعظمُ لأبي بكرٍ مِنَ الطعنِ في عرضِ ابنتِه زوجِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، أمَّا عائشةُ فكانَ الدَّمعُ مدرارًا مِن خديها، والنومُ فرَّ من عينيها، واستمرَ الوضعُ متأزمًا، والظنون تغدو وتروحُ، والأحزانُ تلفُّ البيتَ النبويِّ، والوحيُّ منقطعٌ لمدةِ شهرٍ كامل، وقد خطبَ النبيُّ (ﷺ) في الناسِ، وهو على المنبرِ قائلًا: " أيُّها الناسُ مَن يعذرُني مِن رجلٍ بلغني أذاه في أهلي؟ فو اللهِ ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ـ صفوانَ بنَ المعطلِ ـ ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كانَ يدخلُ على أهلي إلا معي"، فقامَ سيدُ الأوسِ سعدُ بنُ معاذٍ فقالَ يا رسولَ اللهِ: أنا واللهِ أعذرُك إن كانَ مِن الأوسِ ضربنا عنقَه وإن كانَ مِن إخواننا الخزرجِ أمرتنا ففعلنا فيه أمرَك، فقامَ سيدُ الخزرجِ سعدُ بنُ عبادةَ وكانَ رجلًا مؤمنًا تقيًا صالحًا، ولكن أخذتَه الحميةُ الخزرجيةُ، فقالَ: كذبت لعمرُ اللهِ لا تقتلُه ولا تقدرُ عليه، فثارَ النزاعُ بين الأوسِ والخزرجِ، واشتدَّ اللَّغطُ حتى هموا أن يقتتلوا، ورسولُ اللهِ (ﷺ) على المنبرِ فلم يزل يخفضُهم حتى سكتوا ونزلَ مِنَ المنبرِ، وانصرفَ عنهم (ﷺ) والإرهاقُ النفسيُّ ظاهرٌ عليه.

﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

★★★

(١) سورة هود الآية: ٥٢ .

الحمدُ للّه، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللّهِ وأصحابِه وآلِه، وبعدُ:

فقد دخلَ رسولُ اللّه (ﷺ) على آلِ الصديقِ وعائشةُ في بيتِ أبيها، فقالَ (ﷺ): " أمَّا بعدُ: فيا عائشةُ بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةٌ فسيبرُئكِ اللّه، وإن كنتِ ألممت بذنبٍ فاستغفري اللّهَ وتوبي فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنبٍ ثم تابَ تابَ اللّهُ عليه".

وكانَ الدمعُ يتدفق من عيني عائشةَ، فقالت لأبيها الصديق: أجب عني رسولَ اللّه فيما قالَ، فقالَ يا عائشةُ: ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللّه، وقالت لأمِّها أجيبي رسولَ اللّه، فقالت: ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللّه، قالت عائشةُ: كنتُ أرجو أن يرى رسولُ اللّه (ﷺ) في النومِ رؤيا يبرؤني اللّهُ تعالى بها، وما كنتُ أظنُّ أن ينزلَ فيَّ قرآنٌ فأنا دون ذلك، فسألَ رسولُ اللّهِ زينبَ بنتَ جحشٍ عن أمري، فقالت: ما علمت فيها إلا خيرًا.

أيُّها المؤمنون

والحالةُ هذه كما تسمعون، وفتنةُ الإفكِ في أوجها جلسَ رسولُ اللّه (ﷺ) بعدَ انقطاعِ الوحيِ لشهرِ زمانٍ، وبدأ يتحدرُ من وجهه العَرقُ مثلَ الجُمان[1] في يومٍ شاتٍ، فجعلَ يمسحُ العَرقَ عن وجهه، فقد بدأَ الوحيُ يتغشاه، وقد نزلَ للدفاعِ عن عائشةَ (رضيَ اللّهُ عنها) وتبرئةِ ساحتِها وبيانِ كذبِ هذه الفريةِ العظيمةِ؛ فقالَ (ﷺ) لعائشة: أبشري يا عائشةُ قد أنزلَ اللّه براءَتك ثم خرجَ إلى الناسِ، وخطبَهم وتلا عليهم ما أنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ من براءةِ عائشةَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[2].

---

(١) الجُمان: اللؤلؤ.

(٢) سورة النور الآية: ٢٨.

وبذلك انتهى حديثُ الإفكِ، وبطلَ مفعولُه المدمرُ، فقضي على تلك الفتنةِ العظيمةِ التي كادت تذهبُ بوَحدةِ المسلمين، وتشعلُ حربًا شعواءَ بينهم، وبعد نزولِ الآياتِ البيناتِ أُجريَ التحقيقُ مع الذين لهم ضلعٌ في إشاعةِ حديثِ الإفكِ، فلم يُثبتِ التحقيقُ سوى إدانةِ ثلاثةِ نفرٍ رجلين وامرأةٍ، وهم حسانُ بنُ ثابتٍ وحَمْنَةُ بنتُ جَحْشٍ ومِسْطحُ بنُ أُثاثةَ؛ وقد أُقيمَ حدُّ القذفِ على هؤلاءِ الثلاثةِ، وجلدوا ثمانين جلدةً، جُلدَ بها كلُّ واحدٍ منهم، والغريبُ أنَّ هؤلاءِ الثلاثةِ ليس بينهم منافقٌ واحدٌ، بل هم مؤمنُ حقًّا تأثروا بقوةِ الأراجيفِ والشائعاتِ، فنطقوا بما أوقعَهم تحت طائلةِ العقوبةِ من صريحِ كلامِهم في زوجِ رسولِ اللّٰه (ﷺ)، أمَّا عبدُ اللّٰه بنُ أُبيٍّ بنِ سلولٍ وعُصْبتُه المنافقةُ فقد نجوا مِن عقوبةِ القذفِ لأنَّ التهمةَ لم تثبت عليهم قانونًا، ولكن قد توعدَ اللّٰهُ ابنَ أُبيٍّ بعذابٍ عظيمٍ، وحسبُه ثم حسبُه ثم حسبُه مَن توعدَه اللّٰهُ.

أيّها الموحدون

فليحذر كلٌّ منا أن يُلطخَ لسانَه وأصابعَه في انتهاكِ أعراضِ الآخرين مِن رجالٍ ونساءٍ، فكما لا ترضون ذلك لأزواجِكم وبناتِكم وأخواتِكم، فالآخرون لا يرضون، وكونوا على حذرٍ، ولا سيما في هذا الزمانِ النكدِ الذي كَثُرَ فيه التسرعُ في رميِ الناسِ والبريئن والبريئاتِ، فقد أبدلت مجالسُنا مِن قرآنٍ كريمٍ وسنةٍ ماضيةٍ، وعلمٍ ينتفعُ به إلى تلذذٍ بقيلٍ وقالٍ وانتهاكِ أعراضٍ؛ وانتشرت صورٌ لفتيانٍ وفتياتٍ في مواقعِ الحاسبِ لتكونَ دسمًا لأصحابِ الأهويةِ والأغراضِ الخسيسةِ، ومن تمرنت نفسُه لتهيجِ الشهواتِ، فيا للّٰهِ ويا للمسلمين متى يرجعُ العودُ الى استوائِه، والضالُ إلى رشادِه.

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين

الخطبةُ السادسةُ والستون

ظاهرةُ النفاقِ من خلالِ معركةِ تبوك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي أعزَّ الإسلامَ بنصرِ تبوكَ في رجبَ فعبقَ مسكُ الإسلامِ البليلِ وهبَّ، واشتدَّ غصنُه الرطيبُ وشبَّ، وتردت رايةُ الكفرِ ومعها كلُّ قزمٍ جهولٍ ذنبٍ، وتشتت شملُ الرُّومانِ فهم في كلِّ فجٍ وحدبٍ، وانفضحَ النفاقُ بكلِّ شينٍ وعجبٍ، ولاحَ سخاءُ الصديقِ بفيضِ العارضِ اللجَّبِ، وهمى مزنُ الفاروقِ بمالٍ ونفسٍ يرجو حسنَ منقلبٍ، وعكرَ كذبُ ابنِ قيسٍ فقد سقطَ في الفتنةِ كببٍ، سبحانه جعلَ لشوكةِ الإسلامِ العزَّ والغلبَ، ولسرابِ الكفرِ الديجورَ والريبَ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً أذكى مِن الفلِّ والنسرينِ وأصفى مِنَ الذهبِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه جاءَ بالمعجزاتِ والكتابِ العجبِ، فصلى اللّهُ وسلمَ عليه وعلى آلِه وأصحابِه الناهضين إلى أعلا الرتبِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

ذهبَ نصفُ عامِكم هذا وفاتَ، وتقضت أيامُه ولياليه وأنتم بصددِ طلبِ اللذاتِ، فما أسرعَ ما تصرمت منه الأوقاتُ، وما أكثرَ ما خطبَكم لسانُ حالِه بزواجرِ العظاتِ، وما أطولَ ما نادى بكم فيه منادي الشتاتِ، وما أكثرَ ما قيلَ فيه فلانٌ ماتَ، فطوبى لمن تداركَ الهفواتِ قبلَ الفواتِ، وبُشرى لمَن لازمَ تقوى اللّهِ وعملَ مِن الصالحاتِ، وهنيئًا لمَن أذهبَ السيئاتِ بالحسناتِ، وخيبةً لمن شغلته الملاهي عن طاعةِ مولاه، وخسرانًا لمَن باعَ نفيسَ آخرتِه بخسيسِ دنياه، وحسرةً له حينَ تقولُ كلُّ نفسٍ يا حسرتا على ما فرَّطت في جنبِ اللّهِ، ألا وإنَّها قد أظلتكم أيامُ النصفِ القابلِ المفتتحِ بشهرِ رجبٍ الحرامِ، وهو إن قامَ فيكم برهةً على سفرٍ فاغتنموا بقيةَ عامِكم بصالحِ الأعمالِ، ومرِّنوها لاستقبالِ شهرِ رمضانَ، وتداركوا ما

وقعَ في الماضي مِنَ التفريطِ والإخلالِ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[2] .

أحبتي في اللهِ

في مثلِ فصلِكم هذا وشهرِكم هذا مِنَ السنةِ التاسعةِ للهجرةِ الإسلاميةِ، حدثت غزوةُ تبوك، وهي وما أدراكَ ماهي مِن أرهقِ غزواتِ الإسلامِ وأصعبِها، فالمسافةُ التي يقطعُها الجيشُ تقدرُ بألفِ كيلو مترٍ، وقد فاقمَ الأمرَ شدةُ الهجيرِ والحرِ المستطيرِ وضيقُ ذاتِ اليدِ بينما كانتِ المدينةُ المنورةُ تُغري الناسَ بالبقاءِ، فثمارُ النخيلِ قد طابت، والرفاهيةُ قد سادت، أمَّا عن تفاصيلِ هذه الغزوةِ وأحداثِها وأدوارِ النبيِّ محمدٍ(ﷺ) وأصحابِه مِن بذلٍ للمالِ والنفسِ والترتيباتِ التي قامت، وتحركِ الجيشِ يحتاجُ إلى سخاءٍ في وقتٍ لا تحتملُه عَجَلةُ المنبرِ، ولذا نتكلمُ عن ظاهرةٍ فاحت بقوةٍ في هذه الغزوةِ تبوكَ العُسرةِ، ونزلت فيها أكثرُ من ثمانين آيةً، إنَّها مرضٌ خبيثٌ تُظهرُ الذئبَ في صورةِ الحملِ، وتُزينُ الوحشَ الضاريَ في صورةِ الغزالِ، والصقرَ الجارحَ في صورةِ الورقاءِ الوديعةِ .

وما وهنت ولا ضاعتِ الأمةُ الإسلاميةُ إلا بسببِه، إنَّها ظاهرةٌ تفشت قديمًا، وتتفشى في مجتمعاتِ المسلمين اليومَ بكلِّ امتيازٍ مخلفةً الذلَ والهوانَ لأمةِ الإسلامِ تاركةً أخاديدَ خطيرةٍ مِنَ الركونِ إلى الدنيا وشهواتِها وملذاتِها، وتجاهلِ الموتِ والحسابِ ينتمي الواحدُ إلى الإسلامِ وأفعالُه وصنائعُه تحاربُ اللَّهَ ورسولَه (ﷺ) والإسلامَ.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨١ .

(٢) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

معاشرَ الإخوةِ

أتدرون ما هذه الظاهرةُ، إنَّها ظاهرةُ النفاقِ، وقد كانت أكثرُ أعمالِ المنافقين بروزًا في غزوةِ تبوك، أقبلَ رأسُ النفاقِ عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ الذي هو سيدٌ مِن ساداتِ الخزرجِ، والمنافقُ الكبيرُ الأولُ مرتديًا الزيَّ العسكريَّ يلوحُ بعمامتِه الشاهقةِ.

يمشي وقد نُصِبت عليه عِمامةٌ كالبرجِ لكن فوقَ تلٍّ نفاقِ

أقبلَ هذا الرجلُ في جيشٍ لُجبٍ مِن أصحابِه المنافقين على أنَّه جزءٌ مِنَ الجيشِ النبويِّ، فلمَّا بدأَ الجيشُ النبويُّ في التحركِ مِن ثنيةِ الوداعِ حيث كان يُعسكرُ لم يستطع ابنُ أُبيٍّ صبرًا، وزادَ الحرجُ في صدرِه حتى تصعَّدَ في السماءِ، فبدأت ألفاظُه تفوحُ خبثًا ونتانةً، وهنا أعلنَ تمردًا على اللهِ جلَّ وعلا ورسولِه (ﷺ) مِنَ الجيشِ، كما قامَ بتحريضِ بعضِ وَحَدَاتِ الجيشِ الأُخرى على التمردِ بالرجوعِ إلى المدينةِ، وفتحَ فاه مستهزئًا بقولِه: (يغزو محمدٌ بني الأصفرِ - الروم - مع جهدِ الحالِ والحرِ والبلدِ البعيدِ إلى ما لا قبلَ له يحسبُ محمدٌ أنَّ قتالَ بني الأصفرِ اللعبُ؟) ولكن محاولاتُ هذا المنافقِ الكبيرِ باءت بالفشلِ الذريعِ، فلم يتبعه في الإنسلاخِ مِنَ الجيشِ والرجوعِ إلى المدينةِ سوى رتلِه الخاصِ الذين نافقوا معه مِن قبلُ، وكانوا على رأيِه.

أيُّها المؤمنون

أتدرون ماذا كانَ موقفُ النبيِّ (ﷺ) مِن هذه الأفعالِ الشائنةِ، وهو (ﷺ) البعيدُ النظرِ والحليمُ الذي لم يبلغ أحدٌ مداه؛ لم يشأ أن يتخذَ أيَّ إجراءٍ مهما كانَ ضدَّ ابنِ أُبيٍّ ومَن معه مِن زمرةِ المنافقين، مع أنَّه ارتكبَ جريمةً في وقتِ طوارئَ وظروفٍ استثنائيةٍ، ولو كانَ ما حدثَ في النُّظمِ العصريةِ لأُنزلت به أقسى العقوباتِ التي تصلُ إلى حدِّ الإعدامِ بمن تثبتُ إدانتُه بعملِ تحريضٍ يُقصَدُ به الاضرارُ بالقواتِ المسلحةِ، وخاصةً إذا كانت في حالةِ استنفارٍ واستعدادٍ لمواجهةِ العدوِ، وهو ما فعلَه تمامًا

عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ ورتلُه، ولقد أثبتت الأحداثُ وأكدت أنَّ سكوتَ الرسولِ (ﷺ) هو عينُ الحكمةِ حيث كانَ خروجُ هؤلاء المنافقين مِنَ الجيشِ النبويِّ بمثابةِ تطهيرٍ له مِن جراثيمَ خبيثةٍ، كانت ستَلحقُ به أفدحُ الأضرارِ لو بقيت منخرطةً داخلَ صفوفِه لأنَّها ستكونُ دائمًا مبعثَ فتنةٍ وإرجافٍ وتشويشٍ، وقد أكدَ القرآنُ الكريمُ هذه الحقيقةَ، فقالَ جلَّ وعلا:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

أيُّها الموحدون

وقبلَ نفيرِ الجيشِ إلى تبوكَ ظهرَ المنافقُ الكبيرُ الثاني الجدُ بنُ قيسٍ فوجهَ نداءً إلى قومِه بني سلمةَ، فحثَّهم على التخلفِ، وقالَ لهم: لا تنفروا في الحرِّ، فنزلَ فيه قولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾[2].

فاستعيذوا باللهِ يا عبادَ اللهِ مِنَ النفاقِ، وأخلصوا لمولاكم في الأقوالِ والأفعالِ، فليس للنفاقِ إلا الدركُ الأسفلُ مِنَ النارِ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[3].

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[4].

★★★

(١) سورة التوبة الآية: ٤٧.
(٢) سورة التوبة الآية: ٨١.
(٣) سورة النساء الآية: ١٤٥.
(٤) سورة هود الآية: ٩٠.

الحمدُ للّه الذي بيَّن لعبادِه المسلمين صفةَ النفاقِ والمنافقين ليحذروا مكرَهم ويجتنبوا فعلَهم، واللّهُ يقولُ الحقَ، وهو يهدي السبيلَ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه أجمعين؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الأخيارُ

لَّما علمَ النبيُّ (ﷺ) عن المنافقِ الثاني الجدِ بنِ قيسٍ، وما يقومُ به من نشاطاتٍ خطيرةٍ ودسائسَ ماكرةٍ لإغراءِ بني سلمةَ بالتخلفِ عن رسولِ اللّه (ﷺ) ومحاولةِ التأثيرِ على عددٍ من فيالقِ الجيشِ وجهَ له النبيُّ(ﷺ) الدعوةَ رسميًا، ولم يصرح له لماذا طلبَه ؟ فبدأَ يناقشُه (ﷺ) بأسلوبِه الرفيعِ الراقي ليتخلصَ مِن مكرِه وكيدِه، فقالَ له (ﷺ): " يا جدُّ هل لك رغبةٌ في جهادِ بني الأصفرِ ـ الرومِ ـ؟ فلمَّا سمعَ هذا السؤالَ مِن رسولِ اللّه (ﷺ) لبسَ لباسَ الخاشعين، ونطقَ نطقَ الخائفين مِنَ الفتنةِ، وأظهرَ مِنَ التبتلِ والخوفِ مِن اللّه ما يَحسدُه عليه المؤمنون حقًّا، أتدرون – يرعاكم اللّهُ – بماذا أجابَ هذا المنافقُ، قالَ يا رسولَ اللّه: إني أحبُّ النساءَ، وإني لأخافُ على نفسي إن رأيتُ نساءَ الرومِ وهنَّ الموصوفاتُ بالجمالِ الباهرِ والدلالِ المغري ألاَّ أصبرَ عنهن فأقعَ معهن في المحضورِ، فأرجو أن تأذنَ لي بالبقاءِ في المدينةِ، وألاَّ تفتنني بشيءٍ كهذا، فأعرضَ عنه النبيُّ (ﷺ)، وقالَ له : " قد أذنتُ لك" انظروا إلى هذا التفكيرِ السقيمِ يظنُ هذا المرذولُ الأحمقُ أنَّ المسألةَ مسألةُ عشقٍ وغرامٍ ومصادقاتٍ للنساءِ ولم يدر هذا الجهولُ وأضرابُه أنَّهم واقعون في فتنةٍ أعظمَ، وهي معصيةُ اللّه ورسولِه (ﷺ) بنفاقِهم وضلالِهم، وقد نزلَ القرآنُ الكريمُ يفضحُ طويةَ الجدِّ الخبيثةَ الفائضةَ بصنوفِ النفاقِ، فقالَ فيه سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1]، فما إن نزلت هذه الآيةُ الكريمةُ في الجدِّ بنِ قيسٍ حتى جاءَه ابنُه عبدُ اللّه، وكانَ شابًا

(١) سورة التوبة الآية: ٤٩ .

صالحًا مؤمنًا باللّه، فقالَ له يا أبي: ألم أقل لك: إنَّه سوف ينزلُ فيك قرآنٌ كريمٌ يقرأه المسلمون، فأظهرَ غضبَه على ابنه المؤمنِ، ونهرَه وشددَ عليه الزجرَ، وقال له: اسكت يا لُكعُ وتأدب في حضرةِ أبيك واللّهِ لا أنفعُك بنافعةٍ أبدًا ووالله لأنت أشدُّ عليَّ مِن محمدٍ.

وهكذا أخذَ القرآنُ الكريمُ يجلي حقائقَ النفاقِ والمنافقين، ويفضحُهم في كلِّ حركاتهم وسكناتِهم وبيَّنَ النبيُّ(ﷺ)أوصافَهم مدى الزمان بقوله: " آيةُ المنافقِ ثلاثُ إذا حدَّث كذبَ، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا أوتمنَ خانَ، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ مِن خصالِ النفاقِ"، فليطهر كلٌّ منا قلبَه مِن خصالِ النفاقِ قبلَ الزَّجِ به في النارِ.

عبادَ اللّه

إنَّ اللّهَ أمركم بأمرٍ بدأَ فيه بنفسه وثنى بالملائكةِ المسبحةِ لقدسِه، وثلَّث بالمؤمنين لأمرِه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1].

(١) سورة الأحزاب الآية: ٥٦ .

الخطبةُ السابعةُ والستون

الفتوحاتُ الإسلاميةُ في شهرِ رمضانَ وصورٌ مِنَ اضطهادِ المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي جعلَ الحمدَ ثمنًا لنعمائِه، ومعاذًا مِن بلائِه، وسبيلًا إلى جنانه، وسببًا لزيادةِ إحسانه، سبحانه أوجبَ علينا صيامَ رمضانَ زيادةً لنا في ثوابه، وفضلًا منه لعبادِه وجُنةً مِن عذابه، والصلاةُ والسلامُ على رسولِه نبيِّ الرحمةِ، وإمامِ الأئمةِ وسراجِ الأمةِ المنتخبِ من طينةِ الكرمِ وسلالةِ المجدِ الأقدمِ ومَغْرِسِ الفخارِ المُعرقِ وفرعِ العُلا المثمرِ المورقِ؛ وعلى أهلِ البيتِ مصابيحِ الظلمِ وقادةِ الأممِ ومنارِ الدينِ الواضحةِ ومثاقيلِ الفضلِ الراجحةِ؛ صلى اللّٰهُ وسلمَ عليهم أجمعين صلاةً وسلامًا يكونان إزاءً لفضلِهم ومكافأةً لعملِهم وكفاءً لطيبِ فرعِهم وأصلِهم، ما أنارَ فجرٌ ساطعٌ، وخوى نجمٌ طالعٌ، وأضأ برقٌ بالدُّجُنّةِ لامعٌ؛ أمّا بعدُ:

فأيُّها الصوّامُ

العزيمةَ العزيمةَ في شهرِ العفوِ والغفرانِ، والغنيمةَ الغنيمةَ في شهرِ الرحمةِ والعتقِ مِنَ النيران، شهرِ البركةِ الشاملةِ والإحسانِ فهو شهرُ كفاراتِ الذنوبِ وصفاءِ الفكرِ ورقةِ القلوبِ وإقالةِ العثراتِ وسترِ العيوبِ؛ شهرٌ ما أنابَ إلى اللّٰهِ فيه منيبٌ إلا منَّ عليه بالقبولِ، ولا تعرَّضَ فيه لمعروفِه متعرضٌ إلا جادَ عليه بالقبولِ، ألا وقد انسلخَ مِن رمضانَ نصفُه فهنيئًا لمَن اجتهدَ فيه بصالحاتِ الأعمالِ، وخسرانًا لمَن كانَ نصيبُه الجوعَ والإهمالَ، فإياكم أن تمحقوا ما تبقى من أيامِه بالفسقِ والعصيانِ والغيبةِ والسبِّ والكذبِ والبهتانِ، واستكثروا من طاعةِ الملكِ الغفارِ ومراقبتِه في الإعلانِ والإسرارِ وسؤالِ الجنةِ والتعوّذِ مِنَ النارِ وملازمةِ التوبةِ النصوحِ

مِن جميعِ الخطايا والأوزارِ وتلاوةِ كتابِه العزيزِ مع التفكرِ والتدبرِ والاعتبارِ.

فشمروا - رحمكم اللهُ - في استغلالِ حياتِكم القصيرةِ قبلَ أن تُحملوا إلى قبورِكم، فلا تدعون ركيانًا، وتنزلوا فيها فلا تدعون ضيفانًا، قبلَ أن يُجعلَ لكم من الضريحِ أجنانٌ، ومِنَ الترابِ أكفانٌ، ومِنَ الرفاتِ جيرانٌ، فهم جيرةٌ لا يجيبون داعيًا، ولا يمنعون ضيمًا، إن حلَّ عليهم خصبٌ لم يفرحوا، وإن نزلَ عليهم قحطٌ لم يقنطوا، جمعٌ وهم آحادٌ، وجيرةٌ وهم أبعادٌ، متناؤن لا يُزارون، حلماءُ قد ذهبت أضغانُهم، وجهلاءُ قد ماتت أحقادُهم، لا يُخشى فجعُهم، ولا يرجى دفعُهم، جاوا إلى الدنيا كما فارقوها حفاةً عراةً فرادى غيرَ أنَّهم ظعنوا بأعمالِهم إلى الحياةِ الدائمةِ، وإلى الخلودِ الأبديِّ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[2].

أمةَ الصيامِ والقيامِ

في هذه العشرِ المباركةِ عشرِ المغفرةِ، تحققَ في تاريخِ هذه الأمةِ حدثٌ عظيمٌ، وحصلَ فتحٌ مبينٌ، حدثٌ غيَّرَ مجرى التاريخِ، وغدا غرةً في جبينِ أمةِ الإسلامِ، وشامةً في دنيا ماضيها وحاضرِها، حدثٌ يمثلُ درسًا لأبناءِ هذه الأمةِ عبرَ الأزمنةِ ليعلموا وليوقنوا أنَّه لا عزَّ لهم ولا قوةَ إلا بتمسكِهم بدينِهم وإقبالِهم على ربِّهم واهبِ النصرِ والقوةِ؛ أتدرون ما هذا الحدثُ الخطيرُ؟ إنَّه اليومُ الذي نصرَ اللهُ فيه الإسلامَ وأهلَه وأذلَ الشِّركَ وأهلَه، إنَّه يومُ الفرقانِ الذي فرَّقَ اللهُ فيه بينَ الحقِ والباطلِ في غزوةِ بدرٍ الكُبرى حين انتصرَ المسلمون، وهم قلةٌ في العددِ، ضعافٌ في العُددِ على جحافلِ الكفرِ وفلولِ الشركِ، وما ذلك إلا لأنَّهم نصروا دينَ اللهِ فنصرَهم

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .

اللهُ وحقـقَ لهـم وعـدَه ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[1] ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

أُولى النهى والبصائرِ

في رمضانَ كانَ الفتحُ العظيمُ ـ فتحُ مكـةَ ــ الـذي فـتحَ للإسـلامِ مغـاليقَ القلوبِ ومنيعاتِ الحصـون، فـانطلقَ الصـائمون بقيـادةِ إمـامِ المرسـلين(ﷺ)، وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين، ينشرون دينَ اللهِ فوقَ كلِّ مكـانٍ بعـدما أعلـنَ مؤذنُهم بلالٌ الأذانَ مِن فوقِ الكعبةِ بيتِ اللهِ الحرامِ.

وفي رمضانَ انكسرَ الـرومُ في تبـوكَ بعـد أن ضـحَّى الـنبيُّ الكـريمُ (ﷺ) وأصحابُه بالراحةِ في أجملِ فرصِها، واستبدلوا بالمدينـةِ عـذابًا في أقسـى صورِه وأشكالِه في تبوكَ كانَ الـرجلان والثلاثـةُ مِـن أصـحابِ رسـولِ اللهِ (ﷺ) يتعاقبون ـ يتناوبون ـ على بعيرٍ واحـدٍ، وأصـابَهم عطـشٌ شـديدٌ مـع حرٍّ عاصفٍ حتى جعلوا ينحرون إبلَهم لينفضوا أكراشَها، ويشربوا ماءَهـا، وكانَ أصحابُ محمدٍ(ﷺ) يتنافسون في الخروجِ مع إمـامِهم وقائـدِهم حـتى بلغَ الجيشُ ما يزيدُ عن ثلاثين ألفًا مـع شـدةِ الحـالِ بـل جـاءَ رجـالٌ مـن أصحابِه (ﷺ) أُطلـقَ علـيهم البكـاؤن يطلبـون مِـن رسـولِ اللهِ (ﷺ) ظهـورًا يركبونها للخروجِ إلى الجهادِ معه؛ فقـالَ لهـم رسـولُ اللهِ (ﷺ) لا أجـدُ مـا أحملُكم عليه فتولوا وأعينُهم تفيضُ مِنَ الدمعِ حزنًا ألاَّ يجدوا لـديهم مـا ينفقونه في أسـبابِ خـروجهم مـع الـنبيِّ (ﷺ) لتبـوكَ، وفي رمضـانَ حـرَّكَ أبو بكرٍ الصديقِ (رضـيَ اللَّهُ عنـه) كتائـبَ المسـلمين لتخـومِ الـرومِ، وكـانَ يوصيهم بتقوى اللهِ وحسنِ الصحبةِ والصبرِ على طاعةِ اللهِ تعالى، وعلى المواظبةِ على الصلواتِ الخمسِ بالجماعةِ في أوقاتِها.

---

(١) سورة الحج الآية: ٤٠ .

(٢) سورة الروم الآية: ٤٧ .

وكانَ في رمضانَ فتحُ القادسيةِ بقيادةِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ انتصرَ فيه المسلمون على الفرسِ.

إخوة العقيدة

وهكذا توالت أعدادٌ كثيرةٌ مِنَ الفتوحاتِ الإسلاميةِ في شهرِ رمضانَ، شهرِ الصبرِ على طاعةِ اللهِ تعالى، ورفعِ رايةِ التوحيدِ، شهرِ الانتصاراتِ والاجتهادِ للأعمالِ الصالحةِ، شهرِ الامتثالِ للهِ ورسولِه (ﷺ) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[1].

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلت، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ الذي فرضَ علينا الصيامَ، وجعلَه شهرًا للنصرِ والرحمةِ والغفران، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه والتابعين بإحسانٍ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أهلَ القرآن

ونحن نتكلمُ عن الفتوحاتِ الإسلاميةِ في شهرِ رمضانَ التي كانت تهدفُ لنشرِ الإسلامِ وإحقاقِ العدالةِ الإلهيةِ ونشرِ الأمنِ والأمانِ وتحريرِ الناسِ مِن الظلمِ والاستبدادِ والجورِ والنَّكالِ؛ فإنَّه جديرٌ بنا أن نقلبَ شيئًا مِن صفحاتِ واقعِنا المعاصرِ فيما يتعلقُ بالنصرةِ والجهادِ لندخلَ في مبدأ الأخوةِ بين أهلِ الإيمان ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٠.

إنَّ على الأجيالِ الناشئةِ والمسلمين قاطبةً ألاَّ تغيبَ في حاضرِهم ومستقبلِهم القضيةُ الأمُّ الخطيرةُ قضيةُ أولى القبلتين وثالثِ المسجدين الشريفين المسجدِ الأقصى وأرضِ الرباطِ فلسطينَ؛ يجبُ أن تظلَ في قلبِ كلِّ مسلمٍ ولا يقبلُ التنازلَ والتغاضيَ عنها يومًا مِنَ الأيامِ على الأجيالِ أن تعلمَ يقينًا أنَّ اليهودَ مِن أشدِّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا حقيقةً لا تتبدلُ لقولِه تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[1] على الأجيالِ أن تعرفَ أنَّ اليهودَ غاصبون لأرضِ المسلمين، وليسَ لهم حقٌّ في شِبرٍ مِن ترابِ فلسطينَ، وأنَّ وعدَ اللهِ بالنصرِ قريبٌ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾[2].

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

تسربت أنباءٌ قليلةٌ، وما خفيَ أعظمُ مِن الصلفِ والرعونةِ التي ترتكبُها العصاباتُ الهندوسيةُ ضدَ مسلمي بورما، ولا ريبَ فإنَّ الهندوسَ لا تقلُّ أحقادُهم على الإسلامِ والمسلمين مِنَ اليهودِ، وتاريخُهم حافلٌ بالمخازي والرذائلِ، وليسَ ببعيدٍ ما يصنعونه في كشميرَ المسلمةِ مِنَ البطشِ الشديدِ والنكالِ العظيمِ، وما فعلوه في الهندِ مِن هدمِ المسجدِ البابريِّ، وتسويتِه بالأرضِ ورفعِ صنمٍ راما في موقعِه، ولا يزالُ مسلمو بورما يستغيثون باللهِ والمسلمين من هذه العصاباتِ التي لا تعرفُ رحمةً بطفلٍ ولا شفقةً بشيخٍ كبيرٍ وامرأةٍ قاعدًا، ولا يزالُ القتلُ بدمٍ باردٍ، والتمثيلُ والأعمالُ الوحشيةُ والاغتصاباتُ قائمةٌ فيهم فأين المسلمون؟! هم نيامٌ كنومةِ أهلِ الكهفِ والرقيمِ.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٨٢.

(٢) سورة الإسراء الآيات: ٤ - ٥.

كم يستغيثُ بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتزُّ إنسانُ
لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ مِن كمدٍ ... إن كانَ في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

أمَّا ما يدورُ في سورية فأمرٌ جللٌ ومصابٌ عظيمٌ، أنهارٌ مِنَ الدماءِ تسيلُ آلاف لا تُحصى مِنَ الأنفسِ البريئةِ قُتلت؛ أو تزيدُ وتتحملُ الحكومةُ الفرعونيةُ الهامانيةُ وزرَ ما وصلت إليه الأمورُ مِن تفاقمِ الأزمةِ، وغدًا عندَ اللهِ تجتمعُ الخصومُ، ولتستعد هذه الحكومةُ ومَن ناصرَها لجوابِ يومِ العرضِ الأكبرِ حينَ يقولُ الجبارُ جلَّ جلالُه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] فعلى جميعِ المسلمين، حكوماتٍ وشعوبًا مسؤولياتٌ أمامَ اللهِ تعالى مِن هذه الأحداثِ التي ذكرناها، ولا يعذرُ أحدٌ عن نصرةِ إخوانه المستضعفين بالاستنكارِ وتقديمِ الدعاءِ بقلوبٍ مؤمنةٍ خاشعةٍ، وبذلِ المالِ والطعامِ والكساءِ، وعلى أصحابِ الفكرِ والقلمِ دورٌ في رفعِ معنوياتِ إخوانهم بالكلمةِ الطيبةِ، واسمعوا إلى قولِ نبيِّكم الطاهرِ الزكيِّ (ﷺ): "مثلُ المؤمنين في توادِهم وتراحمِهم وتعاطفِهم مثلُ الجسدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمى".

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

(١) سورة الصافات الآية: ٢٤ .

الخطبةُ الثامنةُ والستون

قصتان مِن سيرةِ أهلِ الصُّفةِ فقراءِ الصحابةِ رضيَ اللّهُ عنهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي لقدرتِه يخضعُ مَن يَعبدُ، ولهيبتِه ولعظمتِه يخشعُ مَن يركعُ ويسجدُ، ولطيبِ مناجاتِه يسهرُ العابدُ ولا يرقدُ، ولطلبِ ثوابِه يقومُ المصلي ويقعدُ، سبحانه وفق جعيلًا وجليبيبًا فكلاهما بالإيمان يرفدُ ويرشدُ ما جاءَ في القرآن قَبلنا أو في السنةِ لم نردد، أحمدُه حمدَ مَنْ يرشدُ بالوقوفِ ولا يشردُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نجددُ بها الإيمانَ ونشددُ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي قيلَ لحاسدِه فليمدد، صلى اللّهُ تعالى عليه وعلى الصديقِ الذي في قلوبِ محبِّه فرحاتٌ، وفي صدورِ مبغضِه ترحاتٌ لا تنفدُ، وعلى الفاروقِ الذي لم يزل يقوي الإسلامَ ويشددُ، وعلى سائرِ آلِه وأصحابِه وسلم تسليمًا دائمًا مستمرًا لقائلِه يعضدُ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

أنتم على يقينٍ أنَّ اللّهَ يبعثُ مَن في القبورِ، ويجازي على العملِ الصالحِ والفجورِ، فاستعدوا ـ رحمكم اللّهُ تعالى ـ لما أنتم فيه على يقينٍ بصالحِ الأعمالِ لتكونَ ذخيرةً لكم عند الزلزلةِ والأهوالِ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾[1] زلزلةٌ يشيبُ فيها المولودُ، زلزلةٌ تشهدُ فيها الجلودُ، زلزلةٌ تخدُ فيها الدموعُ الخدودَ، زلزلةٌ يتمنى العدمَ عندها الموجودُ، زلزلةٌ يظهرُ عندها التقاطعُ والصدودُ، ويَفِرُّ الولدُ عن الوالدِ والحميمُ عنِ الحميمِ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ انظر لنفسك قبلَ ألاَّ يجدي

(١) سورة الحج الآية: ٢٤ .

النظرُ، وتفكر في أمرك قبلَ ألاَّ تنفعَ الفكرُ، ومثِّل نفسَك يومَ المحشرِ، إذا بدا الهولُ وظهر، وتزود للرحيلِ، وتأهب للسفرِ، وخذ عُدتَك لثُقلتِك فلست بمقيمٍ ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ ﴾[1] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[2] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ ﴾[3].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

لا ريبَ فإنَّ العالمَ الإسلاميَ يعاني من أزمةٍ خطيرةٍ هي أزمةُ الافتقارِ إلى القدوةِ على مستوى القياداتِ السياسيةِ والقياداتِ المدنيةِ، وزادَ الأمرَ أنَّ العالمَ الإسلاميَّ في زماننا كَبُرَ عليه اتباعُ نبيِّنا محمدٍ (ﷺ)، وثَقُلَ عليه إيثارُ ما أمرَ به، والسيرُ على خطواتِ السلفِ الصالحِ، واختارتِ الحكوماتُ في العالمِ الإسلاميِّ شخصيةَ التذبذبِ المشؤومِ، والخطَ المريبَ بين مساندةِ التيارين الخيرِ والشرِ، وركنت كثيرٌ مِنَ النفوسِ إلى تقديمِ ما يرتاحُ له القادةُ والزعماءُ في المظهرِ والمخبرِ، وهذا بمجموعِه خلقَ ارتباكًا في العالمِ الإسلاميِّ على مستوى القياداتِ التي لا تمثلُ المرجعيةَ الإسلاميةَ والقدوةَ الحسنةَ، وعلى المستوى المدنيِّ ظهرت أجيالٌ مِنَ الفتيانِ والفتياتِ يعيشون في مأزقٍ أخلاقيٍّ خطيرٍ تطفحُ مظاهرُه في كلِّ مكانٍ في الملابسِ والمآكلِ والمشاربِ والشوارعِ والأسواقِ والبيوتِ، ولا تزالُ هذه القضيةُ تتفاقمُ حتى تصلَ بنا إلى الهاويةِ أو ندركَ أنفسَنا، وقد قالَ عمرُ بنُ الخطابِ (رضيَ اللّهُ عنه): (إنَّكم كنتم أذلَّ الناسِ فأعزَّكم اللّهُ بالإسلامِ فمهما تطلبوا العزةَ بغيرِه يذلكم اللّهُ)، فكانَ الرجوعُ إلى سيرةِ الرسولِ(ﷺ) والنهلُ مِن

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .
(٢) سورة الأعراف الآية: ٩٦.
(٣) سورة الحشر الآية: ١٨.

سيرِ أصحابِه الأطهارِ وآلِ بيتِه الأخيارِ (رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين) والسلفِ الصالحِ مِن بعدِهم مِن أبرزِ العواملِ التي تقهقرُ تيارَ الفسادِ الأخلاقيِّ سياسيًا ومدنيًا.

أحبابَ رسولِ اللهِ (ﷺ)

فمع قصتين مِن سيرةِ أصحابِ النبيِّ (ﷺ) من أهلِ الصفةِ، وهم فقراءُ الصحابةِ ـ رضوانُ اللهِ عليهم ـ فاسمعوا وعوا ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[1].

حدَّثَ أهلُ السِّيرِ أنَّ جعيلَ بنَ سُراقةَ (رضيَ اللهُ عنه) كانَ من أهلِ الصفةِ وفقراءِ الصحابةِ، وزادَ من حالِه أنَّه دميمُ الخِلقةِ لم يؤت شيئًا من حسنِ الهيئةِ ولكن كانَ قلبُه مطمئنًا بالإيمانِ الخالصِ حلَّت عليه السكينةُ وبعدَ غزوةِ حنينٍ مِن سنةِ ثمانٍ للهجرةِ أعطى النبيُّ (ﷺ) أبا سفيانَ والأقرعَ بنَ حابسٍ وعيينةَ بنَ حصنٍ وسهيلَ بنَ عمروٍ مئةً مِنَ الإبلِ لكلِّ واحدٍ منهم، ولم يُعط جعيلًا مع شدةِ فقرِه وحاجتِه، وهو قد أسلمَ قديمًا، فقالَ أحدُ الصحابةِ لرسولِ اللهِ (ﷺ) يا رسولَ اللهِ (ﷺ) أعطيتَ الأقرعَ وعيينةَ مئةً مئةً، وتركتَ جُعيلًا، فقالَ له رسولُ اللهِ (ﷺ): (والذي نفسي بيدِه لجعيلُ بنُ سراقةَ خيرٌ مِن طلاعِ[2] الأرضِ، أمَّا الأقرعُ وعيينةُ فنتألفُهما ليثبتَ إسلامُهما، أمَّا جعيلٌ فله من الإيمانِ ما لا يحتاجُ إلى تأليفٍ فأكلَ جعيلًا إلى إيمانِه، فتأملوا كيفَ رفعَ الإيمانُ الخالصُ هذا الصحابيَّ الفقيرَ الذميمَ، وأنزلَ عليه السكينةَ التي قد لا يجدُها الملوكُ وأبناءُ الملوكِ وأغنياءُ القومِ وأشرافُهم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) سورة الزمر الآية: ١٨ .

(٢) طلاع: جلد يتحملُ المشاقَ لا يتزعزعُ إيمانُه .

﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾[1]،

وكفى جعيلًا شهادةُ رسولِ اللهِ(ﷺ) إلى يومِ الدينِ.

أيُّها الأبرارُ

تأملوا إلى قصةٍ أُخرى عن فقيرٍ مِن صحابةِ رسولِ اللهِ (ﷺ)، وإليكم نصُّها: في أحدِ الأيامِ يجلسُ جُليبٌ إلى النبيِّ (ﷺ) وكانَ (رضيَ اللهُ عنه) في وجهِه دمامةٌ، جلس يومًا عندَ رسولِ اللهِ (ﷺ) فما هي الأحاديثُ التي حرصَ النبيُّ(ﷺ) على إثارتِها معه؟ شابٌ في ريعانِ شبابِه، هل يتحدثُ معه عن أنسابِ العربِ؟ أم يتحدثُ عنِ الأسواقِ والبيوعِ؟ أم عنِ الزعامةِ والرئاسةِ. لا .

فهذا شابٌ له نوعٌ خاصٌ مِنَ الأحاديثِ يفضِّلُه عن هذه، أثارَ معه النبيُّ (ﷺ) موضوعَ الزواجِ ثم عرضَ عليه رسولُ اللهِ (ﷺ) التزويجَ، فقالَ جُليبٌ: إذاً تجدني كاسدًا، فقالَ (ﷺ) له: ولكنك عندَ اللهِ لستَ بكاسدٍ، فلم يزل (ﷺ) يتحينُ الفرصةَ لتزويجِ جُليبٍ حتى جاءَ رجلٌ مِنَ الأنصارِ يومًا يعرضُ ابنتَه الثيبَ على رسولِ اللهِ (ﷺ) ليتزوجَها، فقالَ له (ﷺ): نعم . يا فلانُ زوجني ابنتكَ، قالَ: نعم . يا رسولَ اللهِ، فقالَ له (ﷺ): إني لستُ أريدُها لنفسي! قالَ: فلمَن؟ فقالَ له النبيُّ(ﷺ): أريدُها لجُليبٍ، فقال: يا رسولَ اللهِ انتظر حتى أستأمرَ أمَّها، فأتى الرجلُ زوجَه، فقالَ: إنَّ رسولَ اللهِ يخطبُ ابنتكِ، فقالت: نعم ونَعمين زوِّج رسولَ اللهِ، فقال لها: إنَّه ليس يريدُها لنفسه، قالت: فلمَن؟ قالَ: يريدُها لجُليبٍ فاضطربت المرأةُ وحمرَّ وجهُها، كيف تُزفُّ ابنتُها إلى رجلٍ فقيرٍ دميمٍ، فقالت: جليبٌ؟ لا لعمرُ اللهِ. لا أُزوجُ جليبيبًا، وقد منعناها فلانًا وفلانًا، وهم خيرٌ منه.

---

(١) سورة الفتح الآية: ٤ .

أيُّها السادةُ المؤمنون

أتركُكم في فسحةٍ قصيرةٍ نكملُ ما تبقى من قصةِ جُلَيبيبٍ (رضيَ اللهُ عنه) فصلوا حبلَ أفكاركم بالسابقِ واللحاقِ، واستغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه، إنَّ ربي رحيمٌ ودودٌ.

★★★

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِه وصحبِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المؤمنون

لما رفضتِ المرأةُ ـ الأمُّ ـ زواجَ جُليبيبٍ اغتمَّ الزوجُ، وقامَ ليردَّ على رسولِ اللهِ (ﷺ) برفضِ تزويجِ جُليبيبٍ، وكانت ابنتُهم تسمعُ ما يدورُ فصاحت مِن خِدرِها بأبويها: مَن خطبني إليكما؟ قالا: رسولُ اللهِ (ﷺ) قالت: أتردان على رسولِ اللهِ (ﷺ) أمرَه؟ ادفعاني إلى رسولِ اللهِ (ﷺ) فإنَّه لن يضيعَني فاطمأنا لقولِها، فذهبَ أبوها إلى النبيِّ(ﷺ) فقالَ: يا رسولَ اللهِ شأنُك بها، فزوَّجَها النبيُّ (ﷺ) جُليبيبًا، ودعا لها، وقالَ: " اللهم صبَّ عليهم الخيرَ صبًّا صبًّا، ولا تجعل عيشَهما كدًّا كدًّا "، فلم تمض على زواجِ جُليبيبٍ أيامٌ حتى خرجَ النبيُّ (ﷺ) في غزوةٍ، وخرجَ معه جليبيبٌ، فلما انتهى القتالُ، وبدأ الناسُ يتفقدُ بعضُهم بعضًا سألهم النبيُّ (ﷺ) هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: نعم يا رسولَ اللهِ نفقدُ فلانًا وفلانًا، ثم قالَ لهم رسولُ اللهِ (ﷺ) هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: لا . يا رسولَ اللهِ، فقالَ لهم (ﷺ): ولكني أفقدُ جُليبيبًا فقاموا يبحثون عنه بين القتلى فوجدوه إلى جنبِ سبعةٍ مِنَ المشركين قد قتلَهم ثم قتلوه؛ فلما رآه النبيُّ الكريمُ (ﷺ) أخذَ ينظرُ إلى جُثتهِ ثم قالَ (عليه الصلاةُ والسلامُ) قتلَ سبعةً ثم قتلوه هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه؛ ثم حملَه رسولُ اللهِ (ﷺ)على ساعديه الشريفين، وأمرَهم أن يحفروا له قبرًا، قالَ أنسُ بنُ مالكٍ (رضيَ اللهُ عنه) فمكثنا نحفرُ القبرَ، وجليبيبٌ ما له سريرٌ غيرُ ساعدي رسولِ اللهِ (ﷺ) حتى حُفرَ

له ثم وضعَه في لحدِه، فلمَّا رأى صحابةُ رسولِ اللهِ (ﷺ) ذلك تسابقوا بالزواجِ بعد ذلك من امرأتِه الأيمِ ببركةِ دعاءِ النبيِّ (ﷺ) لها ولزوجِها.

فتأملوا في سيرةِ نبيِّكم (ﷺ) وأصحابِه المهديين والتابعين بإحسانٍ فهم القدوةُ الحسنةُ والأسوةُ التي تمثلُ التطبيقَ العمليَّ لواقعِ المسلمين، وأكثروا مِن قراءةِ السيرةِ في بيوتِكم، وعلموها أبناءَكم وبناتِكم، ألا وإنَّ أحسنَ الكلامِ كلامُ الملكِ العلَّامِ، واللهُ يقولُ وقولُه الحقُّ المبينُ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1].

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٠ .

الخطبةُ التاسعة والستون

انتصارًا لرسولِ (ﷺ) مِنَ التمثيلِ الامريكيِّ المسيءِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ بارىءِ النسمِ، وخالقِ الخلقِ مِن عدمٍ، نجَّى يُونُسَ في بطنِ الحوتِ حين سرى عليه الابتلاءُ والهمُ وسلَّم إبراهيمَ مِنَ النارِ حين استوى لهيبُهَا وحمَّ، وسخرَ لسليمانَ الريحَ عاصفةً تجري بأمرِه، وأيَّدَه بالعطَاءِ الجمِّ، ودافعَ عن محمدٍ (ﷺ) مِن كتائبِ التكذيبِ والذمِّ، سبحانه حذَّرَ مِن مغبةِ التعرضِ لمقامِ سيدِ الأولين والآخرين بعذابٍ يفوقُ ملءَ الطمِّ والرمِّ[1]، وأنذرَ المؤذِنين لصاحبِ الرسالةِ الخاتمةِ بالنقصِ الذي عمَّ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تنجينا مِنَ الغمِّ، ونشهدُ أنَّ سيدَنا وعظيمَنَا وحبيبَنا وأُسوتَنا محمدًا رسولُ اللّٰهِ الذي كان للنبواتِ الختمِّ وهو مِن خيارِ الأنبياءِ أولي العزمِ؛ أمَّا بعد:

فيا آبنَ آدمَ

أين علامةُ الإيمان يا مَن يَدعيه؟ أين تأثيرُ الوعظِ يا مَنْ يسمعُه ويعيه؟ أين اعتبارُك بمَن حوَى الدنيا فأصبحَ اللحدُ يحويه؟ وأين بكاؤُك على ذنوبِك وحزنُك على كَثرةِ عيوبِك؟ وأين عقلُك الذي غطَّى عليه زخرفُ التمويه؟ وأين أسفُكَ لفوتِ مطلوبِك يا مسؤولًا عمَّا يَسرُّه ويُبديه؟

يا ابنَ التراب ومأكولَ التراب احذر الدنيا فإنَّها مكَّارةٌ، ولا تثق بأيمانها فإنَّها غدَّارَةٌ، ولا تغتر بها فإنَّها سَحَّارَةٌ، بينما هيَ قد عَقدت هدنةً شنَّت غارةً، تُنَشِّفُ صافيَ الكأسِ، وتُبقي الكدارةَ، ثم تنتقلُ إلى لحدٍ بلا عِمارةٍ ثم تقومُ نادمًا، وفي الدموعِ غزارةٌ ثم تعاينُ نارًا شديدةَ الحرارةِ وَقودُها

(١) الطمّ والرمّ: الطمّ: البحر والماء الكثير؛ والرمّ: الثرى.

الناسُ والحجارةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[1]

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2].

أمةَ المختارِ

كانت عاطفةُ المجتمعِ البشريِّ أعني الحَبَّ والغَرامَ تائهةً ضائعةً، لم يظهر منذُ قرونٍ مَنْ يَشْغلُها ويستثمرُها، فضاعت في ألوان الجمالِ الزاهيةِ والمظاهرِ الخلابةِ الفانيةِ في هذا المجتمعِ الحائرِ المظلومِ، فقامَ محمدٌ(ﷺ) فحلَّ عقالَه، وفكَّ أغلالَه، ثم حلَّ من نفوسِ محبِّه محلَ الروحِ والنفسِ، وشغلَ منه مكانَ القلبِ والعينِ، وهو البشرُ الوحيدُ الذي جمعَ اللهُ له أسمى صفاتِ الجمالِ والكمالِ، وأبلغَ معاني الحُسنِ والإحسانِ، مَن رآهُ (ﷺ) بديهةً هابَه، ومَن خالطَه أطاعَه وأحبَه، يقولُ واصِفُهُ: (لم أرَ قبلَه، ولا بعدَه مثلَه)، فاندفعَ إلى رسولِنا الكريمِ (ﷺ) الحبُّ الصادقُ ما يندفعُ الماءُ إلى الحدورِ، وانجذبت إليه النفوسُ والقلوبُ انجذابَ الحديدِ إلى المغناطيسِ.

أيُّها الجيلُ

إنَّ محبةَ الرسولِ (ﷺ) تُوجبُ علينا الاستمساكَ بأمرِهِ ونهيهِ والدِّفاعِ عن حياضِه، والذودَ عن مقامِه مِن سهامِ السخفاءِ المارقين الجبناءِ الزارعين بأرضِ البُورِ غلَتَهم، الطائشين كالفراشِ المبثوثِ والهباءِ، المشحونين بالحقدِ والغيضِ والعداءِ، الناسلين مِن قلوبِهم البهيميةِ العجماءِ؛ فقد ظهرَ حقدٌ غائرٌ، وسبٌّ غامرٌ قبلَ سنواتٍ قليلةٍ طفحَ في رسومِ السخريةِ المسيئةِ لخيرِ البريَّةِ(ﷺ)عن طريقِ الإعلامِ الدنمركيِّ والنرويجيِّ مِن حُثالةِ الزيغِ والعنادِ، وفي هذه الأيامِ يظهرُ نباحٌ قذرٌ آخرُ ينالُ مِنَ المقامِ السامي والمنزلِ المحمودِ لمحمدٍ رسولِ اللهِ (ﷺ) عن طريقِ

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١ .

(٢) سورة يوسف الآية: ٩٠.

تمثيلٍ حقيرٍ من سباعٍ مساورَةٍ هرمَةٍ مراوغةٍ، كما رفعتَ نفوسٌ لئيمةٌ نتنةٌ خبيثةٌ قضايا جنائيةٍ في المحاكمِ ضدَ الرؤوفِ الرحيمِ ـ صلواتُ ربي وتسليماتُه عليه ـ وما يضرُّ السحابَ نباحُ الكلابِ وعُوى الذئابِ وما جاوزت صنائعُهم صريرَ بابٍ أو طنينَ ذُبَابٍ كيف وهم يتنقصون الشمسَ وضحاها والقمرَ إذا تلاها والنهارَ إذا جلاها.

مَنْ كانَ فوقَ محلِ الشمسِ موضعُه ... فليسَ يرفعُهُ شيءٌ ولا يضعُ
بلغتَ سماءَ المجدِ عزًّا ورفعةً ... رويدًا فما فوقَ السماءِ بمنزلِ

أحبابَ رسولِ اللّه (ﷺ)

ظهرَ في هذه الأيام تمثيلٌ إمريكيٌ، ولا نقولُ فلمًا احترامًا وتقديرًا لأمِّ اللغاتِ العربيةِ، تمثيلٌ يقدحُ في خيرِ البريةِ محمدِ بنِ عبدِ اللّه (ﷺ)، وقد استفزَ أعصابَ المؤمنين، وجرحَ مشاعرَ الموحدين، فثارَ في نفوسِهم بركانُ الغَيرةِ وتدفقَ من قلوبهم إعصارُ النصرةِ، فكان لنا مع هذا الحدثِ الخطيرِ وقفاتٌ:

الوقفةُ الأولى: حبُّ الأمةِ الإسلاميةِ لنبيِّها الطاهرِ الزكيِّ والانتصارُ له والولاءُ والانضواءُ إلى رايتِه، وكلُّ ما يتصلُ به، ويُعزى إليه من تعاليم من أوجبِ الواجباتِ دلَّ على ذلك القرآنُ الكريمُ، ونطقت به السنةُ المتواترةُ قالَ جلَّ وعلا: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾[1]، وفي الحديثِ الصحيحِ: " لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليهِ من والدِه وولدِه والناسِ أجمعين "، وإذا كانت تلقي علينا الأخبارُ بظلالِها أنَّ بعضَ الدولِ تحاكمُ أبنائَها وبناتِها بالسجنِ والتغريمِ لذنوبهم المتمثلةِ في كتاباتِ الإعابةِ والاساءةِ لرسولِنا الكريمِ(ﷺ) والنيلِ من مكانةِ الاسلامِ والمسلمين، وإذا كنا نحاصرُ القضيةَ الأولى، فيجبُ على دولِ الإسلامِ أن تحاصرَ القضيةَ الثانيةَ – أيضاً – بطردِ السفيرِ وتقديمِ ورقةِ احتجاجِ

(١) سورة الأحزاب الآية: ٦ .

وطلبِ الاعتذارِ الرسميِّ؛ وهو أقلُّ ما تقومُ به الحكوماتُ القائمةُ في أرضِ الإسلامِ، ولكنِ السذاجةُ والمروقُ بلغَ أن الذي يعتذرُ عمَّا حدثَ دولُ الاسلامِ، وتتوددُ وتتمسحُ بإمريكا (والجنونُ فنونٌ).

الوقفةُ الثانيةُ: في الخلقِ صفوةٌ، وصفوةُ هؤلاءِ الصفوةِ أنبياءُ اللهِ ورُسُلُهُ، وفي الذروةِ منهم أولو العزمِ مِن الرسلِ، وذروةُ الذرى سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ؛ رسولُنا الزكيُّ ـ صلواتُ اللهِ وتسليماتُه عليه ـ وقد زكَّاه اللهُ وكفاه، وقرنَ ذكرَه بذكرِه، فليسَ بقعةٌ ولا وقتٌ ولا خطيبٌ ولا مؤذنٌ ولا مسلمٌ إلا وهو يرددُ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ (ﷺ) وكفى فيه قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[1] كلمةٌ مِنَ اللهِ، تترددُ في الملاءِ الأعلى إلى ما شاءَ اللهُ، شهادةٌ مِنَ اللهِ، في ميزانِ اللهِ لمحمدِ بنِ عبدِ اللهِ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2] ولنكن على يقينٍ بأنَّ هذه التمثيلياتِ الحقيرةَ والاستفزازاتِ الهابطةَ لا تحطُّ مِن رتبةِ رسولِ اللهِ (ﷺ) عندَ ربِّه جلَّ وعلا مثقالَ ذرةٍ، بل تزيدهُ شرفًا ورفعةً فقد أُوذيَ رسولُ اللهِ (ﷺ) في حياتِهِ، ويُؤذى في مماتِه، وهو في الفردوسِ الأعلى مِنَ الجنانِ في مقعدِ صدقٍ عندَ مليكٍ مقتدرٍ، كما لا تزيدُ هذه السخافاتُ المؤمنين الموحدين إلا حبًّا لنبيِّهم واقتداءً بسيرتِه الطاهرةِ.

الوقفةُ الثالثة: إنَّ حريةَ التعبيرِ وعدمَ مصادرةِ الفكرِ لا تعني بأيِّ وجهٍ مِنَ الوجوهِ النيلَ مِنَ الأديانِ والتعرضَ لكرامةِ الشعوبِ والانتهاكَ المنهجَ للرموزِ الإسلاميةِ المقدسةِ ووسمَ الإسلامِ بالسرطانِ وأنَّه أفيونُ الشعوبِ فإنَّ على الشيطانةِ الكُبرى أمريكا وحلفائِها أن تعيَ جيدًا أنَّ ما حدثَ وما يحدثُ مِنَ اقتحامِ السفاراتِ وقتلِ السفراءِ وإثارةِ البلابلِ وخلقِ جوٍّ مشحونٍ بالاحتقانِ هو نتيجةٌ حتميةٌ وإفرازٌ طبيعيٌّ، فإنَّها السببُ في إشعالِ فتيلِ الإرهابِ والفتنِ بينَ العالمين، وإذا كانت حريةُ التعبيرِ مكفولةً

---

(١) سورة القلم الآية: ٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٢٤ .

كجزءٍ مِن حريةِ التَّدين، وأنهما تؤم كما تدعي الشيطانةُ الكُبرى، أو كما قالت عجوزُ الخارجيةِ: (ننكرُ الفلمَ ـ التمثيلَ ـ ولكنَّها حريةُ التعبيرِ ولا نملكُ شيئًا بشأنه)! فلماذا اعترضت على الرئيسِ الأسبقِ لإندونيسيا وطلبت منه الاعتذارَ الرسميَّ لما قالَ: " أمريكيا تحكمُ العالمَ بالوكالةِ مِن إسرائيلَ "، لماذا حريةُ التعبيرِ في الأولى جائزةٌ، وفي الثانيةِ تمنعُ الحريةُ نريدُ أن نحددَ مفهومَ حريةِ التعبيرِ هذه وما ضابطُها؟!

بارِكَ اللّهُ لي ولكم في القرآن العظيمِ، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين أجمعين، واستغفروا ربَّكم يغفر لكم .

★★★

الحمدُ للّهِ الوليِّ الحميدِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وأصحابهِ وأزواجهِ وبناتهِ إلى يومِ الدينِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أتباعَ محمدٍ (ﷺ)

إنَّ مَن يقبلُ الذلَ يُغري الآخرين بالاعتداءِ عليه، وإنَّ القَدحَ في الإسلامِ ورسولِنا العظيمِ (ﷺ) يُقصدُ من وراءه إضعافُ الإسلامِ مِنَ القلوبِ وسلُّ محبةِ محمدٍ (ﷺ) مِن صدورِ المؤمنين الموحدين، وقد كشفت الأحداثُ الراهنةُ بما يبهجُ النفسَ ويريحُ الخاطرَ وتقرُّ به العينُ من هذه الهبَّةِ المباركةِ والصحوةِ الإسلاميةِ المظفرةِ المدفوعةِ بتيارِ الحبِّ والعاطفةِ والحماسِ لصاحبِ الرسالةِ العصماءِ (ﷺ) فهنيئًا لهذا الجيلِ .

أيُّها المحبون لرسولِ اللّهِ (ﷺ)

قد أمرَكم ربُّكم سبحانه وتعالى بالإيمان به وبنبيِّه وبتعزيره وتوقيره (ﷺ) فقالَ عزَّ قائلًا عليمًا ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ فليكن كلُّ واحدٍ منا جنديًا للّهِ ورسولِه (ﷺ)، وذلك بطاعةِ اللّهِ ورسولِه (ﷺ) ودراسةِ سيرتِه وسيرةِ أصحابِه كما المرجوُ مِنَ الشبابِ أن يستغلوا وسائلَ الاتصالِ الحديثِ بذكرِ أخبارِ المصطفى

والاستئناسِ بسيرتهِ وسيرةِ أصحابِه، وعليهم أن يقفوا سدًا منيعًا وسيفًا مسلطًا لكلِّ متعدٍ على اللهِ ورسولِه (ﷺ) بمنهجٍ سليمٍ وردودٍ مثمرةٍ بغيرِ الغضبِ والانفعالِ ومثارِ الشرِ، فالعجلةُ أمُّ الندامات، ونرجو من المتقنين للغاتِ الأجنبيةِ ولا سيما اللغةُ الإنجليزيةُ أن يتواصلوا عبرَ وسائلِ الشبكاتِ العالميةِ والتقنياتِ الحديثةِ معَ غيرِ المسلمين، وليترجموا كتبَ السيرةِ النبويةِ، وليعقدوا الندواتِ المشتركةَ لتصحيحِ نظريتِهم المغلوطةِ عن الإسلامِ وعن نبيِّ الإسلامِ، وليكن للأفرادِ بصمةٌ في هذا المشروعِ العالميِّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على خيرِ خلقِ اللهِ أجمعين .

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .

الخطبةُ السبعون

التحذيرُ من قناةِ حياةِ المسيحيةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحتَ الثرى، لا يغيبُ عن سمعِه وبصرِه دبيبُ النملِ في الليلِ إذا سرى، يعلمُ السِّرَ وأخفى، ويسمعُ أنينَ المضطرِ ويرى، لا يعزبُ عن علمِه مقالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، اصطفى آدمَ ثم تابَ عليه وهدى، وابتعث نوحًا فبنى الفلكَ وسرى، ونجَّى الخليلَ مِنَ النارِ فصارَ حرُها ثرى، ثم ابتلاه بذبحِ ولدِه فأدهشَ بصبرِه الورى، أحمدُه ما قُطِعَ نهارٌ بسيرٍ وليلٌ بُسرى، أحمدُه حمدًا يدومُ ما هبتْ جنوبٌ وصَبا، ونشهدُ أن لا إلـهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نقولُها بليلٍ وضحى، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ما ضلَّ عن الحقِ وما غوى، ونصلي ونسلمُ على الرسولِ المجتبى، أشرفُ الخلقِ عَربًا وعجمًا، المبعوثُ في أمِّ القرى صلاةً وسلامًا دائمين ما تحركتِ الألسنُ والشِّفا، وعلى أبي بكرٍ الذي أنفقَ المالَ وصاحبَه في الدارِ والغارِ بلا مرى، وعلى عمرَ ذي الهيبةِ والقُوى، وعلى جميعِ آلِه وأصحابِه وأزواجِه وبناتِه ما تعاقبَ صبحٌ ومساء؛ أمَّا بعدُ:

فعليكم ـ عبادَ اللّٰه ـ بالتمسكِ بشُعبِ الإيمانِ لتسلموا مِنَ النيران، وتفوزوا بالجنان، فيا مَنْ يؤمرُ بما يصلحُه فلا يَقبلُ أمَا الشيبُ نذيرُ الموتِ قد أقبل؟! أما أنت الذي عن أفعالِك تُسأل؟! أمَا أنت تخلو في اللحدِ بما تعملُ يا مبادرًا بالخطايا توقف ولا تعجل، ياغافلًا في بطالتِهِ يا مَن لا يفيقُ من سَكرتِه أين ندمُك على ذنوبِك؟ أين حُزْنُك على عيوبِك؟ إلى متى تُؤذي بالذنبِ نفسَك وتضيِّعُ يومَك تضيعَ أمسِك؟ لا مع الصادقين ثبت لك قدمٌ ولا مع التائبين لك ندمٌ؛ هلاَّ مددت في الدعاءِ يدًا سائلةً،

وأجريت في السحرِ دمعةً سائلةً!! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

أيُّها المؤمنون

إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ تمرُّ بفترةٍ عصيبةٍ تكادُ تفقدُ هويتَها الإسلاميةَ، وتكونُ تابعةً مسخًا إمعةً، فيجولُ المؤمنُ بناظرِه فيرجعُ إليه البصرُ خاسئاً وهو حسيرٌ، يرى طرائقَ قددًا ومسالكَ متشابكةً متعرجةً، يصبحُ الحليمُ فيها حيرانَ، وقد طفحت الماديةُ الجوفاءُ على الأذهانِ والعقولِ، وتفشت المشتبهاتُ، وخبا نورُ الجانبِ الروحيِّ، وأُهملَ جانبُ العقلِ والنفسِ، ودبَّ في الأمةِ الإسلاميةِ داءُ الأممِ الماضيةِ حبُّ الدنيا وكراهةُ الموتِ، وقد غذَّى هذه الحالةَ المرضيةَ وابلٌ مِنَ الشبكاتِ العالميةِ التي يُحسبُ كثيرٌ منها على الإسلامِ والمسلمين وقنواتٌ فضائيةٌ تُعلي رايةَ الرذيلةِ، وتبكي مِن بثِّها الفضيلةُ، أصبحت غذاءً في كثيرٍ مِن بيوتاتِ المسلمين مع التساهلِ بواجبِ الدعوةِ إلى اللهِ تعالى والحِسبةِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ الذي هو قِوامَ الدين، وبه نالت هذه الخيرةَ على العالمين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[3].

أيُّها المسلمون

قنواتُ الفسادِ والخلاعةِ كثيرةٌ جدًّا، وقد فعلت في الأمةِ المحمديةِ ما لم يفعلْه ألفُ مدفعٍ من ضياعِ الأخلاقِ وتعفنِ الفطرِ وتليُّنِ الفتيان

(١) سورة التوبة الآية: ١١٩ .
(٢) سورة الحديد الآية: ٢٨ .
(٣) سورة آل عمران الآية: ١١٠ .

وتخشُّن الفتياتِ وذوبان الشخصيةِ المسلمةِ كذوبان الثلجِ بين يدي شمسِ الظهيرةِ، وقد ظهرت قنواتٌ هي أشدُّ ضررًا وأقوى فتكًا مِن قنواتِ الخلاعةِ والمجون، قنواتٌ تحاجُّ اللهَ ورسولَه (ﷺ) وتتمردُ عليهما، قنواتٌ تنقلُ ريحَ السَّمومِ وتهبُ جِيفُ فكرِها بالنتنِ والخبثِ والسوءِ، ومن تلك القنواتِ قناةُ الحياةِ الضالةِ، وما هي بحياةٍ بل ميتةٌ في فكرِها، فاسدةٌ في بثّها، مسيحيةٌ في لحنِها، كافرةٌ في عرضِها، ملحدةٌ في دعوتها قناةٌ:

لها ألفُ وجهٍ بعدما ضاعَ وجهُها ... فلا ندري أيَّ وجهٍ نصدقُ

قناةٌ تُبحرُ على بحرِ الضلالِ، وترسو على أتونِ الهوى، وتشتدُّ على أحزمةِ الجهلِ، وتستمدُ طاقتَها مِن مولداتِ إبليسَ وأبناءِه، يا كرامَ الوجوهِ لماذا كلُّ هذا؟!

هل تعلمون أنَّ هذه القناةَ تُبثُّ في العالمِ الإسلاميِّ، تبثُها عصاباتٌ مرتزقةٌ في العالمِ الإسلاميِّ بلا رقيبٍ ولا حسيبٍ، هل تعلمون أنَّ هذه القناةَ صُممت خصوصًا لهدمِ العقيدةِ الإسلاميةِ والتشكيكِ في اللهِ ورسولِه(ﷺ) والإسلامِ!! هل تعلمون أنَّ هذه القناةَ تَسبُّ اللهَ ورسولَه (ﷺ)، هل تعلمون أنَّ هذه القناةَ تسبُّ وتلعنُ أصحابَ النبيِّ(ﷺ) هل تعلمون أنَّ هذه القناةَ تدعو إلى دخولِ المسيحيةِ في كلِّ بيتٍ، هل تعلمون أنَّ هذه القناةَ تشككُ في البعثِ والجنةِ والنارِ؟! هل تعلمون أنَّ هذه القناةَ تقولُ: إنَّ القرآنَ محرفٌ مبدلٌ، اللهُ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[2] ويأتي مذيعٌ من هذه القناةِ بل ديكٌ نفشَ ريشَه مِن هذه الشَّناةِ[3]، ويقولُ: إنَّ لديه نسخةً قديمةً مِن

(١) سورة فصلت الآيات: ٤١ - ٤٢ .
(٢) سورة الحجر الآية: ٩ .
(٣) الشَّناة: مِنَ الشينِ والقبحِ .

القرآن من القرن الأولِ تختلفُ عن النسخِ المتداولةِ، كذبت عدوَ اللهِ ورسولِه(ﷺ) وصدقَ اللهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾[1] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[2] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[3].

أيُّها الأحبةُ في اللهِ

ولمَّا كانَ الموضوعُ بهذه الخطورةِ العظيمةِ تعيَّنَ نشرُ هذه التنبهاتِ:

التنبيهُ الأولُ: يجبُ على الحكوماتِ في بُلدان الإسلامِ ومن بأيديهم الحولُ والطولُ من أصحابِ المناصبِ والكلماتِ النافذة والمؤثرين في المجتمعاتِ المسلمةِ أن يتصدوا لقناةِ الحياةِ، وكلِّ قناةٍ تسلكُ مسلكَها، عليهم أن تكون لهم يدٌ مباركةٌ تفضي إلى غلقِ هذه القناةِ وحجبِها عن بُلدانِهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[4].

التنبيهُ الثاني: الدخولُ إلى مواقعِ الشبهِ والإباحيةِ ومتابعةِ قنواتِ الفسادِ وعلى رأسِها قناةُ الحياةِ ولو كان بدعوى الردِّ والاطلاعِ على ما يقولون فتنةٌ عُظمى لَمن لم يكن مؤهلًا، وليس لديه كفاءةٌ علميةٌ وفكريةٌ تحمي عقيدتَه من الانزلاقِ والتشكيكِ، فالقلبُ يتشربُ الشبهةَ شيئًا فشيئًا حتى لا تخرجَ منه، ولذا يقولُ سيدُنا حذيفةُ بنُ اليمان (رضيَ اللهُ عنه): (إيَّاكم والفتنَ لا يشخصُ إليها أحدُ فو اللهِ لا يشخصُ لها أحدٌ إلا نسفته كما ينسفُ السيلُ الدَّمن، والسلامةُ منها ألا تمرَّ بواديها)، ولذا فإنَّ السلامةَ للمسلمين أن يبتعدوا عن هذه القنواتِ ويحذروها وليتابعوا أيَّ

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٧.
(٢) سورة النساء الآية: ١٢٢.
(٣) سورة فصلت الآية: ٤٤.
(٤) سورة محمد الآية: ٧.

قناةٍ مفيدةٍ كقنواتِ القرآنِ الكريمِ لتتنورَ قلوبُهم وبيوتُهم أو المحاضراتُ العلميةُ النافعةُ أو الداعيةُ الى الفضائلِ، وهي موجودةٌ بحمدِ للّٰهِ تعالى.

التنبيهُ الثالثُ: يجبُ على الأجيالِ والناشئةِ أن تزددَ مِنَ الثقافةِ الفكريةِ فإنا في زمان تشتعلُ فيه الحربُ الفكريةُ، وقد غدت كتبُ الفكرِ في ذا الزمان مِنَ العلومِ المهمةِ للطلبةِ والناشئةِ والشبابِ مِنَ الجنسين، فالفكرُ لا يحارَبُ بدراجاتٍ ناريةٍ تجوبُ إلى أنصافِ الليالي، ولا بسياراتٍ ترجفُ بأنكرِ الأصواتِ، ولا لتنظرَ أيُّهما الأجملُ منا أنا أم أنت، بل بفكرٍ مثلهِ وأعلا منه. يجبُ على الأجيالِ أن تحملَ الفكرَ الإسلاميَّ الخالصَ، وعليهم ألاَّ يجمعوا في أفكارِهم بين المتناقضاتِ بينَ القولِ والفعلِ وبين الاعتقاداتِ والسلوكياتِ، كما لا يجتمعُ الضبُّ والحوتُ والماءُ والنارُ.

أيُّها المؤمنون

يقولُ مولانا جلَّ وعلا على لسانِ هودٍ ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[1].

★★★

الحمدُ للّٰهِ الذي منَّ علينا بالهدايةِ للإيمان وزيَّنه في قلوبِنا وكرَّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعِصيانَ، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ مِن ولدِ عدنانَ، وعلى آلِه والتابعين لهم بإحسانٍ؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها الأحبةُ في اللّٰهِ

إنَّ التحذيرَ من قناةِ الحياةِ الفاسدةِ المنحرفةِ التي تتبنى الترويجَ للمسيحيةِ واجبٌ على كلِّ موحدٍ وموحدةٍ فإنَّه يومَ توارى الاستمساكُ المبينُ بالكتابِ والسنةِ اجتمعَ دينان وثلاثةٌ في جزيرةِ العربِ والرسولُ(ﷺ) يقولُ: " لا يجتمعُ دينان في جزيرةِ العربِ"، يوم حلَّت الغفلةُ

(١) سورة هود الآية: ٥٢ .

تسربت جهاتٌ مسيحيةٌ تحاولُ بثَّ فكرِها، وتشربت نفسُها للسيطرةِ على مهدِ الإسلامِ حتى تحققَ لهم بناءُ عدةِ كنائسَ في الخليجِ، وفي دولةٍ خليجيةٍ يرتفعُ صليبُ الكنيسةِ إلى أعلى من أيِّ مُؤذنةٍ في الجزيرةِ كلِّها يومَ فشى الجهلُ بالإسلامِ بثت الحياةُ الضلالَ في ديارِ الإسلام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] واستمسكوا بالحنيفيةِ السمحةِ ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ ﴾[2].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

وقبل أن أقومَ من مقامي هذا فإنَّ هذه رسالةٌ صادرةٌ مِنَ الطلبةِ والطالباتِ الدارسين في المدارسِ الدنيا والعليا والجامعاتِ والكلياتِ يطلبون وقتًا لأداءِ صلاتِهم، فرحم اللّهُ مسؤولًا وعميدًا ومديرًا أعانَ الأجيالَ على أداءِ هذه الشعيرةِ المباركةِ في وقتِها، وباركَ اللّهُ في مدراءَ ومدرسين ومدرساتٍ حددوا وقتًا لأداءِ هذا العهدِ المباركِ، كما نشكرُ المعلمين والمعلماتِ الذين جاهدوا في تحديدِ وقتٍ في مدارسِهم وكلياتِهم لأمِّ العباداتِ الصلاةِ مع تسربِ وقتِ الشتاءِ وضيقِ وقتِ الصلواتِ النهاريةِ ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .

(٢) سورة المائدة الآية: ٣ .

(٣) سورة البقرة الآيات: ٤٥ - ٤٦ .

الخطبةُ الحاديةُ السبعون

لنصرةِ أهلِ غزةَ من حربِ ١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي فضحَ اليهودَ في آياتِ الهدى، وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ وعبدَ الطاغوتِ والهوى، ملأَ صدورَهم ببعثةِ محمدٍ(ﷺ) الحزنُ والأسى، وجعلَهم سبحانَه العدلُ من فتنةِ الدنيا ووباءٍ، فهم يسعون في الأرضِ فسادًا وبلاءً، ألا لَعنةُ اللّه على اليهودِ ما تزاورُ الشمسُ عن يمينٍ وشمالٍ بين صبحٍ ومساءٍ سبحانَه يملي لليهودِ ليُحكِمَ عليهم الحربَ والصِلا ويفيضَ عليهم بنكالٍ قد طما، نصرَ اللّهُ المظلومينَ ورزقَهم نورًا وشِفا، وسلَّطَ على براثنِ اليهودِ ظلامًا وعَشا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نرجو بها مراتبَ العلا، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه لقمعِ روادِ الخنا، وأنزلَ عليه ردًّا حاسمًا على اليهودِ، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1] (ﷺ)وعلى آلِه وأصحابِه أربابِ الحجى.

عبادَ اللّه

قال(ﷺ): " مَن قالَ صهٍ والامامُ يخطبُ فقد لغا"، ومَن نامَ أو تأخرَ عن خطبةِ الجُمُعةِ فقد لَعِبَ الشيطانُ بعقلِهِ وقلبِه، وقد حُرِمَ الأجرَ، وما أعظمَ الحرمان.

أيُّها الأبرارُ

ينادي منادٍ في الجنةِ: إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تَسقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَحيَوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشِبُّوا فلا تَهرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وذلك قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ

---

(١) سورة المائدة الآية: ٦٤ .

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] ما أشجارُ الجنةِ؟ ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[2] ما أنهارُها؟ ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾[3] ما لباسُها وفُرشُها؟ ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[4] ما أزواجُ أهلِ الجنةِ؟ ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾[5] لمن كلُّ هذا ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾[6] ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾[7] ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾[8].

إخوةَ العقيدةِ

هل تعلمونَ أنَّ في الأمةِ الإسلاميةِ سرطانًا خبيثًا جاثمًا على صدرِها؟

هل تعلمون أنَّ أرضَ الإسلامِ بها كيانٌ مارقٌ هزيلٌ، جلبَ الويلَ والبلاءَ على أهلِ الأسلامِ؟ هل تعلمون أنَّ هناك ثعبانًا بيننا يعيشُ ويتمددُ على دماءِ المسلمين.

إنَّه سرطانُ اليهودِ، إنَّه كيانُ اليهودِ، إنَّه ثعبانُ اليهودِ، قاتلَ اللّٰهُ اليهودَ حاربَ اللّٰهُ اليهودَ، انتقمَ اللّٰهُ مِنَ اليهودِ، كم يتموا مِن أطفالٍ فبأيِّ ذنبٍ

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٤٣.
(٢) سورة الرحمن الآية: ٦٨.
(٣) سورة محمد الآية: ١٥.
(٤) سورة الكهف الآية: ٣١.
(٥) سورة الرحمن الآيات: ٧٢ - ٧٤.
(٦) سورة الرعد الآية: ٣٥.
(٧) سورة مريم الآية: ٦٣.
(٨) سورة النبأ الآية: ٣١.

يُتموا! وكم رملوا من نساءٍ فبأيِّ ذنبٍ رُمِّلت! وكم قَتَّلوا من شيوخٍ فبأيِّ ذنبٍ قُتِّلوا! اغتصبوا أرضَ الإسلامِ، وهودوا أرضَ القدسِ، وأحرقوا الممتلكاتِ، وترادفت من بطشِهم وفسادِهم الزفراتُ والصرخاتُ مِنَ المراضعِ والحوامل، فلا مجيبَ فبكى الطفلُ والشيخُ الكبيرُ، فلا مغيثَ كم أرسلت غزةُ مِنَ الدموعِ؟ وكم ألقت فلسطينُ مِنَ البكاءِ، آهاتٌ تتوالى، وزفراتُ غزةُ مِنَ المشافي، ونحيبٌ لا ينقطعُ منذ بضعةِ عقودٍ ـ رحماك ربي ـ رحماك ربي ـ فإليك المشتكى وأنت المستعانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك يا إلهَنا.

معاشرَ الموحدين

إنَّ ما تسمعونه وتشاهدونه مِن إرهابِ الصهاينةِ في أرضِ فلسطين من القتلِ والتدميرِ ليسَ غريبًا ولا عجيبًا مِنَ اليهودِ.

فاليهودُ هم الذين تطاولوا على ربِّهم وخالقِهم، فقالوا: بأنَّه فقيرٌ تعالى اللهُ عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا، فاليهودُ هم الذين قَتَلوا الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ، قال ربُّنا جلَّ وعلا عنهم: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[1] واليهودُ هم الذين قالوا بأنَّ اللهَ بخيلٌ ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[2] اليهودُ هم الذين أمرَهم نبيُّهم موسى ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ بدخولِ الأرضِ المقدسةِ والقتالِ فقالوا له: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3] اليهودُ هم الذين قالَ اللهُ فيهم: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ ﴾[4] اليهودُ هم

(١) سورة آل عمران الآية: ١٨١ .
(٢) سورة المائدة الآية: ٦٤ .
(٣) سورة المائدة الآية: ٢٤ .
(٤) سورة المائدة الآية: ٨٢ .

الذين قالَ اللّهُ فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾[1] اليهودُ هم الذين أخبرَ اللّهُ عنهم: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾[2].

أحبابَ رسولِ اللّه (ﷺ)

وقد عانى رسولُنا الكريمُ (ﷺ) مِن هذه الشرذمةِ اليهوديةِ المنحلةِ، فكانوا إذا مَرَّ بهم الرسولُ (ﷺ) قالوا: سخريةً وتغامزًا به هذا يتيمُ أبي كبشةَ - وأبو كبشةَ هذا هو زوجُ حليمةَ السعديةِ مُرضعةِ الرسول(ﷺ)، وذلكَ مِن بابِ التنقُّصِ - ، وإذا تخلفت عائشةُ أمُّ المؤمنين عنِ الركبِ، قالَ اليهودُ: زُني بها، وإذا انتصرَ الرسولُ (ﷺ) على المشركين في يومِ بدرٍ انتصارًا رائعًا حقَّرَ اليهودُ روعةَ هذا النصرِ، واذا تجمعتِ الأحزابُ أمامَ الرسولِ (ﷺ) في يومِ الخندقِ حاصرَه اليهودُ مِنَ الخلفِ، وإذا أهدى اليهودُ إلى رسولِ اللّه (ﷺ) طعامًا دسوا له فيه السُّمَ الزُّعافَ، وإذا ألَّفَ رسولُ اللّهِ (ﷺ) بينَ الأوسِ والخزرجِ ذكَّرَهم اليهودُ بأحقادِهم حتى يختلفوا.

معاشرَ الإخوةِ

وبعدَ أن تعرَّفنا على شيءٍ بسيطٍ قليلٍ عن أضلِ الملل، أصحابِ العوجِ والخللِ اليهودِ معَ الأنبياءِ، ومع رسولِنا الكريمِ(ﷺ)، وذكرنا شيئًا مِن رجسِهم وبغيِهم على إخوانِنا المستضعفين في فلسطينَ، ولا سيما غزةُ فإنَّ هناك خُطواتٍ عمليةً تجبُ على مستوى الحكوماتِ والجهاتِ الرسميةِ وعلى مستوى الأفرادِ والجماعاتِ من هذا الكيانِ الغاشمِ.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٦٠ .

(٢) سورة المائدة الآية: ٦٤ .

أولًا: علينا أن نصلحَ أنفسَنا مِنَ الداخلِ بالتسلحِ بسلاحِ العقيدةِ الخالصةِ للهِ تعالى قولًا وعملًا وواقعًا، وأن ننصرَ اللهَ تعالى بتطبيقِ شريعةِ السماءِ بحذافيرِها ليتحققَ وعدُ اللهِ بالنصرِ على اليهودِ، وكلِّ جبارٍ يريدُنا بسوءٍ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[1] ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[2].

ثانيًا: يجبُ على الأمةِ الاسلاميةِ أن تكونَ متحدةً غيرَ متشظيةٍ متفقةً غيرَ مختلفةٍ، وأن تكونَ في كاملِ جاهزيتِها واستعدادِها، وأن تتسلحَ بالأسلحةِ الحربيةِ المتطورةِ لا لقتلِ شعوبِها كما نرى بل لقمعِ ودحرِ اليهودِ وأعوانِهم يجبُ أن يُعوَّدَ الشبابُ على حملِ السلاحِ والضربِ على الزنادِ والشهامةِ والغيرةِ، يجبُ أن تدرَّسَ الأجيالُ في المدارسِ والجامعاتِ والكلياتِ غزواتِ الرسولِ (ﷺ) وشجاعةَ خالدِ بنِ الوليدِ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ حتى لا تكونَ أمةُ الإسلامِ حقيرةً ذليلةً واهيةً يضربُ الصهاينةُ بكلِّ تبجحٍ وعنجهيةٍ فلسطينَ وغزةَ، وتُغيرُ طائراتُهم على قلبِ عاصمةٍ عربيةٍ الخرطومِ، ولا حولَ لنا ولا قوةَ، ثم نقولُ: نحن غيرُ مستعدين للدخولِ في حربٍ وجهادٍ مع اليهودِ. صحيحٌ لأنَّ الأمةَ مستعدةٌ لفتحِ الباراتِ والمسخراتِ والتي يُجَرُّ إليها الشبابُ حتى لا تكونَ في عقولِهم وقلوبِهم عقيدةٌ صالحةٌ ولا عندهم حسٌّ لقضايا الإسلامِ.

دعوا المهازلَ يومَ الجدِّ واعتصموا ... باللهِ إن شئتموا أن ترفعوا العلماء

بارَكَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

(١) سورة الحج الآية: ٤٠.

(٢) سورة محمد الآية: ٧.

الحمدُ للّٰه، باركَ حولَ المسجدِ الأقصى، وأقصى مَن أعرضَ عن عبادتِه واستقصى، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، أمرنا بالتمسكِ بالدينِ وأوصى، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمدًا عبدُ اللّٰه ورسولُه، بلَّغَ رسالةَ ربِّه فما ضلَّ ولا استعصى، صلى اللّٰهُ وباركَ عليه وعلى مَن اتَّبع ملتَه، وتمسك بسنتِه واستوصى، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فثالثًا: ما يجبُ علينا من كيان الظلمةِ اليهودِ الدعاءَ لإخواننا المستضعفين المغلوبين على أمرهم بالنصرِ والتمكينِ والشدِّ على قلوبهم في أرضِ رباطِهم وطردِ اليأسِ والقنوطِ والإحباطِ، فإنَّ هذه الأمةَ منصورةٌ بإذنِ للّٰه تعالى، وعلينا أن نستغلَ وسائلَ الإعلامِ والمواقعَ والشبكاتِ العالميةَ للمشاركةِ في التخفيفِ عن إخواننا والجهادِ عن بُعدٍ بكلِّ وسيلةٍ متاحةٍ، وهي كثيرةٌ في هذا الزمان.

رابعًا: يجبُ أن تتحركَ المنظماتُ الخيريةُ والاغاثيةُ على مستوى الحكوماتِ والأفرادِ والجماعاتِ، وأن تكونَ هناك مبادرةٌ للتبرعاتِ وإرسالِ الأطباءِ والمتبرعين في إعمارِ غزةَ وفلسطين، وأن يكونَ ذلك لاتمامِ فكِّ الحصارِ الجائرِ الذي يفرضُه هؤلاءِ المجرمون اليهودُ .

أيُّها المؤمنون

ومع هذه المحنِ التي تعصفُ بالمسلمين في فلسطينَ وميانمارَ وكشميرَ وعددٍ من ديارِ الإسلامِ والأقلياتِ المسلمةِ المرابطةِ القابضةِ على إيمانها كالجمرِ بين الشيوعيين البوذيين والملاحدةِ فإنَّ اللّٰه جلَّ وعلا كتبَ النصرَ والتمكينَ له ولرسوله(ﷺ) ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[1] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[2] واللّٰهُ أكبرُ والنصرُ للإسلامِ .

ألا وصلوا وسلموا على الحبيبِ المجتبى كما أمركم بذلك ربُّكم جلَّ وعلا.

---

(١) سورة المجادلة الآية: ٢١ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٤ .

الخطبةُ الثانيةُ والسبعون

حلباتُ التفحيصِ بالسياراتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ العظيمِ في قدرِه، العزيزِ في قهرِه، العليمِ بحالِ العبدِ في سرِّه وجهرِه، وما يجري عليه في دهرِه، الجائدِ على المجاهدِ بنصرِه، المنعمِ على العاصي بسترِه، الحليمِ عن آمنِ مكرِه، فهو يرزقُ الكافرَ على كفرِه، يسمعُ صريفَ القلمِ عندَ خطِّ سطرِه، وصوتَ النَّملِ في صلدِ صخرِه، ونعيقَ الضفدعِ في حافةِ بحرِه، وأنينَ المدنفِ عندَ ضعفِ صبرِه، وشكوى المظلومِ في ظلمةِ الليلِ وقطعِه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[1] سبحانَه أرسلَ محمدًا (ﷺ) بين يدي الساعةِ، وجعلَ من أماراتِها أن يُوسدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه، صدقَ الأمينُ فقد تولَّى الأمرَ كلُّ متحذلقٍ متبلتعٍ[2] أميرٍ في جهلِه، أحمدُه على القدرِ خيرِه وشرِه، وأشكرُه على القضاءِ حلوِه ومرِّه، وأشهدُ بوحدانيتِه شهادةَ مَن لا يجولُ التشبيهُ والتجسيمُ في فكرِه، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه داعيًا إلى البرِّ أهلِ بحرِه وبَرِه (ﷺ) وعلى صاحبِه أبي بكرٍ سابقِ الكلِّ بشيءٍ وقرَ في صدرِه وعلى الفاروقِ معزِّ الإسلامِ بغضاضتِه[3] وقهرِه، وعلى سائرِ آلِه وأصحابِه ما جادَ السحابُ بقطرِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

بين أيديكم حياةٌ على شفيرٍ قابَ، ومصيرٍ محتومٍ في أطباقِ التراب، وأهوالٍ مِن سكراتِ الموتِ صعابٍ، حينها تتقطعُ الأرحامُ والأنسابُ، ولا

---

(١) سورة الروم الآية: ٢٥ .

(٢) متبلتع: الذي يتفطنُ ويتكيسُ، وليسَ عندَه شيءٌ .

(٣) بغضاضتِه: بمكارمِه ومحامدِه .

ينفعُ فيه الأهلُ والأموالُ والأسبابُ، إمَّا نعيمٌ في الجنان أو تقلبٌ في العذابِ، وكلٌّ ينادي بلسان الحسراتِ، يا ويلتنا ما لهذا الكتابِ، فللهِ لا يؤذنُ وليس هناك من خطاب، أمَا أمهلكم الرحمنُ رويدًا فتجاهلتم في الشيبِ وأسرفتم في الشباب، أمَّا بشَّركم بالوعدِ وقدَّمَ إليكم بالوعيدِ في محكمِ الكتابِ، فيا صاحِ أعدَّ الزادَ لعرصاتِ الحسابِ، وكن من أولياءِ اللّٰهِ المتقين الألبابِ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[3].

جندَ اللّٰهِ ورسولِه (ﷺ)

إنَّ هناك غزوةً مِن غزواتِ اللغةِ العربيةِ وتراكيبِها، قد جهَّزت عُدتها وعَتادَها بجيشٍ من كلماتِها العربيةِ الفصحى في مقدمتِها أفعالُ الذَّم، وفي مؤخرتِها أسماءُ الإستفهام، وعن الميمنةِ صيغُ منتهى الجموعِ وعن الميسرةِ شيخُ النداءِ يرافقُه أولادُه مِنَ الاستغاثةِ والتعجبِ والنُدبةِ والترخيم، وكأني بأمِّ اللغاتِ متعطشةٌ بأساليبِ الإنكارِ والتفجعِ لخوضِ مناقشةٍ لموضوعٍ تمخرُ عُبابَه عبائةُ الجهلِ، وتتبلجُ فيه بطانةُ السخفِ الفكريِّ، وتستفحلُ فيه ركاماتٌ مِنَ الغبشِ في الرؤيةِ والتصورِ، وما أكثرَ المواضيعَ التي تتكدسُ في مجتمعنا لتذيقَ حكومةً وشعبًا ثمرةَ ما قدمت أيديهم، قالَ مولانا جلَّ وعلا: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾[4] فالاختلاطُ بين الجنسين، وانحرافُ الأجيالِ والخمورُ

---

(١) سورة البقرة الآية: ٤٨ .
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٨٦ .
(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٩ .
(٤) سورة الأنفال الآية: ٥١ .

وتوابعُها والمخدراتُ والشذوذُ وجرائمُ الشرفِ وفسادُ الإعلامِ وترويجُه للمجونِ وبيتُ العنكبوتِ وقائمةٌ عريضةٌ مِن مثلِ هذه الآفاتِ الخبيثةِ والأدواءِ الخطيرةِ، إنَّها مواضيعُ ستكشفُ الأيامُ القادمةُ عن فضاعاتٍ وعصاباتٍ إجراميةٍ، بدأت في الطفحانِ فمَن المسؤولُ - يا اللهُ -؟ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[1].

أيُّها الأخيارُ

إنَّ المنبرَ يحبُ أن يناقشَ موضوعًا، والعرقُ يتصببُ من سُلَّمِه أسفًا، ويستغيثُ باللهِ والمسلمين، إنَّه موضوعٌ يدلُ بصراحةٍ قاطعةٍ لا تقبلُ الشكَ أنَّ عدوى الجنون انتقلت من فئةِ الشبابِ إلى مرافقِ الرأيِ، ومن طائفةٍ ضيقةٍ مخصوصةٍ إلى طائفةِ القرارِ والتأثيرِ، فلمَن نشكو مجانينا إلى مجانين!

شكوتُم إلينا مجانينكم ... ونشكو إليكم مجانيننا
فلولا المعافاةُ كنا كهم ... ولولا البلاءُ لكانوا كنا

أتدرون - أيُّها السادةُ - ما هو الموضوعُ؟ إنَّه موضوعٌ خطيرٌ وإقدامٌ غيرُ موفقٍ، إنَّه موضوعُ إنشاءِ عددٍ من حلباتِ التفحيصِ بالسياراتِ، وهو المشهورُ عندَ الشبابِ بالتخميسِ، وهو إقدامٌ تقليديٌّ أوربيٌّ خطيرٌ وإعلانٌ متهورٌ؛ وهو قرارٌ غِلمانيٌّ صرفٌ وإلا فهو يافعٌ مراهقٌ لا غيرَ، وفيه ضَرْبٌ مِن نشرِ شهواتِ الشيطانِ الرائجِ سُوقُه في ذا الزمانِ، وعَفَنُ الماديةِ مِنَ الشططِ والتهورِ وعدمِ المبالاةِ بالنفسِ والمالِ؛ وهو قبلَ ذلك تغذيةٌ دسمةٌ مبكرةٌ للأحداثِ والمراهقين والأجيالِ، إنَّه تدميرٌ لشبابِ الأمةِ، واستهلاكٌ لطاقاتِهم، وتشويشٌ متعمدٌ لاتجاهاتِهم، واغتيالٌ لاتزانِهم الفكريِّ إلى مطباتِ العُدوانيةِ والانفلاتِ، إنَّه إبعادٌ سحيقٌ للأجيالِ عن معالي الأمورِ

(١) سورة الروم الآية: ٤١ .

إلى مخازيها، والنأيُ بهم عن مقاماتِ الرفعةِ والطموحِ والعلمِ والاختراعِ إلى مطباتِ الجهلِ والإفلاسِ والخنوعِ، وقد جنت على نفسِها بُراقشُ[1].

أيُّها العقلاءُ

إنَّ إنشاءَ هذه الحلباتِ يستنزفُ أموالًا باهضةً، تصلُ إلى آلافٍ، بل الملايين، ونحن في بلدٍ ينقصُه الكثيرُ مِنَ الخدماتِ المهمةِ، وفي أمسِ الحاجةِ لكلِّ ريالٍ يدخلُ في خزينةِ الدولةِ لكي يتمَ استغلالُه الاستغلالَ الأمثلَ لخدمةِ الشعبِ. فيا أيُّها المسؤلون ماذا يستفيدُ الشعبُ مِن هذه الحلباتِ التي ظاهرُها - كما تدعونَ - تنظيمُ مهارةِ التفحيصِ، ولكن في بواطنِها المصائبُ الكُبرى، وسيندمُ متخذوا هذا القرارِ لإنشاءِ تلك الحلباتِ وفي المثلِ: (وداون بالتي كانت هي الداءُ)، يا أهلَ القرارِ إنَّ هذه الحلباتِ ما هي إلا مدارسُ لتعليمِ الشبابِ الاستهتارَ بحيث يصلون إلى مستوى الإدمانِ في التفحيصِ، وأيُّ شابٍ يصلُ إلى هذا المستوى حالُه كحالِ مدمني الخمرِ والمخدراتِ لن يبالي ولن يتوانى في تطبيقِ لهوِهِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ في الحلبةِ وخارجِها، وخيرُ شاهدٍ ما نراه في شوارعِ الدولِ المجاورةِ، أصبحت تلك الشوارعُ كلُّها حلباتِ استعراضٍ، والنتيجةُ: الفتكُ بأرواحِ الشبابِ وأرواحِ الأبرياءِ، فما أخرجت حلباتُهم إلا أخسَّ حالٍ، وأقذرَ وضعٍ وأفظعَ مصابٍ، يا مَن يملكون الأمرَ، معلومٌ لديكم بأنَّ هذه الحلباتِ استعراضيةٌ، وسوف تُجهَّزُ بمدرجاتٍ خاصةً للمتفرجين، ولا ريبَ فإنَّ الأطفالَ والمراهقين والشبابَ سيكونون النسبةَ الأكبرَ، فماذا تتوقعون مِنَ الطفلِ والمراهقِ والشبابِ عندما يرى بأمِّ عينيه مثلَ تلك الحركاتِ الجنونيةِ المتهورةِ؟ ألا تتوقعون أنَّ الأمانيَ والطموحَ يراودانه لتطبيقِها بنفسه، وإن حدثَ ذلك فبالطبعِ ستكونُ النتيجةُ مخزيةً وعاقبةُ أمرِها خسرًا وندامةً مرةً كندامةِ الكُسَعيِّ.

---

(١) المثلُ يُضربُ لمن يوقعُ نفسَه في المهالكِ والمشاكلِ.

يا أيتُها الجهاتُ التي تلي الأمرَ

قد ثبت لديكم بما ذكرنا النواحيَ السلبيةَ والآثارَ الخطيرةَ المترتبةَ على التفحيصِ فعلام تُحَكِّمون هوىً متبعًا بأن التفحيصَ مغامرةٌ ولا حبذا، وأنَّه فنٌّ في القيادةِ ومهارةٌ للسائق، وأنَّ الحلباتِ تخففُ مِن تهورِ الشبابِ في الأماكنِ العامةِ، وهذا كلامٌ تركبُه حماقاتُ أبي غَبْشَان وغباءُ يزيدَ القيسيِّ الذي يبحثُ عن بعيرِه، وهو ينادي بملءِ فيه:(أيُّها الناسُ مَنْ وجدَ بعيري فهو له)، إنَّ تحسينَ الفسادِ فسادٌ في الفطرةِ، وخرمٌ للمروءاتِ، وفحشُ الخطئاتِ والضلالاتِ، وهو مسخٌ لسلطان العقلِ، وتحكيمٌ لشيطانِ الجهلِ، ولا ننكرُ أنَّ هناك نهضةً تنمويةً وعُمرانيةً قائمةً ومحاولةَ إصلاحٍ متواضعةً من محبي الخيرِ لوطنهم، وفي المقابلِ لا يخفى أنَّ هناك هدمًا وسفهًا مِن عقودٍ في البلدِ مِن بطانةِ السوءِ أنبتت أشجارًا خبيثةً اُجتثت مِن فوقِ الأرضِ مالها من قرارٍ وأمراضًا نفسيةً أنتجت شبابًا طائشًا ينادي بالسفاسفِ والتُرهاتِ، وتعالجُ الحكومةُ حمَّاهم بالطاعون .

يُقضى على المرءِ في أيامِ محنتِه حتى يرى حسنًا ما ليسَ بالحسنِ

أيُّها الموحدون

يقولُ الحقُ جلَّ وعلا: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[1]، فاستغفروا ربَّكم الرؤوفَ الرحيمَ البرَّ الكريمَ.

★★★

أمَّا بعدُ:

نحمدُ اللهِ ونشكرُه على آلِه، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه.

فإنَّكم يا إخواني الشبابُ مستهدفون، وأنتم ثروةُ الأمةِ وسندُها في الحاضرِ، وأملُها في المستقبلِ، فلا تغرنَّكم هذه الأهواءُ الجانحةُ، وأشعلوا في

(١) سورة النساء الآية: ١١٠ .

قلوبِكم روحًا إسلاميةً ونهضةً فكريةً وتقدمًا حضاريًا وتطورًا في جميعِ الميادين؛ واعلموا أن التفحيصَ ـ التخميسَ ـ وإن رعته الحكوماتُ فهو محرمٌ شرعاً لما يترتبُ على ارتكابِه مِن قتلٍ للنفسِ وانتحارٍ، قالَ سبحانَه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[1] وهو تخريبٌ وتبذيرٌ للمالِ وقتلٌ للوقتِ ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾[2] وعنِ الصادقِ(عليه السلام): " لا تزولُ قدما عبدٍ مِن عندِ ربِّه يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن خمسٍ عن عُمُرِه فيم أفناه، وعن شبابِه فيم أبلاه، وعن مالِه مِن أين اكتسبَه وفيم أنفقَه، وعن علمِه ماذا عملَ "، وهو دلالةٌ على خواءِ النفسِ وضعفِ الوازعِ الإسلاميِّ.

ونوجهُ نداءً لاذعًا إلى الجهاتِ المسؤولةِ والشرطةِ خاصةً: التخميسُ ممنوعٌ في كلِّ دولِ العالمِ، والدليلُ على ذلك أنَّ أجهزةَ الشرطةِ في العالمِ تحررُ مخالفةً لمن يرتكبُه، وقد حررت محاكمُ عُمانَ مخالفاتٍ لا تُحصى لَمن يقومُ بالتفحيصِ بالسجنِ والغرامةِ؛ فكيف بمخالفةٍ صريحةٍ تُحللُ في أماكنَ وتُحرَّمُ في أماكنَ أُخرى، هذا أمرٌ غيرُ منطقيٍّ، خذوا مثلًا: شربُ الخمورِ ممنوعةٌ في الأماكنِ العامةِ مسموحٌ بها في الأماكنِ الخاصةِ، فهل في الأخيرِ يزيدُ العقلَ صحةً وسلامةً، ويفقدُه في الأوَّلِ الصوابَ بالتأكيدِ العلةُ والخطأُ مفهومان واضحان، فلا يجوزُ شرعًا ولا قانونًا ولا عرفًا أن نقولَ هذا الشيءُ خطيرٌ ومضرٌ هنا، جيدٌ ونافعٌ هناك، فهذا خبالٌ، فعلى الشرطةِ أن تثبتَ على منعِها، وألاَّ تستقبلَ الضغوطَ التي تُمارسُ عليها بالتنازلاتِ، وعليها أن تنسجمَ مع الروحِ الوطنيةِ والصالحِ العامِ، الذي

(١) سورة النساء الآيات: ٢٩ – ٣٠.
(٢) سورة الإسراء الآيات: ٢٦ – ٢٧ .

تسهرُ في الدفاعِ عنه، عليها أن تتراجعَ عن مناقصاتِها، وترفضَ جملةً وتفصيلًا مثلَ هذه الحلباتِ يُسجلُ موقفُها لها.

أيُّها الناسُ أيُّها المصلحون

إنَّ المشكلاتِ كثيرةٌ وطغيانَ بحارِ الماديةِ محيطٌ واسعٌ، وإنَّ أكثرَكم نيامٌ كنومةِ أهلِ الكهفِ والرقيمِ؛ فطالما تكلمتِ المنابرُ وشرذمةٌ قليلون من المصلحين وأغلبنا لا يُحركُ ساكنًا، فلا تظنوا أنَّ الجهودَ الفرديةَ أو أنَّ الخطبَ المنبريةَ كافيةٌ للحلِ، فالسيلُ لا يمسكُه إلا سيلٌ مثلُه، والتيارُ لا يدفعُه إلا تيارٌ أقوى منه، فلا بُدَّ من نهضتِكم واتحادِكم وإنكارِكم، ومخاطبةِ الجهاتِ الرسميةِ والوقوفِ بقوةٍ لصدِّ أيِّ مفسدةٍ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1].

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤ .

الخطبةُ الثالثةُ والسبعون

غربةُ الإسلامِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي أحكمَ الأمورَ وقدَّرَها، وقدَّرَ الأشياءَ ودبَّرَها، ودبَّرَ الموجوداتِ وصوَّرَها، وصوَّر الخليقةَ وأظهرَها، وأظهرَ الأسرارَ وطهَّرَها، وطهَّرَ القلوبَ ونوَّرَها، ونوَّرَ الكواكبَ وسيَّرَها، وسيَّرَ الأفلاكَ وسخَّرَها، وسخَّرَ الرياحَ ونشرَها، ونشرَ السُحبَ وأمطرَها، وأمطرَ الرياضَ وأزهرَها، وأزهرَ الأشجارَ وأثمرَها، أحمدُه على نعمِه التي نشرَها وأغزرَها، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نافعةً لمَن عندَه ادخرَها، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي أيدَ اللّٰهُ له الشريعةَ ونصرَها، وجعلَ حملتَها مِن كلِّ أمةٍ أفطنَها، وأجْرَئها (ﷺ) وعلى آلِه وأصحابِه وأزواجِه وذريتِه التي برأها اللّٰهُ تعالى مِنَ الرجسِ وطهَّرَها؛ أمَّا بعدُ:

فيا ابنَ آدمَ

صروفُ الليالي عليك تقرعُ، وغدًا بكاساتِ المنون تُجرَّعُ، ولا بُدَّ فوقَ الرقابِ تشيَّعُ، ولا بُدَّ أن يكونَ لك في القبرِ مرتعٌ، ولا بُدَّ للحسابِ أن تخضعَ ولا بُدَّ أن تقفَ على أهوالٍ منها النفوسُ تصدعُ.

فأين التوبةُ وسيلانُ مدمعِك! وأين الخوفُ من اللّٰه قبلَ حلولِ مصرعِك! وأين الذكرى قبلَ مفارقةِ مربعِك! وأين قيامُ جُنْحِ الليلِ ومفارقةِ مهجعِك! عجبًا لك يا ابنَ آدمَ طالَ النصحُ بالتذكيرِ عن قربِ الآجالِ واقترابِ القيامةِ وأنت بالفسادِ في مهيعِك وفي أمنكِ ومطمعكِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥ ﴾[1] .

أيُّها المسلمون

مِنَ المُسلَّمِ به أنَّ المسلمين قدِ انسحبوا من ميدان الحياةِ، وتنازلوا عن قيادةِ العالمِ وإمامةِ الأممِ، وفرَّطوا في الدينِ، ومع هذا الانسحابِ أخذتِ الدولُ الماديةُ بناصيةِ الأممِ الإسلاميةِ المتشرذمةِ، وبذلك أصبحَ العالمُ الإسلاميُّ كلُّه بأممِه وشعوبِه ومدنياتِه قطارًا سريعًا تسيرُ به قاطرةُ الجاهليةِ والماديةِ إلى غايتِها، وأصبحَ المسلمون ركابًا لا يملكون مِن أمرِهم شيئًا، وكلما تقدمت الدولُ الماديةُ في القوةِ والسرعةِ، وكلما ازدادت وسائلُها ووسائطُها طفحت في الدولِ الإسلاميةِ الغاياتُ الجاهليةُ والحياةُ الماديةُ والفوضى الاجتماعيةُ والانحطاطُ الأخلاقيُّ والقلقُ الاقتصاديُّ والإفلاسُ الروحيُّ . وكانَ من أبرزِ ما ظهرَ في العالمِ الإسلاميِّ المبعثرِ من نتاجِ قطارِ الماديةِ تكريسُ غُربةِ الإسلامِ، وقد بدأَ الإسلامُ غريبًا وسيعودُ غريبًا فطوبى للغرباءِ مِن أمةِ محمدٍ(ﷺ).

أيُّها الأحبةُ في اللّه

إنَّ تكريسَ غُربةِ الإسلامِ مِن أعظمِ الأدواءِ التي تعصفُ بجسدِ الأمةِ الإسلاميةِ على مستوى الحكوماتِ، وعلى مستوى الأفرادِ، وقد عززت ذلك نباتاتٌ خبيثةٌ تعسكرُ في جوفِ الحكوماتِ، وتهيمنُ على القدراتِ، إنَّ هذه الغربةَ تمثلت فيما قلَّ وجلَّ، وقد بلغت حدًّا يصحُ أن نسميَها ترفًا جاهليًا لدى الحكوماتِ، وقد بلغت عاصفةُ الغربةِ الهوجاءِ إلى كلمةِ الإسلامِ نفسه.

أيُّها السادةُ النبلاءُ

لا أدري هل نحن مسلمون حقًا! ولا أدري بأيِّ عقولٍ يفكرُ المسؤلون الذين هم سببٌ في تغييرِ التسمياتِ، لدينا سؤالٌ نرجو الإجابةَ عليه من

---

(١) سورة الطلاق الآيات: ٤ - ٥.

قِبَلِ هؤلاء المسؤولين، ما هي المشكلةُ عندكم في كلمةِ الإسلامِ؟ ولماذا هذه الحربُ الصارخةُ المعلنةُ لكلمةِ الاسلامِ؟ وما هي الحساسيةُ التي تؤذيكمُ من كلمةِ الإسلامِ نحن نفتخرُ بالاسلامِ، ونحملُه شارةً في صدورِنا، وفي مؤسساتِنا، ونرددُ قولَ الشاعرِ:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

أيُّها الجيلُ الواعدُ

عليك أن تفهمَ وأن تفقَه بأنَّ هناكَ تجهيلًا متعمدًا وتغريبًا ممنهجًا وحِراكًا مقصودًا لإقصاءِ الإسلامِ عن دنيا الناسِ وربطِهم بالإسلامِ الصوريِّ لا بالإسلامِ الروحيِّ؛ وكانَ من غايةِ الإسلامِ الصوريِّ غربةُ التخصصاتِ الإسلاميةِ، وعدمُ وجودِ جامعةٍ أو معهدٍ إسلاميٍّ له حقُ الامتيازِ، والاعتبارِ وهذا أفرز بدوره أجيالًا استهانت بالعلوم الإسلامية خصوصًا وما يماثلُها مِنَ العلومِ الإنسانيةِ، واتجهت للعلومِ التطبيقيةِ – البحتةِ –، وقد اتجهت هذه العدوى لتشملَ أولياءَ الأمورِ وأصحابَ الشهاداتِ العلياءِ فأضحوا يحرضون أولادَهم على الغُربةِ مِنَ البلادِ والانصرافِ إلى العلومِ التطبيقيةِ ويثبطونهم عن المعهدِ اليتيمِ المعروفِ بمعهدِ العلومِ الشرعيةِ[1].

وعشعشَ الخرابُ الفكريُّ والتصوراتُ السقيمةُ في الأذهانِ فمن قائلٍ: إنَّ التخصصاتِ الاسلاميةَ والشرعيةَ لا تحتاجُ إلى نسبةٍ ولا جُهدٍ عقليٍّ، فمن يحصلُ على نسبةِ الستين والسبعين بالمئةِ هم أولى بها، ولا مانعَ أن يدخلَها البلَهُ وأصحابُ المجون، أمَّا العلومُ التطبيقيةُ كالطبِ والهندسةِ والفيزياءِ وغيرِها فلها الأذكياءُ والنخبةُ التي تحصلُ على نسبةِ تسعينَ بالمئةِ فصاعدًا، ومن قائلٍ: العلومُ الإسلاميةُ لها كثيرٌ، والعصرُ يقتضي الدخولَ في العلومِ التطبيقيةِ، فلا داعيَ للجمودِ والانصرافِ إلى التخصصاتِ الإسلاميةِ، والجوابُ: أمَّا أنَّ العلومَ الإسلاميةَ لا تحتاجُ إلى

(١) يُسمَّى – الآن – : كليةُ العلومِ الشرعيةِ .

أصحابِ العقولِ والذكاءِ، فهذا خيالٌ وخبالٌ فعلمُ القضاءِ وأصولِ الفقهِ والنحوِ والصرفِ مثلًا تحتاجُ إلى فطنةٍ وذكاءٍ، ولا ينالُها بسطاءُ التفكيرِ والفهمِ فهي ـ أيضًا ـ بحاجةٍ إلى نسبةٍ مئويةٍ مرتفعةٍ، أمَّا قولُ مَن يقولُ: إنَّ العلومَ الإسلاميةَ لها كثيرٌ، فهذا محضُ كذبٍ وافتراءٍ، فإنَّ العلومَ الإسلاميةَ تشكو إلى اللهِ مِنَ النقصِ الحادِ الذي تعاني منه، فالمدارسُ تعاني من نقصٍ في تخصصِ التربيةِ الإسلاميةِ واللغةِ العربيةِ والقضاءِ وما يتعلقُ بوظائفِ الجانبِ الشرعيِّ بها فراغٌ كبيرٌ جدًّا بحاجةٍ الى سدٍّ .

أيُّها الموحدون

إنَّ المجتمعَ المسلمَ لا بُدَّ أن يجعلَ الأولويةَ للتخصصاتِ الإسلاميةِ والشرعيةِ لأنَّها جزءٌ مِن عبادتِه التي يُؤمنُ بها، ومن حقِ هذه التخصصاتِ أن يكونَ لها ميزانُ الصدارةِ، وأن يُسدَّ النقصُ الذي بها، فإذا كانَ ذلك بتخصصِ الجيلِ في العلومِ المهمةِ كعلمِ الطبِّ والهندسةِ والاقتصادِ وسواها من فروضِ الكفايةِ ليتسنى لهم خدمةُ دينِهم والاستغناءُ عن غيرِهم ومواكبةُ العصرِ الذي يعيشونه.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللّهَ العظيم لي ولكم إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

***

الحمدُ للّهِ المتفردِ بالكمالِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّه

إنَّ الشطبَ على كلمةِ الإسلامِ في وقتٍ نرى في سائرِ الدولِ الإسلاميةِ وجودَ هذه الكلمةِ بشكلٍ طبيعيٍ في المؤسساتِ الرسميةِ والفرديةِ، ليس بالأمرِ الهين كما يخادعُ المنافقون والعلمانيون المقربون لإبليسَ والهوى، وكما خُدعَ بعضُ المندرجين المتسمين بالإسلامِ المعتدلِ الذي يرجون منه التزلفاتِ والمناصبَ على حسابِ إسلامِهم، إنَّ الشطبَ على كلمةِ الاسلامِ

والعبثِ بالتسمياتِ التي تُذكِّرُ الأجيالَ بأمجادِها وقادتِها لهو دليلٌ على كره الإسلامِ ومعادةِ اللهِ ورسولِه (ﷺ) واعتناقِ قطارِ الجاهليةِ الماديِّ، وتوغلِ القلوبِ المريضةِ ممسوخةِ الإسلامِ والهويةِ في شرايانِ صنعِ القرارِ في الدولةِ، فليكن منكم أولو بقيةٍ يَنهون عنِ الفسادِ في الأرضِ، ويحمون المجتمعَ مِن براثنِ المارقين والمندسين، ولتكونوا صمامَ الأمانِ لإسلامِكم وعقيدتِكم، وليكن كلُّ واحدٍ منا هيئةً بذاتِه للأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ والانتصارِ للهِ ورسولِه(ﷺ)، فذلك تمكينٌ للإسلامِ في النفوسِ ولدولةِ الاسلامِ والحقِ يقولُ الحقُّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1] وقالَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

أيُّها الجيلُ المؤمنُ

إنَّ من أفضلِ التخصصاتِ على الإطلاقِ هي التخصصاتُ الشرعيةُ لأنَّ فيها صلةً باللهِ تعالى وقربةً ومضاعفةً للحسناتِ؛ وفي السنةِ على صاحبِها ـ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ـ: " من يردِ للهُ به خيرًا يفقهه في الدينِ"، وخيرُ العلومِ ما نفعتِ الانسانَ في الدنيا، وشغلته باللهِ فلا تغفلوا عنها، ووازنوا في الاختيارِ بين العلومِ الشرعيةِ والعلومِ العصريةِ والتطبيقيةِ، فمن جنحَ للعلومِ العصريةِ وجهلَ العلومَ الموصلةَ باللهِ فلا يأمنُ على نفسه ركوبَ قطارِ الجاهليةِ والغرقَ في البحرِ.

حُكيَ أنَّ فريقًا من طلابِ الجامعهِ ركبوا سفينةً للنزهةِ في البحرِ، وكانَ في نفوسِ الطلبةِ نشاطٌ، وكان الملاَّحُ المجدفُ الأميُّ خيرَ موضوعٍ للدعابةِ والسخريةِ فخاطبَه طالبٌ منهم في تخصصِ الهندسةِ، فقالَ له: يا عم ماذا درست، فقالَ له الملاَّحُ: لا شيءَ، فقالَ له: هل سمعت عن الهندسةِ؟ فقالَ له: لا. فتكلمَ طالبٌ ثانٍ قائلًا: وهل سمعت عن الفيزياءِ فقالَ:

(١) سورة الحج الآية: ٤١.
(٢) سورة فصلت الآية: ٣٣.

أولُ مرةٍ أسمعُ عن هذا الاسمِ، وقد علت أصواتُ الطلبةِ بالضحكِ، فقالَ له ثالثٌ: كم سنُك يا عم؟ فقالَ له: وصلت الأربعين سنةً، فردَّ الطلبةُ عليه: ضيَّعت نَصفَ عُمُرَك يا عَمَّنا، فسكت الملاحُ على غصصٍ ومضضٍ مِنَ الطلبةِ، وفي أثناءِ النزهةِ هاجَ البحرُ وماجَ، وارتفعتِ الأمواجُ، واضطربتِ السفينةُ، وأشرفتَ على الغرقِ، فقالَ لهم الملاَّحُ عددوا ما درستم، فعددوا وقد وجدَها فرصةً للردِّ على سخريتِهم به، فقالَ لهم: هل درستم علمَ السباحةِ؟ فقالوا: لا . فقالَ لهم: وقد أحسَّ بنشوةِ الانتصارِ، أنا فاتني نصفَ عُمُري وقد فاتتكم أعمارُكم كلُها، فلا تنفعُكم علومُكم هذه شيئاً لتسبحوا معي، وتصلوا إلى الساحلِ بسلامٍ .

أيُّها الأشرافُ

إنَّ علمَ السباحةِ هو المعرفةُ باللّه تعالى والشريعةِ الإسلاميةِ حيث تموجُ وتضطربُ سفينةُ الحياةِ بوحلِ الماديةِ الطافحِ وغربةِ الإسلامِ .

ألا وصلوا وسلموا على صاحبِ الخلقِ العظيمِ .

الخطبةُ الرابعةُ والسبعون

قصةُ مؤمنٍ وطاغيةٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه المنفردِ بالقدرةِ، العظيمِ فلا يَقْدِرُ أحدٌ قدرَه، أنعم فكم أقالَ عثرةً، ووعظَ فكم أسالَ عبْرةً، خلقَ الآدميَّ وأحصى عُمُرَه، وجعلَ بيتَه بعدَ الرحيلِ في بيداءَ قفرةٍ ، ثم يسألُه عن الكلمةِ والنظرةِ، سبحانه أنذرَ عبادَه يومَ الحسرةِ، وعجَّلَ للطواغيتِ قهرَه بعد أن كانوا في غمرةٍ، ومزقَ ملكَ كِسرى وهدَّ كِبرَه، وسلطَ سهامَ الحينِ على الحجاجِ فقد لطَّخَ الفسادُ صدرَه، فكانَ حتفُه بعدَ أن ظلمَ سعيدًا وغيرَه، نحمدُه حمدًا دائمًا بلا فترةٍ ، ونشكرُه على نعمِهِ التي لا تُحصى كَثرةً، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً ندخرُها نجاةً مِن عذابِ الحفرةِ، وسلاحاً مِنَ العدوِ في العُسرةِ واليسرةِ، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُهُ ورسولُه أرسلَه بالهدى ودينِ الحقِ، وضَمنَ له نصرَه (ﷺ)، وعلى سائرِ آلِه وأصحابِهِ ومَنِ امتثلَ نهيهَ وأمرَه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الموحدون الحاضرون

قبلَ الدخولِ في موضوعِ الخطبةِ نحبُّ أن نخاطبَ كلَّ واحدٍ منكم على انفرادٍ، فاجمع عقلَكَ وقلبَكَ وحواسَك معي، ثم حاسب نفسَك قبل أن تُحاسبَ، وزن نفسَك قبل أن تُوزنَ، ماذا أعددت لتكونَ مِن هذه الزُّمَرِ؟ بعدَ أن يَحكمَ اللّٰهُ جلَّ وعلا بين عبادِه، وهو خيرُ الحاكمين، يُساقُ المتقون إلى الجنةِ زُمرًا ليعطيَهم مولاهم ما لم يكن بالحسابِ، جزاءً بما كانوا يعملون، فُتحت لهم أبوابُ الجناتِ، فإذا كثبانُها المسكُ، وعُشبُها الزعفرانُ، وهواءُها الريحانُ، قد تكاملَ صافيها، وأشرقَ ظهرُها، واستنارَ خافيها

﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1] فهم في النعيمِ يتقلبون، وعلى الأرائكِ ينظرون، ويطَوفُ عليهمَ ولدانٌ مخلدون، وفي الجناتِ أنهارٌ لا أخاديدَ لها، بل سائحةٌ على وجهِ الأرضِ لها حوافٌ من اللؤلؤِ والياقوتِ، ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ نزلوا - تاللهِ - المقامَ الأمينَ، وكُتبوا في أصحابِ اليمنِ، ونالوا كلَّ مثمنٍ ثمينٍ، وأُسكنوا القصورَ، وأعطوا الحورَ العينَ، كلُهن أبكارٌ، ليس فيهنَّ عَوْنٌ، فهم يرتعون فيما يرتعون ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[2] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

أيُّها المؤمنون

إنَّ التاريخَ الإسلاميَّ تتخللُه إلى قيامِ الساعةِ دولٌ وأفرادٌ شوَّهوا صورتَه الناصعةَ، وقضوا على بهائِه وجمالِهِ، اتخذوا عبادَ اللهِ خَولا، وأصبحَ أمرُ اللهِ عندَهم لهوًا ولعبًا، وأضحى إيمانُ الرعيةِ قد أرهقهُ الضَّنى[4]، وجعلوا دولةَ الإسلامِ بقرةً حلوبًا ركوبًا، يَحلِبون ضرعَها، ويركَبون ظهرَها، ويَجزُّون صُوفَها، ويُسيئون عَلفَها وسقيَها حتى كاد ركنُ الإسلامِ المشيدِ يتضعضُ، وكادتِ الأمةُ تجهلُ أصالتَها وكرامتَها، فمع موقفٍ بطوليٍّ حدثَ في القرن الأولِ الهجريِّ مِن تاريخِ الإسلامِ، تتلخصُ أحداثُهُ بينَ عبدٍ مؤمنٍ شهيدٍ مجاهدٍ، تقيٍّ خالطَ الإيمانُ شغافَ قلبِه، فلم تستفزهُ الأطماعُ الدنيويةُ، ولم تستمله الكبرياءُ الثقفيةُ، وبينَ والٍ لفتى مروانَ،

---

(١) سورة الصافات الآية: ٦١.

(٢) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

(٣) سورة الحشر الآية: ١٨.

(٤) الضَّنى: التعبُ والهزالُ الشديدُ والمرضُ.

بل شيطانَ لفتى مروانَ، أنتنت الدنيا بفسادِه، وجفت المحابرُ من تدوينِ ظلالِه، فما تُلي اسمُه بين جمعٍ إلا قالوا: أخزاهُ اللّهُ في حياتِه، وما ذُكِرَ صنعُه بين وفدٍ إلا قالوا: أذلَه اللّهُ في مماتِه.

إنَّه قبلةُ المفسدين، الخاضَبُ في ولايتِهِ بأُرْجُوان[1]، الفصيحُ في لحنِهِ بالفسادِ، إنَّه مَن تعرَّضَ لِأسماءَ بنتِ أبي بكرٍ الصديقِ ـ رضيَ اللّهُ عن أبيها وعنها ـ فقالَ لها مستهزءًا: (اسكتي يا ابنةَ ذاتِ النطاقين)، فردَّت عليه: نعم. ذاتُ النطاقين، أمَّا إحداهما فكنتُ أرفعُ به طعامَ رسولِ اللّهِ(ﷺ) وطعامَ أبي إلى الدوابِ في يومِ الهجرةِ، أمَّا الثاني فنطاقُ المرأةِ التي لا تستغني عنه، إنَّه مَن يؤخرُ الصلاةَ عن وقتِها فقد خطبَ في عبادِ اللّهِ الجُمُعةَ فأطالَ حتى فاتَ وقتُها، وكانَ الإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ (رضيَ اللّهُ عنه) حاضرًا فافطِنَ لقصدِه فصلَّى قبلَ خروجِ الوقتِ إيماءً، فانتبه إليه شيطانُ ثقيفٍ، فقال: قد علمنا مَن صلَّى ومَن لم يصلِ.

ولما نصحَه أحدُ المسلمين ولم يستجب كتبَ له عندَ منبرِه ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾[2] فكتبَ ردًّا عليه: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾[3].

أيُّها الأحبةُ في اللّهِ

حَدَّثَ أهلُ التراجمِ والسيرِ: أنَّ التابعيَّ سعيدَ بنَ جبيرٍ خرجَ على الوالي الحجاجِ بنِ يوسفَ الثَّقفيِّ، فتمَّ القبضُ عليهِ وصُفِدَّ بالقيودِ، فلمَّا دَخلَ سعيدُ بنُ جبيرٍ على الطاغيةِ الجائرِ الحجاجِ، أخذَ ينظرُ إليه في حقدٍ وغِيْظٍ وقالَ له: – ما اسمُكَ؟ فقالَ له: سعيدُ بنُ جبيرٍ، فقالَ له: بل

(١) أرجُوان: صبغٌ أحمرُ قاني، وهو تعبيرٌ عن سفكِ الدماءِ.
(٢) سورة الزمر الآية: ٨.
(٣) سورة آل عمران الآية: ١١٩.

أنت شقيُّ بنُ كُسيرٍ، فردَّ عليه سعيدٌ: كانت أمي أعرفُ باسمي منك. فقالَ له الحجاجُ: ما تقولُ في مُحَمدٍ؟ قالَ: تعني النبيَّ (ﷺ) قال: نعم. قالَ: هو سيدُ ولدِ آدمَ، خيرُ مَن بقى وخيرُ مَن مضى، قالَ الحجاجُ: فما تقولُ في أبي بكرٍ؟ قالَ سعيدٌ: الصديقُ خليفةُ رسولِ اللّه (ﷺ) مضى حميدًا، وعاشَ سعيدًا، قالَ: فما تقولُ في عُمرَ؟ قالَ: هو الفارُوقُ الذي فرَّقَ اللّهُ به بين الحقِ والباطلِ قال: فما تقولُ في عُثمانَ؟ قال: المقتولُ ظلمًا المجهزُ جيشَ العُسرةِ، الحافرُ بئرَ رُومةَ، صِهْرُ رسولِ اللّه (ﷺ)على ابنتيه، قالَ: فما تقولُ في عليٍّ؟ قالَ: ابنُ عمِّ رسولِ اللّهِ (ﷺ) وأولُ مَن أسلمَ مِنَ الفتيان وزوجُ فاطمةَ، وأبو الحسنِ والحسينِ.

ثم قالَ الحجاجُ فما تقولُ فيَّ؟ فردَّ عليهَ: أنت أعلمُ بنفسك، فقالَ له: بل أريدُ علمَك؟ قالَ: علمي عنك يسوُءك ولا يسرُك، قالَ: لا بُدَّ من أنَ سمعَ منك، فقالَ: إني لأعلمُ أنَّك مخالفٌ لكتابِ اللّه ترى من نفسك أمورًا تُريدُ بها الهيبةَ، وهي التي تقحِمُك الهلاكَ، وتدفعُك إلى النارِ دفعًا.

أيُّها الأخيارُ

نعم. هكذا يكونُ المؤمنُ ناطقًا بالحقِ، صلبًا في إيمانه وعقيدتِه، فهذا ميزانُ الصدقِ حين الفتنةِ، قالَ ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[1].

فلمَّا سَمِعَ الحجاجُ مِن سعيدٍ ما قاله فِيه اغتاظَ، وقالَ: أمَا واللّه لأقتلنَّك قِتْلةً لم أقتلها أحدًا قبلَك ولن أقتلَها أحدًا بعدَكَ، قالَ: إذًا تَفسدُ عليَّ دنياي وأفسدَ عليك آخرتَك، قالَ: اختر لنفسك أيَّ قِتلةٍ تريدُها قالَ: بل اخترها أنت لنفسِك يا حجاجُ، فواللّهِ ما تَقتُلني قتلةً إلاَ

(١) سورة العنكبوت الآيات: ٢ - ٣.

قتلَك اللهُ بمثلِها في الآخرةِ قالَ: أفتريدُ أن أعفوَ عنكَ؟ قالَ: إن كانَ عفوٌ فمَنَ اللهِ تعالى، أمَا أنت فلا براءةَ لك ولا عذرَ، فاغتاظَ الحجاجُ، وقالَ: السيفُ في رأسِك، فتبسمَ سعيدٌ، فقالَ له الحجاجُ، وما تبسُمُك؟ قالَ له: عَجِبتُ من جُرأتِك على اللهِ عزَّ وجلَّ، ومن حِلمِ اللهِ عنك فصرخَ الحجاجُ في عسكرِه اقتلوه، فاستقبلوا به القبلةَ، فقالَ سعيدٌ وهو على عتباتِ الموتِ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1] فقالَ: احرفوه عن القِبلةِ ولا تتركوه مستقبلًا لها، فقالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[2] فقالَ: كُبُّوه على الأرضِ، فقالَ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[3] فقالَ: اذبحوا ـ عدوَ اللهِ ـ فما رأيتُ رجلًا أدعى منه لآياتِ القرآن. إخوةَ العقيدةِ يقولُ سبحانَه وتعالى في محكمِ التنزيلِ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[4].

★★★

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وأصحابِه أجمعين؛ أمَّا بعدُ:

فيا أهلَ الإيمان

وهكذا حانت لحظاتُ الوداعِ لهذا التابعيِّ المؤمنِ سعيدِ بنِ جبيرٍ، فبدأ ذبحُه مِن قاعِه، وهو ينطقُ بالشهادتين، ثم رفعَ يديه قائلًا: اللهم لا

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٧٩.
(٢) سورة البقرة الآية: ١١٥.
(٣) سورة طه الآية: ٥٥.
(٤) سورة هود الآيات: ٥٢ .

تسلطِ الحجاجَ على أحدٍ بعدي ففارقت روحُه جسدَه إلى جوارِ ربِّ العالمين. واستجابَ اللّهُ تعالى دعا سعيدٍ فلم يمض على مَصْرعِ سعيدٍ غيرُ خمسة عشر يومًا حتى حُمَّ الحجاجُ واشتدت عليه وطأةُ المرض؛ فكان يغفو ساعةً ويفيقُ أخرى، فإذا غفى غفوةً صغيرةً استيقظَ مذعورًا، وهو يصيحُ: ما لي ولسعيدِ بنِ جبيرٍ ثم يبكي ويقولُ: ردوا عني سعيدَ بنَ جبيرٍ، فقضى نحبَه على ذلك الحالِ.

فتأملوا إلى هذه القصةِ العجيبةِ، كيف تجرأَ هذا الوالي الجائرُ على الرعيةِ! وكيف تجردَ هذا العبدُ الضعيفُ من الإنسانيةِ والرحمةِ! وكيف وصلَ به كِبرُه على عيالِ اللّه! وتدبروا كيف يصلُ بعضُ الحكامِ والولاةِ إلى مصافِ الجنون والهمجيةِ الرعناء، فلا يبالي أن يُهلكَ الحرثَ والنسلَ من أجلِ البقاءِ على كرسيِّ الملكِ، وقد ذهبَ الحجاجُ بصفحاتٍ مشحونةٍ المظالم، وينتظرُ القصاصَ منه أفواجٌ مِنَ العبادِ عندَ المنتقمِ الجبارِ، وذهب طاغوتُ مصرَ، وذهب طاغوتُ ليبيا، وسيذهبُ طاغوتُ سوريا مهما طالَ عِنادُه، وسيذهبُ كلُّ طاغوتٍ يأتي بعدَهم وبين أيديهم حسابٌ غليظٌ، فقد خانوا الأماناتِ وساسوا سياسةَ متكبرٍ جبارٍ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾[1].

أي عبادَ اللّه

يقولُ رسولُنا الطاهرُ(ﷺ): " مَن صلى عليَّ صلاةً صلى اللّهُ بها عليه عشرا "، فصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين كما أمركم بذلك سبحانَه وتعالى حيث قالَ عزَّ مِن قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[2].

---

(١) سورة إبراهيم الآيات: ٤٢ - ٤٣.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٥٦.

الخطبةُ الخامسةُ والسبعون

بيتُ العنكبوتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي نشرَ بقدرتهِ البشرَ، وصرَّفَ بحكمتِه وقدَّرَ، وابتعثَ محمدًا إلى كافةِ أهلِ البدوِ والحضرِ، فأحلَّ وحرَّمَ، وأباحَ وحظرَ، لا يغيبُ عن سمعِهِ وبصَرِه دبيبُ النملِ في الليلِ إذا سرى، يعلمُ السِّرَ وأخفى، ويسمعُ أنينَ المضطرِ ويرى، لا يعزبُ عن علمِهِ مثقالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، اصطفى آدمَ ثم تابَ عليه وهدى، وابتعث نوحًا فبنى الفلكَ وسَرى، وأيَّدَ موسى بعصى، وقالَ له: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[1] ونجَّى الخليلَ مِن النارِ فصارَ حرُها ثرى، أحمدُه حمدًا يدومُ ما هبَّت جنوبٌ وصبا، وأشكرُهُ شكرًا متواترًا ما تُليت ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾[2].

سبحانه حذَّرَ أقطابَ الهوى حلفاءَ الأسى والجوى بمرِّ الجَنَا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ شهادةً نرددُها ما انسلخَ نهارٌ بدجى، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أشرفُ الخلقِ عربًا وعجمًا المبعوثُ في أمِّ القرى (ﷺ) ما قُطعَ نهارٌ بسيرٍ وليلٌ بُسرى، (ﷺ) ما تحركتِ الألسنُ والشفا (ﷺ) ما هجمَ على العينِ الكرى، وعلى جميعِ آلِ بيتهِ وأصحابهِ وأزواجهِ وبناتِه ما تعاقبَ صبحٌ ومسى؛ أمَّا بعدُ:

فيا ابنَ آدم

ما هذه الغفلةُ والتواني والعُمُرُ قصيرٌ! وإلى متى هذا التمادي في البطالةِ والتقصيرِ! وما هذا الكسلُ وقد أنذرَك النذيرُ! أمَا تذكرُ كم أزعجَ

---

(١) سورة طه الآية: ٢٤.

(٢) سورة النجم الآية: ١.

الموتُ نفوسًا من ديارِها! وكم أبادَ البلى من أجسادٍ منعمةٍ لم يدارِها! وكم نقلَ إلى الحفائرِ أرواحًا بذنوبِها وأوزارِها! وكم أذلَّ في التراب خدودًا بعدَ نضارتِها واحمرارِها! فانتبه يا هذا فالدنيا أضغاثُ أحلامٍ، واعلم أنَّها دارُ فناءٍ لا تصلحُ للمقامِ ستفهمُ القولَ بعدَ قليلٍ مِنَ الأيامِ، وما غابَ عنك ستراه على التمامِ إذا انكشفَ الغطاءُ وتحققَ الوعيدُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[2].

أيُّها المسلمون

هَناك دارٌ يُحبُّ المنبرُ أن يَسلِّطَ خطبتَه عن كثبٍ لجديدِها وغزوِها في هذا البلدِ المسلم، والمنبرُ وإن عبَّرَ عنه بدايةً بأنها دارٌ لوصولِ المقصودِ إلى أذهان السادةِ المؤمنِ وإلا فهي بيتٌ من بيوتِ العنكبوتِ يعيشُ هذا البيتُ مهددًا بالأخطارِ لا يدري القائمون عليه متى يُكْبِسُ ولا يدرون متى تعملُ فيه معاولُ الهدمِ، وَإن سَلموا مِن كلِّ هذا فلا يدرون متى يَخِرُّ عليهم السقفُ من فوقِهم فإنَّه بيتٌ قائمٌ على غيرِ أساسٍ، وعلى غيرِ دعائم، وصدقَ العزيزُ الكريمُ حينَ قالَ في محكمِ تنزيلِه ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3]، وجلاءُ الحقيقةِ هو معبدٌ من معابدِ الطاغوتِ.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.
(٣) سورة التوبة الآية: ١٠٩.

ومع تلاحقِ المفاسدِ الخطيرةِ من بيتِ العنكبوتِ الذي ينفثُ سمومَه ويطعمُ المجتمعَ من زقومِه، ويا للأسفِ فقد صادفَ هذا البيتُ في المجتمعِ ضعفَ الوعيِّ، ولا يخفى أنَّ الوعيَّ غيرُ فشوِ التعليمِ فقد يتفشى التعليمُ والثقافةُ العامةُ في المجتمعِ معَ انعدامِ أوضعفِ الوعي؛ ومع ضعفِ الوعيِ في المجتمعِ ظهرت دغدغةُ العواطفِ، ظهرَ التلاعبُ بالعقولِ والمشاعرِ والتمويهُ والخداعُ والتحايلُ على الكتابِ الطاهرِ والسنةِ الغراءِ على صاحبِها (أفضلُ الصلاةِ والسلامِ) ليمررَ المفسدون في الأرضِ ولاَ يصلحونَ المنكراتِ والسخافاتِ كما يحلو لهم؛ ومع أنَّ هناك أقلامًا صالحةً صادقةً ونفوساً غيورةً على حُرُماتِ للّه أن تنتهكَ، ولكن لا زلنا بحاجةٍ إلى مزيدٍ مِنَ الوعيِ ومزيدٍ من صدقِ الإيمانِ لنصلَ به إلى حدِ قوةِ الردعِ لا الدفعِ، فكانَ مِن جملةِ المفاسدِ الخطيرةِ التي حدثت في بيتِ العنكبوتِ، ونرجو أن تصلَ هذه الرسالةُ إلى مَن لَهُ الطَّولُ والحَولُ .

المفسدةُ الأولى: الاستهتارُ بأعظمِ سورةٍ في القرآنِ الكريمِ فاتحةِ الكتابِ الشريفِ وتحويلِها إلى مقطعٍ غنائيٍ .

المفسدةُ الثانيةُ: استقطابُ الناشئةِ والأجيالِ والفتيانِ والفتياتِ للدخولِ في هذا البيتِ مع إغراءاتٍ ماليةٍ.

المفسدةُ الثالثةُ: بَثُّ بطاقاتٍ ورسائلَ تحرِّضُ الناسَ وتزجُّ بهم لهذا البيتِ تحتَ عناوينَ كاذبةٍ وشعاراتٍ زائفةٍ تارةً فُرصةٌ للاستمتاعِ بالموسيقى الاسلاميةِ بروحانياتِها وجمالِها، وثانيةً: عروضٌ خاصةٌ وتنزيلاتٌ للاستمتاعِ بالبرامجِ الفنيةِ والثقافيةِ، وثالثةٌ: التعارفُ بينَ الشعوبِ والثقافةُ العالميةُ، وهلمَّ جرًّا من هذه الدعاياتِ المأفونةِ الهزيلةِ.

أيُّها الأحبةُ في اللّه

ومع ضخامةِ هذه المفاسدِ فإننا سنناقشُ هذه المفاسدَ كلَّ واحدةٍ على سبيلِ الاختصارِ لتوعيةِ المجتمعِ بشرِّها وتحذيرِه من الوقوعِ في شراكِها مع العلمِ أنَّ هذه المفاسدَ ما خرجت إلا مِن رحمِ مفسدةٍ (ولا تلدُ الحيةُ إلا حيةً) .

المفسدةُ الأولى: الاستهتارُ بأعظمِ سورةٍ في القرآن الكريمِ فاتحةِ الكتابِ الشريفِ وتحويلِها إلى مقطعٍ غنائيٍ، تطالعُنا الجرائدُ الرسميةُ بأنَّ بيتَ العنكبوتِ يستنكرُ ويعتذرُ عن تلاوةِ القرآن أثناءَ عرضِ فرقةٍ إمريكيةٍ، وأنَّ الرجلَ مسلمٌ، وأراد أن يعبِّرَ عن حبِّهِ للقرآن وإسعادِ الجمهورِ، ويتحدثُ سوقةُ المجتمعِ وعامتهُ بأنَّ تغييرَ المنكرِ بأسلوبٍ راقٍ واللهُ تعالى يقولُ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1] وماذا صنعَ الرسولُ (ﷺ) بالأعرابيِّ الذي بالَ في المسجدِ! وماذا - أيضًا - ما هذا الهرجُ والمرجُ كلُّ شخصٍ يتحدثُ باسمِ الإسلامِ وكلُّ شخصٍ يتلمسُ الأعذارَ، هانَ الدينُ ورَخصَ لا يتكلمُ في الهندسةِ إلا المهندسون، ولا يتكلمُ في الطبِ إلا الأطباءُ، والإسلامُ يتكلمُ باسمِه كلُّ أحدٍ، حسنًا سنعذرُ الموسيقيَّ الإمريكيَّ لأنَّه مسلمٌ، والمسلمُ لا يكون مطربًا، ونعذرُ الموسيقيَّ لأنَّه يجهلُ بأنَّ القرآنَ الكريمَ جدٌ لا هزلَ فيه، وأنَّه كتابٌ مكنونٌ طاهرٌ لا يَجوزُ أن يُعرَّضَ به في معابدِ الطاغوتِ والضلالِ، وأنَّه يجبُ أن ينزهَ عن التراهاتِ والخبالاتِ. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه.

★★★

الحمدُ للهِ القائلِ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[2] والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه؛ وبعدُ:

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٨١ .

فيا أيُّها المؤمنون

أمَّا **المفسدةُ الثانيةُ**: فهي استقطابُ الناشئةِ والأجيالِ والفتيان والفتياتِ للدخولِ في هذا المعبدِ وتعويدِهم على الطربِ واللهوِ والموسيقى والرقصِ مع الإغراءاتِ الماليةِ، وموقفُ الشريعةِ الإسلاميةِ واضحٌ لا غموضَ فيه من تحريمِ هذه المهازلِ والسخافاتِ، فذلك كلُّهُ مِن لهوِ الحديثِ، ومن الزورِ والفتورِ الذي حذَّرَ الإسلامُ مِنَ الاقترابِ منه فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾[1] ومجتمعُنا لا تنقصُه الأجيالُ النافرةُ المستنفرةُ الذين هم أغنجُ مِن مفنقةٍ وأقلُّ مِن لا شيءَ، نحن بحاجةٍ إلى أجيالٍ تعرفُ ربَّها، وتصلحُ نفسَها ومجتمعَها، نحن بحاجةٍ إلى دارٍ لتحفيظِ الكتابِ والسنةِ النبويةِ، نحن بحاجةٍ إلى أجيالٍ تقرأُ سيرةَ النبيِّ (ﷺ) وأصحابِه وصلحاءِ الأمةِ، نحن بحاجةٍ إلى أجيالٍ تجرُّ بحرَ خميسٍ فوقَ سابحةٍ.

فليحذر أولياءُ الأمورِ وليحذرِ الناشئةُ أن ينخدعوا بهذا المعبدِ، فالداخلُ فيه كلمتمرغٍ في دمِ القتيلِ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2].

لا يخدعنَّك بارقٌ متلمعٌ ... إنَّ البروقَ تخون في تلمعِها

أمَّا **المفسدةُ الثالثةُ**: فبطاقاتٌ ورسائلُ دعائيةٌ مع خصومٍ مجزيةٍ تصلُ إلى أربعين بالمئةٍ موضوعُها: فرصةٌ للاستمتاعِ بالموسقى الاسلاميةِ بروحانيتِها وجمالِها، برامجُ فنيةٌ وثقافةُ التعارفِ، هناك سؤالٌ خطيرٌ نحن نعلمُ أنَّ كلمةَ الاسلاميَّ - الإسلاميةَ - شُنَّت عليها حَمَلاتٌ ممنهجةٌ في بلادِنا من أجلِ حذفِها، فلماذا يُزجُّ بكلمةِ الاسلاميةِ والروحانياتِ في

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٧٢ .

(٢) سورة يونس الآية: ٣٢ .

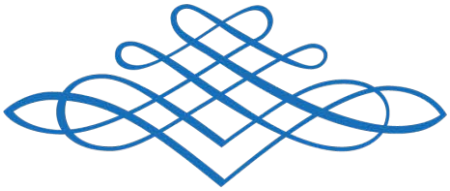
هـذه السفاسـفِ والتُراهـاتِ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[1] وغـيرُ بعيـدٍ أنَّ الإمريكيَّ الذي غنَّى الفاتحةَ وصلته بعضُ هذه الحملاتِ الدعايةِ المضللةِ التي يقومُ بها بيتُ العنكبوتِ فظنَ أنَّ هذا هو المطلوبُ منه.

يا عبادَ اللّه

مِن متى الموسيقى تكونُ إسلاميةً بروحانياتٍ، لا ندري هل هؤلاءِ يفقهون ما يكتبون أم أنهم يخبطون كحاطبٍ في الليلةِ الظلماءِ! الموسيقى ليست إسلاميةً ولا روحانيةَ بل شيطانيةٌ تصبُّ في مزبلةِ الشيطان الرجيم، أمَّا ما يقولونه بأنَّها ثقافةٌ وتعارفٌ بين الشعوب فثقافةُ عمانَ منذُ فجرِ الإسلامِ مِنَ الكتابِ والسنةِ، وتفتخرُ عُمانُ بثقافةِ العلمِ والعلماءِ والقلاعِ والحصون والتاريخِ الموثلِ والمجدِ الضاربِ والحضارةِ الاسلاميةِ .

هـذا تـراثُ عمـانَ لا الليـوا ولا ... النيروز والزارُ الخسيسُ الشاني
فتحطَّ قدرَ عُمانَ مِن أوجِ العُلى ... وتكونَ أنت على عُمانَ الجاني

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.



(١) سورة ص الآية: ٥ .

الخطبةُ السادسةُ والسبعون

﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه المعبودِ في أرضهِ وسمائِه، المقدسِ بصفاتِه وأسمائِه، المتفردِ بعظمتهِ وكبريائهَ ، القاهرِ بجبروتِه وعلوائِه، الواحدِ الأحدِ الذي لا أوَّلَ لأزليته ولا آخرَ لبقائِه، الربِّ الصَمدِ الذي لم يلد ولم يولَد ولم يَشركْه أحدٌ في قضائِه، الحيِّ القيومِ الذي قدَ حكمَ على كلِّ شيءٍ بفنائِه، العالمِ فلا يَعزبُ عن علمِه مثقالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ في حالتي ظُهورهِ وخفائِه، سبحانهَ القائلُ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] فكانَ أولو بقيةٍ حصنًا من سخطِ المولى وبلائهِ، كيف وفي الوحيِّ النبويِّ: " والذي نفسي بيدِه لتأمرُنَّ بالمعروفِ ، ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ اللّٰهُ أن يبعثَ عليكم عذابًا من عنده ثم تدعون فلا يستجابُ لكم "، نعوذُ باللّٰه من الوعيدِ وإفضائِه، نحمدُه على ما نشرَ من نعمائِه، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ شهادةً ندخرُها ليومِ لقائِه، ونشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه خاتمُ أنبيائِه، وصفوةُ رسلِه وأمنائِه، (ﷺ) وعلى آلهِ وصحبِهِ وخلصائِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

اغتنموا نفائسَ أوقاتٍ تسيرُ بكم سيرًا حثيثًا، وأيامًا ولياليَ طالما أرتكُم عبرةً، وأسمعتكم مواعظَها حديثًا، لقد أخبرتكم بما أخلت مِنَ القرون، وما أحلَّت بالأولين مِن قبلِكم، وأعفت مِنَ الآثارِ، ألم تُركم كيف أوردتِ الأترابَ مصارعَ المنايا، ألم تُوصل إليكم مِن الأخبارِ قوارعَ الرزايا؟ أما

(١) سورة هود الآية: ١١٦ .

دهتكم في أنفسكم بكثيرٍ مِنَ الآلام؟ أما أذاقتكم في أنفسكم مرارةَ الأسقام؟ فلو فكرتم في الدنيا لعلمتم أنَّكم في إدبارٍ منها حثيثٌ، وإقبالٍ مِنَ الآخرةِ غيرِ بطيءٍ ولا مكيثٍ، فكأنَّ الليلَ والنهارَ وقد وقفا بكم على الآجالِ، وأزالا عنكم غرورَ الآمالِ، وكشفا عنكم أغطيةَ الأبصارِ، ووصلا بكم إلى دارِ القرارِ، فيا حسرةَ منتقلٍ إلى دارٍ لم يتخذ بها منزلًا، ولم يُقدم إليها مِنَ الصالحِ عملًا، فرحمَ اللهُ امرءًا وَسَّعَ مِنَ القبورِ مضيقًا، واتخذَ مِنَ العملِ الصالحِ صديقًا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٣٣ ﴾[2].

أهلَ القرآن

يقولُ الحقُ جلَّ وعلا: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ إنَّها آيةٌ تسيلُ حروفُها بالحسنِ الرتيبِ، وتتشققُ كلماتُها بالمعنى الرحيبِ، وتدفقُ عبارتُها بالفكرِ البديعِ، آيةٌ جفَّ مِن تسطيرِ حسنِها وجمالِها اليراعُ، ولا يزالُ يتجددُ رونقُها وبهاؤُها وما فرغ من حصرِ شرحِها الخطيبُ المصقاعُ، آيةٌ يتجذرُ فيها الإشراقُ، وتخشعُ مِن كوثرِها القلوبُ الرقاقُ، وقد قالَ الجحودُ ابنُ المغيرةِ في وصفِ القرآنِ وصدقَ: (واللهِ إنَّ له لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أعلاه لمثمرٌ، وإنَّ أسفلَه لمغدقٌ، وإنَّه يعلو ولا يعلى)، وأولو بقيةٍ: كلمةٌ لو أُلِّفَ كتابٌ ضخمٌ في شرحِ هذه الكلمةِ (أولو بقيةٍ) ولماذا يُوصفون بأولي بقيةٍ، وما هو الفرقُ بينهم وبينَ سائرِ الناسِ لقصُرَ القلمُ، وعجزَ اللسانُ، وانتهى الكتابُ.

---

(١) سورة الحج الآية: ١ .

(٢) سورة لقمان الآية: ٣٣ .

أيُّها السادةُ الموحدون

إنَّ البشريةَ ما زالت هدفًا لعواملِ التدميرِ والإفسادِ، منها عواملُ داخليةٌ باطنيةٌ مِنَ الشهوانيةِ، والأنانيةِ، وعبادةِ النفسِ، وحبِ اللذاتِ، ومن قصورِ النظرِ ومِنَ الانصرافِ إلى الدنيا، والخضوعِ للمادةِ، والقوةِ ولعواملِ الشذوذِ، والانحرافِ، ومنها عواملُ خارجيةٌ مِن فسادِ البيئةِ، والمجتمعِ ، وسوءِ التعليم، والترتيبِ، وانحرافِ القوانين، والنُّظم وقد عززَ هذين العاملين المُرَّين وجودُ تزاوجٍ وتناسلٍ بين تيارٍ ينظرُ الناسُ إليه أنَّه يتحدثُ باسمِ الإسلامِ، فيخفقُ إخفاقًا ذريعًا حين يتلمَسُ المبرراتِ، ويلقي المعاذيرَ تحتَ ذرائعِ الوسيطةِ، والتزلفِ في قضايا تعدُّ مِنَ الفسادِ أو في حمى الفسادِ يدركُها العامةُ مِنَ الناسِ فضلًا عمَّنَ يُنظَرُ إليه أنَّه يتحدثُ باسمِ الإسلامِ، وتيارٌ يرى من أفعالِ وتصرفاتِ الملوكِ وحيًا من السماءِ، ونبوةً مِنَ المليكِ الأعلى، وإن كان فيها ما فيها مِنَ التخبطِ المريرِ، وعصيانِ الرحمنِ الرحيم، واتباعِ الشيطانِ الرجيمِ فمن يزجُّ بنفسهِ إلى انتقادِ هذا الوحي، وهذه النبوةِ فليتحمل أقسى العقوبات، وليكنِ التأديبُ والترهيبُ مصيرًا نافذًا إليه ليذوقَ وبالَ أمرِه.

هذا هو الواقعُ، ولا بُدَّ أن نفهَمَ الواقعَ جيدًا، فنحن نعيشُ في الواقعِ، ولا نعيشُ في الأحلامِ فإذا كانَ الهواءُ الذي يَحيطُ بنا فاسدًا تنفسنا الفاسدَ، وإن كان الهواءُ عفنًا تنفسنا العفونةَ، وإن كانَ الهواءُ صالحًا نقيًا تنفسنا النقيَّ الصالح.

أيُّها المؤمنون

لا غرابةَ أن تمرضَ الأممُ ، وأن تحتلَ عواملُ الفسادِ وتعزيزاتُها المواقعَ الحساسةَ في أيِّ أمةٍ، فالفسادُ قائمٌ إلى قيامِ الساعةِ، وقد قالَ الحقُّ: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1] وقالَ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ

(١) سورة الزخرف الآية: ٧٨ .

عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[٢]، وبيَّنَ ربُّ العزةِ والجلالِ أنَّ الفسادَ قد طفحَ في اليابسةِ والبحرِ، فقالَ في الذكرِ الحكيمِ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[١] نعم . ليسَ الغرابةُ أن تنتشرَ أمراضُ الفسادِ، فهذا أمرٌ طبيعيٌّ، ولكنَّ الغريبَ المروِّعَ المفزعَ هو فقدانُ الأطباءِ وهم أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، لا بُدَّ مِن وجودِ طبائعَ صالحةٍ، وضمائرَ حيةٍ، وعقولٍ نيرةٍ، وعقائدَ جازمةٍ راسخةٍ، ودعواتٍ قويةٍ مؤثرةٍ، لا بُدَّ أن يتشاطرَ المسلمون التألمَ من المفاسدِ، ولا بُدَّ مِنَ التصدِي لها وجهًا لوجهٍ، وقطعِ تيارِها كالسدِ، والتلاعبُ بالعقولِ والعواطفِ هو الذي سيُعرِّضُ الركبَ البشريَّ للنارِ أو الدمارِ، والانتحارِ والانهيارِ والمصائبِ، ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢] ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾[٣] ولتعلم الأمةُ المحمديةُ أنَّها لن تنالَ الخيرةَ إلا إذا أمرت بالمعروفِ، ونهت عن المنكرِ، وآمنت إيمانًا صادقًا باللهِ وحدَه، مصداقًا لقولِ الحقِ سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٤].

أيُّها الأحبةُ في اللهِ

استغفروا ربَّكم فإنَّه هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرةِ .

★★★

(٢) سورة سبأ الآية: ١٣ .
(١) سورة الروم الآية: ٤١ .
(٢) سورة الشورى الآية: ٣٠ .
(٣) سورة الأنفال الآية: ٥١ .
(٤) سورة آل عمران الآية: ١١٠ .

نحمدهُ تعالى بمعطارِ الثناءِ الذي يرتضيه، ونعترفُ بالقصورِ عن أداءِ حقِ جلالِه وكما يقتضيه، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المؤمنون

إنَّ الشيءَ المثيرَ للتأملِ والقلقِ، هو النقصُ الحادُ للأطباءِ الناصحين المتألمين المستنكرين للأمراضِ الخطيرةِ التي تنَخرُ جسدَ الأمةِ، وإن هناك مرضًا جامحًا في كثيرٍ مِنَ النفوسِ المسلمةِ يرى أنَّ محاربةَ الفسادِ يعكرُ صفوَ الحياةِ، ويجلبُ الكرهَ بينَ الناصحِ والمنصوحِ، ويجلبُ المسآلاتِ والمخاطرَ والمشاقَ، وبما أنَّ الأمرَ كذلكَ، فلا نحتاجُ إلى توجيعِ الدماغِ، وليصنعَ المفسدون ما شاؤا، وحسابُهم على اللهِ، وإنَّا للهِ وإنا إليه راجعون، وبهذا الفكرِ العقيمِ، وَالمنطقِ المارقِ، استأسدَ المظللون، واستنمرَ المفسدون، وأصبحت غربةُ الإسمِ ظاهرةً عيانًا، وأَلِفَ المسلمون مفاسدَ كثيرةً، يُصبحون ويُمسون عليه دونَ إنكارٍ.

وهناك المرجَون الذين يتوقعون لأنفسهم الغدَ المضمونَ، والمستقبلَ المشرقَ، والزُّلفى مِن أصحابِ المناصبِ لا يضحون بهذا الغدِ، ولا يخاطرون في سبيلِ النصحِ والتوجيهِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ. ولا يتخلصُ من هذه الأنانيَةِ والذاتيةِ إلا الموفقون من أصحابِ الإيمانِ الخالصِ، والفكرِ الناصحِ، ولنا في نبيِّ اللهِ صالحٍ - عليه الصلاةُ والسلامُ - خيرُ مثالٍ ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]، ومنهم مَن ينظرُ إلى الفسادِ أنَّه حريةٌ، وكلُّ شخصٍ بخصوصياتِه، ونحن أمةٌ يحكمُها القرآنُ الكريمُ، والسنةُ النبويةُ الصحيحةُ ، وليست الحرياتُ والخصوصياتُ.

---

(١) سورة هود الآية: ٦٢ .

أحبتي في اللّه

إنَّ ضميرَ النوعِ البشريِّ ينادي بأعلى صوتِهِ شاكيًا بلسانِ الحالِ، فلولا كانَ في الأمةِ الإسلاميةِ أولو بقيةٍ ينهون عنِ الفسادِ في الأرضِ، نحنُ على سفينةٍ والسفينةُ مضطربةٌ مائجةٌ فيجبُ علينا أن نفكرَ في إيصالِها إلى برِّ السلامِ، وليس برُّ السلامِ إلا الإسلامُ الحقيقيُّ الكاملُ البعيدُ عن النفاقِ، البعيدُ عن التخشعِ لأصحابِ المناصبِ، البعيدُ عنِ الخوفِ والترقبِ مِن أذيةِ المتورطين في تسعيرِ جذوةِ الفسادِ، البعيدُ عن كلِّ ما كانتِ الجاهليةُ تتسمُ به، ذاك هو الإسلامُ الذي يتنافسُ فيهِ الراعي والرعيةُ لاستقامةِ الاعوجاجِ.

يروى أنَّ أميرَ المؤمنين عُمرَ بنَ الخطابِ – رضيَ اللّهُ عنه – خطبَ على منبرِ رسولِ اللّهِ قائلًا: (إذا رأيتم فيَّ اعوجاجًا فقوموني)، فقامَ له أعرابيٌّ مِن عُرْضِ القومِ وقالَ له: (واللّهِ لو وجدنا فيك اعوجاجًا لقومناك بسيوفِنا)، فقالَ له عمرُ: (الحمدُ للّهِ الذي جعلَ في الأمةِ مَن يقوِّمُ اعوجاجي بسيفِهِ)، فحفظتِ الأمةُ الإسلاميةُ إذ ذاك عزتَها وكرامتَها، وأصبحت قائدةً للأممِ يَخِرُّ فرقًا من هيبتِها كِسرى وقيصرُ، ثم عمَّ الخوفُ، وحبُّ الحياةِ، فلم يُنكرِ الباطلُ، فوقعتِ البلايا في الدينِ والمالِ والأهلِ والولدِ، وتفشتِ الخمورُ والربوياتُ، وانتهكتِ الأعراضُ، واشتدتِ حَبالُ الفسادِ، وضاعت سفينةُ الأمةِ في عرضِ البحرِ تائهةً حيرانةً تنتظرُ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

الخطبةُ السابعةُ والسبعون

حربُ النظرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه على إنعامهِ المتصلِ الموفورِ، حمدًا تَقرُّ به العيونُ، وتَنْشَرِحُ به الصدورُ، حمدًا يدومُ على مرِّ الليالي والدهورِ، سبحانه حذَّرَ مِن طيشِ البصرِ بما يورثُ الأحزانَ والشرورَ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تضاعفُ لقائلِها الأجورَ، وتؤنسُه عندَ الوحشَةِ في ظلمةِ القبورِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه نبيٌّ أثنى اللّٰهُ عليه في كتابِه بما يَشفي الصدورَ نبيٌّ خصَّه اللّٰهُ بالمقامِ المحمودِ واللواءِ المعقودِ والحوضِ المورودِ، اللهم صلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابهِ أولي الفضلِ المنشورِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّٰه

اعلموا أنَّكم عمَّا قليلٍ ميتون، وفي حُفرِ الفلواتِ مقبورون، ومن بطون الفلواتِ إلى ربِّكم منشورون، وبين يديه موقوفون، وعمَّا قدمتم مسؤولون ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾[1] فما لكم بالدنيا متشاغلون، ولهذه المواقفِ لا تعملون!

فيا معشرَ الجمعِ الغفيرِ

اغتنموا ـ رحمكم اللّٰهُ ـ ما تبقى مِنَ الأعمارِ ـ وحاسبوا أنفسَكم في جميعِ الأحوالِ، وراقبوا اللّٰهَ تعالى في الأفعالِ والأقوالِ، فرحمَ اللّٰهُ امرءًا عمرَ بالطاعةِ لياليَه وأيامَه، وأحسنَ بالتوبةِ النصوحِ ختامَه.

---

(١) سورة الطور الآية: ١٥ .

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾[3] .

أيُّها الأبرارُ

هناك حربٌ ضروسٌ خفيةٌ تجري كما يجري الدمُ في العروقِ، بل هي دخانٌ مشحونٌ بسمومِ فتاكةٍ تهددُ سبيلَ الرشدِ بل تهدُّ المجتمعاتِ وتنخرُها حتى تتكسرَ اللبنةُ الصلبةُ فيها، وتسلكُ بها سبيلَ الغيِّ، إنها حربُ النظرِ التي شَطَحت في المجتمعاتِ الإسلاميةِ، وكانت هناك وجوهٌ عليها غبرةٌ ترهقُها قترةٌ قد علمت أن حربَ النظرِ سببٌ في انهيارِ صرحِ الأمةِ المشيدِ ومجالٌ لإغراقِ شبابِها في بحرِ مداعبةِ الشهواتِ الوبيلِ، فركنت إلى هذه الحربِ الشعواءِ، وتساقطَ كثيرٌ من الأجيالِ والناشئةِ تحتَ أسرِها مع غفلةِ الدعاةِ والمصلحين والمجتمعاتِ المسلمةِ عنِ القيامِ بواجبِها لصدِّ هذه الحربِ.

فما مفهومُ هذه الحربِ؟ وما طرقُ الترويجِ لها؟ وما واجبُ المجتمعاتِ المسلمةِ مِن أجلِ صدِّها؟

أيُّها المسلمون

العينُ مرآةُ القلبِ وفتنةُ النظرِ أصلُ كلِّ فتنةٍ وأكبرُ خائنةٍ نفسيةٍ هي

---

(١) سورة البقرة الآية: ٤٨ .
(٢) سورة النساء الآية: ١ .
(٣) سورة المائدة الآية: ٣٥ .

النظرُ، فإذا غضَّ العبدُ بصرَه غضَّ القلبُ شهوتَه وإرادتَه، وإذا أطلقَ بصرَه أطلقَ القلبُ شهوتَه، والعينُ الباصرةُ تلتقطُ ما تراه لتؤثرَ على سلطان القلبِ فينتشرُ هذا التأثيرُ إيجابًا أو سلبًا على الإنسان، وإنَّ هناك صورًا تمرُّ على عيوننا في كلِّ جزءٍ مِنَ الثانيةِ، ولذا جاءَ الإسلامُ بسدِّ بابِه في أوَّلِ ما سَدَّ مِنَ الأبوابِ، وقد نطقَ الوحيان بمبدأ الغضِ، فقد قالَ الحقُ سبحانه: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾[1] وفي السنةِ النبويَّةِ يقولُ الطاهرُ الزكيُّ (ﷺ): " فالعينُ تزني وزناها النظرُ"، وقالَ عالي المقامِ (ﷺ): " النظرُ سهمٌ مسمومٌ مِن سهامِ إبليسَ فمن غضَّ بصرَه عن محاسنِ امرأةٍ أو أمردٍ للّٰهِ أورثَ اللّٰهُ قلبَه حلاوةَ العبادةِ إلى يومِ القيامةِ "، وجعلَ المصطفى(ﷺ) مِن حقوقِ الطريقِ غضُّ البصرِ.

أيُّها الموحدون

إنَّ حربَ النظرِ المحرَّمِ في هذا الزمان مِن أعظمِ وأشدِّ أسبابِ الإنحرافِ لدى الأجيالِ والناشئةِ، وأصبحَ لزنا النظرِ سُوقٌ حرةٌ تُعرَضُ فيها الأعراضُ والعَوْراتُ بالمجان، إنَّ مِنَ الغريبِ جدًّا أن نجدَ السِّياحَ الأجانبَ في بلادِنا يتجوَّلُنا بيننا بملابسَ تَخْدِشُ العفةَ والحياءَ، وقد يستهدفُ بعضُ هؤلاءِ الأجانبِ مِن هذا التجردِ نشرَ التفسخِ في مجتمعاتِنا، وقد صادفَ هذهِ الحالةَ المريرةَ وجودُ أجيالٍ لا تقوى على غضِّ بصرِها والإمتثالِ لكلامِ ربِّها ونبيِّها (ﷺ)، وهذا ما يؤكدُه واقعٌ أنَّ امرأةً أوربيةً بصورةٍ عاهرةٍ تلبسُ مَلْبَسًا خادشًا للعفةِ كانت تطوفُ في شيءٍ مِن دولِ الخليجِ، فرأت تراكم النظراتِ عليها، فسألت بائعَ حانوتٍ عن هذه النظراتِ التي تنغرسُ في جسدِها هل في بلادِكم إرهابٌ و خشيةٌ على نفسي، فردَّ عليها صاحبُ الحانوتِ: لا عليك إنَّما ينظرونك نظرةَ شهوةٍ وهوى، فردَّت عليه هذه المرأةُ الأوربيةُ، إنا كان كذلك فلا بأسَ فلينظروا

(١) سورة النور الآية: ٣١ .

ما شاؤا متى شاؤا ! ويقولُ شابٌ مِن شبابِنا عندَما أَدخلُ المجمعاتِ التجاريةَ لكثرةِ المهيجاتِ من الفتياتِ اللاتي تتسوقُ وفي إعلاناتِ وملصقاتِ السلعِ، أخرجُ منها وحرارة شهوتي مشتعلة .

وهذه جرائدُنا ومجلاتُنا تطفحُ بالصورِ الخليعةِ والأجسادِ المحرمةِ يوميًا، وكأننا من دولِ الإباحيةِ، وإن الذهولَ ليبلغُ مبلغَه فينا عندما نرى كثيرًا من محلاتِنا والمجمعاتِ التجاريةِ تحتضنُ آلافَ الصورِ التي تثيرُ الشهواتِ والغرائزِ، ونجدُ بعضَها يُعرَضُ علانيةً على رؤوسِ الأشهادِ في واجهةِ المحلاتِ الخارجية! بينما نجدُ ملصقاتٍ على كثيرٍ مِنَ البضائعِ أشبهَ ما تكونُ بالعاريةِ تمامًا يراها الصغيرُ والكبيرُ وكلُّ داخلٍ إلى ذلك المحل!

إنَّها صورٌ تؤثرُ تأثيرًا نفسيًّا وجسديًّا على المجتمعِ كافةً بل حتى على الصبيِّ، وهو في السنواتِ الأولى من عُمُرِه، وتؤثرُ على البنتِ الصغيرةِ، وهي في سنواتِ البراءةِ الوديعةِ لتحوِّلَ هذا الخلقَ الجديدَ وحوشًا كاسرةً تلهثُ وراءَ شهواتِها، وتخلقُ في أجسادِهم الناعمةِ زحفًا مبكرًا مِنَ الشهوانيةِ التي لا شكَ ستوجهُها هذه الصورُ توجيهًا سلبيًا، وبذلك تزدادُ جرائمُ الاغتصابِ واللواطِ والزنا وعلاقاتِ الغرامِ بينَ المراهقِين والمراهقاتِ، ويزيدُ الأمرَ تفاقمًا تأخرُ سنِ الزواجِ عندَ شبابِنا وبناتِنا وغلاءُ المهورِ وما يتبعُ الزواجَ مِن تكاليفَ، وهذا ما ينذرُ بخطرٍ حقيقيٍ بدأنا ننغمسُ في أُتونه.

أحبابَ رسولِ اللهِ (ﷺ)

إنَّ المسؤوليةَ تتوزعُ على جهاتٍ:

أولًا: على وزارةِ السياحةِ أن تكتبَ مطوياتٍ توزعُ على أيِّ سائحٍ يطأُ بلادَنا، نبيِّنُ لهم فيها عقيدتَنا الإسلاميةَ التي تَحرِّمُ هذا التفسخَ ومضارَه على المجتمعِ، ونبيِّنُ لهم فيها عاداتِنا وتقاليدَنا، ونحن لا نشكُ في استجابةِ هؤلاءِ السياحِ بل لهذا دعوةٌ لإسلامِهم وإكبارٌ لتمسكِنا بمبادئِنا

وعادتِنا وتقاليدِنا التي ندينُ بها، كما على القنواتِ الإعلاميةِ أن تتقيَ اللهَ تعالى مِن هذا الحطامِ الذي تذرُوه الرياحُ مِنَ الصورِ المهيجةِ والحلقاتِ المخلةِ بالآدبِ الإسلاميةِ.

ثانيًا: وزارةُ البلدياتِ عليها ألاَّ تنظرَ إلى حلاوةِ الضرائب التي تأخذُها مِن أصحابِ المحلات والمجمعاتِ التجاريةِ من أجلِ أن تسمحَ لهم بتعليقِ هذه الصورِ المتفسخةِ فإنَّ ضرائبَ الفسادِ التي ستلحقُ المجتمعَ ستكونُ وبالًا عليهم، وسيجنون منها نكالَ الآخرةِ والأولى.

ثالثًا: يتحملُ أصحابُ المجمعاتِ والمحَلاتِ التجاريةِ وزرًا غيرَ منقوصٍ في كلِّ صورةٍ مارقةٍ أو لقطةٍ فاجرةٍ تُعَلَّقُ على أيِّ سلعةٍ، وسيكونُ دخلُ هذه المَحَلاتِ مشوبًا بالشبهاتِ ما لم تنقِ سلعتَها وواجهةَ محَلاتِها ولوائحَها من هذه المحرماتِ.

أيُّها الأحبةُ

يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].

★★★

الحمدُ للهِ الذي جعلَ القلوبَ أوعيةً فخيرُها أوعاها للخيرِ والرشادِ وشرُّها أوعاها للشرِ والفسادِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وأصحابِه وأتباعِه بإحسان؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها السادةُ الأشرافُ

أمَّا المسؤوليةُ الرابعةُ فيتحملُها المجتمعُ قاطبةً ولا سيما المثقفون والمصلحون والمربون لا بُدَّ مِنَ النصحِ والإرشادِ، لا بُدَّ مِنَ الأمرِ بالمعروفِ

(١) سورة المزمل الآية: ٢٠ .

والنهيِ عنِ المنكرِ، لا بُدَّ مِن رفعِ أغلالِ المنكراتِ عن المجتمعِ، فلا فائدةَ مِن صلاةٍ ولاعملٍ صالحٍ لا يوجهُ صاحبَه لفريضةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[1] وتقعُ المسؤوليةُ الخامسةُ على الشبابِ مِنَ البنينَ والبناتِ، لا بُدَّ أن يتقوا اللهَ تعالى، وأن ينظروا إلى ما أحلَّ اللهُ تعالى، وأن يكفوا أبصارَهم عن النظرِ المحرمِ في أيِّ مكانٍ كان، وبأيِّ وسيلةٍ كانت، وتذكروا أنَّ من فوائدِ غضِّ البصرِ الخضوعَ لأمرِ للهِ ورسولِه (ﷺ) وتخليصَ القلبِ مِن ألمِ الحسرةِ، فإنَّ مَنْ أطلقَ نظرهَ دامت حسرتُه، واضطربَ جسدُه كلدغِ الحيةِ أو مثلِ حرِّ الجمرِ مِن عشقٍ كثيرٍ مِنَ الغيدِ الغانياتِ، ومِن تأثيرِ الصورِ المهيجاتِ، وبذا يضيعُ المستقبلُ في خفقانِ القلبِ وهَيَجانِ الدمِ.

ومن فوائدِ غضِّ البصرِ أنَّه يُورثُ القلبَ نورًا وإشراقًا يظهرُ على عينيه ووجهه وجوارحِه، ويورثُ القلبَ شجاعةً وثباتًا، وغضُّ البصرِ يسدُّ بابًا مِن أبوابِ جهنمَ، فإنَّ النظرَ بابُ الشهوةِ الحاملةِ على مواقعةِ الفعلِ.

ألا فاتقوا اللهَ وغضوا أبصارَكم عنِ الحرامِ ولا تصرفوه عن مركزِه الشرعيِّ ليصرفَ اللهُ عنكم السوءَ والفحشاءَ والبلاءَ والنقمَ.

ألا وصلوا وسلموا على النعمةِ المسداةِ والرحمةِ المهداةِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ .

---

(١) سورة التوبة الآية: ٧١ .

الخطبةُ الثامنةُ والسبعون

استقبالُ رمضانَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي وعدَ الصائمين المخلصين بنعيمِ جنانه، وتوعَّدَ مَنْ جحدَه بجحيمِ نيرانه، وقهرَ مَن كفرَ بقويِّ سلطانه، وسترَ من فجرَ بجميلِ إحسانه، وعذرَ مَنِ اعتذرَ مِن قبيحِ عصيانه، وغفرَ لمَن عبرَ إلى حرمِ غفرانه، وجبرَ مَنِ انكسرَ لأجلِ رضوانه، سبحانه يسبحُه الفَلَكُ بدورانه، والبرقُ بلمعانه والسحابُ بسريانه والريحُ بخفقانه والنهرُ بجريانه والشجرُ بأغصانه والزهرُ بألوانه والطيرُ بأشجانه والروضُ بغدرانه والبَرُّ بكثبانه والبحرُ بحيتانه كلٌّ يسبح بغريبِ لغتِه ولسانه، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له في أرضِهِ وسمائِه، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه المبعوثُ ببرهانه(ﷺ)، وعلى سائرِ آلهِ وأصحابِه أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الصُوَّامُ

أمَا آنَ لنا ونحنُ في فواتحِ شهرِ الصيامِ أن نرجعَ إلى مولانا، وأن نُقْلعَ عن هوانا، ونستجيبَ لما دعان، أنسينا مَا خوَّلنا وأعطانا، أمَا خلقنا فسوَّانا، أمَا عطفَ علينا القلوبَ وبرزقِه غذَّانا، أمَا ألهمَنا إلى الإسلامِ ودعانا، أمَا قرَّبنا بفضلِه وهدانا، أما برُّه في طرفةِ عينٍ يغشانا، ألا وإنَّ ضيفًا طارقًا يَحلُّ دياركم وحبيبًا عن قريبٍ مَفارقٍ، فأكرموه بالعملِ الصالحِ وزودوه بالتوبةِ النصوحِ مِن الفعلِ الصالحِ، ورتلوا القرآنَ ترتيلًا، وسبحوا ربَّكم بكرةً وأصلًا ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[1].

---

(١) سورة المائدة الآية: ٢ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

أيُّها الموحدون

لليومِ الثالثِ تمخُرُ سفينةُ هذا الشهرِ الفضيلِ بلا توقفٍ، وستستغرقُ في سفرتِها ثلاثين يومًا إلا أنَّ بحرَ الأمةِ الذي تمخرُهُ هذه السفينةُ المباركةُ، تكتسحُه أنواءٌ قاسيةٌ وأمواجٌ عاتيةٌ كالتماسيحِ الهائلةِ الضاربةِ فاغرةً أفواهَها، والشاطئُ بعيدٌ والخطرُ محدقٌ قريبٌ، والحالةُ هذه فإنَّ سفينةَ الصيامِ تمرُّ بسلامٍ وطمأنينةٍ من بين هذا الجوِ الصاخبِ إلا أنَّ ركابَ السفينةِ الرمضانيةِ انقسموا إلى ثلاثةِ أقسام.

القسمُ الأولُ: وهم الراكبون طوعًا الذين جهزوا العُدةَ، ولم يكتفوا بصورةِ الصومِ بل اعتنوا بحقيقتِهِ وروحِه، فأكثروا مِن أعمالِ البرِّ مِنَ الصلواتِ والصدقاتِ وقراءةِ القرآنِ الكريمِ، وحرَّموا على أنفسِهم كلَّ ما ينافي مقاصدَ الصومِ وغاياتِه، وكلَّ ما يضيِّعُ حكمَه وفوائدَه الروحيةَ والخُلقيةَ، وأحاطوا الصومَ بَسياجٍ مِنَ التقوى والأدبِ وعفةِ النفسِ واللسان؛ فهم على حدِّ قولِه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[2] وهم عندَ حدِّ قولِهِ (ﷺ): " الصومُ جُنةٌ فإذا كانَ أحدُكُم صائمًا فلا يَرفث ولا يَجْهل وإن امرؤٌ قاتلَه أو شاتمَه، فليقل إني صائمٌ"، وهذا القسمُ لا تخيفُه الأنواءُ مطمئنًا ثابتًا.

---

(١) سورة لقمان الآية: ٣٣ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٣ .

أمَّا **القسمُ الثاني**: فهم المترددون في ركوبهم لسفينةِ الصيامِ الذين يفهمون حقيقةَ الصيامِ فهمًا سطحيًا مجردًا تتلاعبُ بهم الأهواء، وتتقلبُ بهم العواطفُ، ينظرون إلى هيكلِ الصومِ بأنَّه مجموعةٌ مِنَ الأمورِ السلبيةِ فلا أكلَ ولا شربَ ولا غيبةَ ولا نميمةَ ولا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ؛ في نظرِهم الصومُ ثقيلٌ في مقدمِه، راحةٌ في مخرجِه، قليلٌ من عبادةٍ، كثيرٌ من تفاهةٍ، نومٌ طويلٌ، وسهرٌ هادرٌ في غيرِ مفيدٍ؛ وهؤلاءِ يعنيهم قولُ المولى جلَّ جلالُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[1].

أمَّا **القسمُ الثالثُ**: فهم الذين دخلوا السفينةَ جبرًا وكرهًا، هم الذين جعلوا الصومَ تقليدًا واتباعًا للعادةِ، فصومُهم مسايرةٌ للمجتمعِ والبيئةِ، وتركُهم للمأكلِ والمشربِ تفاديًا مِنَ الطعنِ والملامِ ، صومٌ خالٍ مِنَ روحِ التقوى والعفافِ، صومٌ مجردٌ مِنَ الحقيقةِ وجسمٌ بلا روحٍ، فهم المعنيون بقولِ الكريمِ (ﷺ): " كم مِن صائمٍ ليسَ له من صيامِه إلا الظمأُ، وكم مِن قائمٍ ليس له من قيامِهِ إلا السهرُ ".

إنَّه مِنَ المؤسفِ حقًا أنَّ أغلبَ المسلمين تصنيفُهم بين القسمِ الثاني وهم المترددون في ركوبِ السفينةِ، والقسمِ الثالثِ وهم الذين دخلوا السفينةَ جبرًا وكرهًا، وقد جنوا بذلكَ على أنفسِهم، وعلى مقاصدِ الصومِ وفوائدِه حتى فقد صومُهم الكثيرَ مِن فائدتِه وقوتِه الإصلاحيةِ والتربويةِ، وبهذا ندركُ أنَّ هناك شرخًا كبيرًا وحقائقَ غيرَ سارةٍ وفجواتٍ غيرَ مشرِّفةٍ نلمسُها ونشاهدُها تجعلنا نؤمنُ ونتيقنُ بأنَّ ما يريدُه اللهُ ورسولُهُ (ﷺ) في

(١) سورة يونس الآيات: ٢٢ - ٢٣ .

المشرقِ وما نفعلُه نحن في المغربِ، والنتيجةُ الحتميةُ مِن هذا الغبشِ هيكلُة العبادةِ وغيابُ روحِها التي جعلتِ الأمةَ الإسلاميةَ المعاصرةَ كاسيةً عاريةً.

أحبابَ رسولِ اللّه (ﷺ)

استغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه إنَّ ربي رحيمٌ ودودٌ.

★★★

الحمدُ للّه الذي جعلَ الصيامَ جُنةً مِنَ العذابِ، وفضَّلَه على سائرِ الأعمالِ فهو يجزي به بغيرِ حسابٍ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه خيرِ آلٍ وأصحابٍ؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها الأحبةُ في اللّه

إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ تعيشُ في مأزقٍ خطيرٍ يسيطرُ على حلقومِها، وهو انعدامُ الفهمِ الروحيِّ لشعائرِ اللّه بما فيها الصومُ الذي كانَ الناسُ فيه بين المترددين والمجبرين في ركوبِ سفينتِه، وهذا المأزقُ له حلٌّ ناجعٌ وهو التكافلُ لايجادِ الوعيِ في الأمةِ الإسلاميةِ بكافةِ طبقاتِها ودهمائِها، وتربيةِ الجماهيرِ على معرفةِ الجوانبِ الروحيةِ في العباداتِ، علينا أن نعلمَ بأن الأمةَ التي يعوزُها الوعيُّ الرَوحيُّ هي غيرُ جديرةٍ بالثقةِ ولا تبعثُ حالتُها على الارتياحِ، وإن أطْرَت الزعامةَ والزعماءَ وقدستهم، فإنَّها ما دامت ضعيفةَ الوعيِّ بمقاصدِ العباداتِ هي عرضةٌ لكلِّ دعايةٍ وتهريجٍ وسخريةٍ كريشةٍ في فلاةٍ تلعبُ بها الريحُ، ولا تستقرُ في مكانٍ.

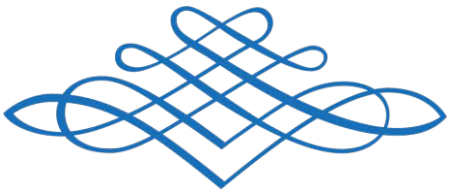
وقد كانَ الرعيلُ الإسلاميُّ الأولُ قد تغلغلت في قلبِه الجوانبُ الروحيةُ لعبادةِ الصومِ وسائرِ العباداتِ فأصبحت بذلك أمةُ الإسلامِ سيدةً لا مسودةً قائدةً لا مقودةً، وأصبحَ ذلك الجيلُ تُضرَبُ بستقامتِه الأمثالُ ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[1]، وصارت صلاتُهم مثلًا

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩ .

وصومُهم مثلاً وزكاتُهم مثلًا وحجُهم مثلًا، وخشيتُهم لربِّهم مثلًا حتى حقَّ فيهم:

كأنَّ ربَك لم يَخْلقْ لخشيتِه سواهم من جميعِ الناسِ إنسانا

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .



الخطبةُ التاسعةُ والسبعون

العشرُ الأواخرُ مِن شهرِ رمضانَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ عالمِ السرِ والجهرِ، وقاصمِ الجبابرةِ بالعزِ والقهرِ، محصي قطراتِ الماءِ وهو يجري في النهرِ، سبحانه مُكمِّلُ الأجرِ وباعثُ ظلامِ الليلِ، يَنسخُه نورُ الفجرِ، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وخافيةَ الصدرِ، يبسطُ رزقَه فلم ينس النملَ في الرملِ، والفرخَ في الوكرِ، جلَّ أن تنالَه الحوادثُ على مرورِ الدهرِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له المهيمنُ الوترُ، ونشهُد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ذو الطالعِ النضرِ، والعطاءُ الغمرُ، صلى اللّٰهُ وسلمَ عليه وعلى آلِهِ الأنجمِ الزهرِ، وعلى التابعين ذي المجلسِ الصدرِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

اعلموا أنَّكم في شهرِ الفائزُ فيه مَن جاءَ بعملٍ مبرورٍ، والخاسرُ المحجوبُ مَنِ انسلخَ عنه بذنبٍ غيرِ مغفورٍ، ألا وقد تقضت منه غررُه وأوائلُه العظامُ، ألا وقد تصرَّمت منه وسائطُ عقدِ النظامِ، ألا وإنَّكم في خواتيمَ هنَّ لأيامِه نسرينُ التمامِ، ومسكُ الختامِ.

فيا مَن صبغَهم المشيبُ بعدما عاينتم مِنَ انصرامِ الأيامِ ودنوِ رحيلِ شهرِ رمضانَ بماذا تتعظون؟ ويا أيُّها الشبابُ حَتَّام عن نومِكم تستيقظون؟ ألدنيا خُلقتم؟ هيهاتَ هيهاتَ. إنَّها خيالاتُ منامٍ وأضغاثُ أحلامٍ، ويا أيتُها الفتياتُ قد ترجَّلَ كثيرٌ منكن في المجتمعِ مخدوعاتٍ بمعسولِ فراعنةِ الإنسِ، فهل مِن توبةٍ قبل هَرَمِ المشيبِ، وقبلَ صحةٍ عاقبتُها داءٌ لا ينفعُ فيه الطبيبُ.

فيا أيُّها الآباءُ ويا أيُّها الإخوةُ ويا أيتها الأخواتُ

بادروا بصالحاتِ الأعمالِ والتوبةِ النصوحِ قبلَ أفولِ الثلاثين، فإنَّ ما توعدون لآتٍ وإنَّكم في دارٍ هي محلُّ العبرِ والآفاتِ، وأنتم على سفرٍ، والطريقُ كثيرُ المخافاتِ، فتزودوا مِن دنياكم قبلَ المماتِ، وتداركوا هفواتِكم قبلَ الفواتِ، وحاسبوا أنفسَكم وراقبوا اللهَ في الخلواتِ، واستكثروا في أعمارِكم القصيرةِ مِنَ الحسناتِ، قبل أن يُناديَ بكم منادي الشتاتِ، وقبل أن يفجأكم هادمُ اللذاتِ، وقبلَ أن يتصاعدَ منكم الأنينُ والزفراتُ، وقبلَ أن ينادي المقصرُ: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابٗا ٤٠ ﴾[1] ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ ﴾[2] ولا ولن وهيهاتَ، وأنيبوا إلى ربِّكم قبلَ أن تتقطعَ قلوبُكم عندَ فراقِ الدنيا حسراتٍ قبلَ أن تغشاكم من غمِّ الموتِ الغمراتُ، قبلَ أن تزعجوا مِن بيوتِكم إلى بطونِ الفلواتِ، قبل أن يُحالَ بينكم وبين ما تشتهون من هذه الحياة.

واتقوا اللهَ حقَّ تقاتِهِ فإنَّ فيها النجاةَ قبلَ المماتِ، وتعرضوا لنفحاتِ ربِّكم فإنَّ له تعالى في أيامِ دهركم نفحاتٌ، وتوبوا إليه فإنَّه يَقبلُ التوبةَ ويعفو عن السيئاتِ، فرحمَ اللهُ أقوامًا بادروا الأوقاتِ وتداركوا الهفواتِ، عيونُهم مشغولةٌ بالدمعِ، وألسنُتهم مسجونةٌ بالصمتِ عن فضولِ الكلماتِ وأكفُّهم مكفوفةٌ بالخوفِ عن تناولِ الشهواتِ، وأقدامُهم مقيدةٌ بقيودِ المحاسباتِ، فتيقظوا - رَحِمَكم اللهُ - للحاقِهم من سِنةِ الغفلاتِ.

ألا وإنَّ أشرفَ ما قُرِئَ في المجامعِ، وأفضلُ ما التذَّ به القارئُ والسامعُ كلامُ ربِّنا الحكيمِ الواسعِ، واللهُ يقولُ، وقولهُ الحقُّ المبين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

---

(١) سورة النبأ الآية: ٤٠.

(٢) سورة الفجر الآية: ٢٤.

﴿ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[1] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾[2].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

نريدُ أن نَعْقِدَ مقارنةً لأيامِ العشرِ الأواخرِ التي عاشَها رسولُنا الكريمُ (ﷺ) والرعيلُ الأولُ المتمثلُ في صحابتِهِ الأبرارِ والمهديين مِن بعدِهم وبين شهرِ رمضانَ الذي يعيشُه المسلمون في العصورِ المتأخرةِ، ولئن كانت مقارنةُ العشرِ الأواخرِ مِن شهرِ رمضانَ بينَ قرنِ الرسولِ (ﷺ) وبينَ هذه القرون أمرًا مستحيلًا لبُعدِ الشقةِ بينهما، والفجِ العميقِ الذي يحولُ بين ذلك الجيلِ الأولِ الذي تفوحُ مِن رجالِه المؤمنين رائحةُ الجنةِ وتهبُّ منه نفحاتُ الإيمانِ الحقِ حيثُ يولدُ للإسلامِ عَالمٌ جديدٌ لا يشبهُ العالمَ القديمَ في شيءٍ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾[3]، وبينَ هذا الجيلِ الذي تأثرَ بالأممِ الجاهليةِ، وأصبحَ منخذلًا ناعسًا تتقاذفُه أمواجُ البطالةِ، ولا تنفرُ همتُه إلا في إشباعِ الجوانبِ الماديةِ والغرائزِ الجُسْمانيةِ والجُثمانيةِ.

نعم . إنَّ ذلك الجيلَ تربى في حضنِ الأمينِ (ﷺ) الذي كانَ مِن دأبِه إذا دخلتِ العشرُ الأواخرُ اجتهدَ في العبادةِ اجتهادًا عظيمًا فشدَّ مئزرَه، وأيقظَ أهلَه، وأحيا ليلَه، وفي روايةٍ أُخرى عن السيدةِ عائشةَ بنتِ الصديقِ (رضيَ اللّهُ عن أبيها وعنها) قالت: كانَ رسولُ اللّه (ﷺ) إذا دخلتِ العشرُ الأواخر: " طوى فراشَهَ واعتزلَ النساءَ وجعلَ العَشاءَ سحورًا"، كان نبيُّنا الكريمُ(ﷺ) يعتكفُ في العشرِ الأواخرِ في مسجدِه، ويكثرُ مِن فعلِ الخيراتِ والصلواتِ، وكان يُطيلُ السجودَ والقراءةَ، وكان (ﷺ) يَخْلطُ

(١) سورة النساء الآية: ١.
(٢) سورة الزمر الآية: ٢٠.
(٣) سورة الأحزاب الآية: ٢٣.

العشرين مِن رمضانَ بصلاةٍ ونومٍ، فإذا كانتِ العشرُ الأواخرُ شمَّرَ وشدَّ المئزرَ".

وقد شاركَ النبيُّ (ﷺ) أهلَهُ في قيامِ العشرِ الأواخرِ مِن شهرِ رمضانَ المباركِ بالصلاةِ والتسبيحِ والذكرِ كما أذنَ لأزواجِهِ - رضيَ اللّٰهُ عنهن - بالاعتكافِ معه، يدلُّ لذلك حديثُ عائشةَ - رضيَ اللّٰهُ عنها -: أنَّ رسولَ اللّٰه (ﷺ) ذكرَ أن يعتكفَ العشرَ الأواخرَ مِن رمضانَ، فاستأذنته عائشةُ فأذنَ لها، وسألت حفصةُ عائشةَ أن تستأذنَ لها ففعلت.

هكذا كانَ رسولُ اللّٰه (ﷺ) في العشرِ الأواخرِ مِن شهرِ رمضانَ، وكان يحثُّ أصحابَه على اغتنامِ هذه العشرِ الفاضلةِ، ويشجعُهم على صنوفِ القُربات، ففي حديثِ أبي ذرٍ - رضيَ اللّٰهُ عنه - ، وفيه: " أنَّه لما بقيَ ثلاثٌ مِن شهرِ رمضانَ صلَّى بنا رسولُ اللّٰه (ﷺ) ودعا أهلَهَ ونساءَه، فقامَ بنا حتى تخوَّفْنا الفلاحَ. قلت له: وما الفلاحُ؟ قالَ: السُّحورُ ".

وقد كانَ الصحابةُ الكرامُ ــ رضوانُ اللّٰهُ عليهم - يجتهدون في العشرِ الأواخرِ مِن شهرِ رمضانَ اجتهادًا منقطعَ النظيرِ، اقتداءً بالرسول (ﷺ) ورغبةً في بلوغِ ليلةِ القدرِ المباركةِ، التي كانوا يستعدون لها استعدادًا خاصًا، فقد كانَ أبو بكرٍ الصديقِ - رضيَ اللّٰهُ عنه - يُكثرُ مِن تلاوةِ القرآنِ الكريمِ في العشرِ الأواخرِ، ويجعلُ لهذه الإيامِ مصاحفَ خاصةً، وكانَ يقومُ الليلَ باكيًا، وكانَ الصحابةُ - رضوانُ اللّٰهِ عليهم - يكثرون من قيامِ الليلِ حتى كانَ الكهولُ والضعفاءُ من صحابةِ رسولِ اللّٰه (ﷺ) يعتمدون على العُصِيِّ من طولِ القيامِ، وما كانوا ينصرفون عنِ المسجدِ إلا في فروعِ[1] النهار . كانوا - رضوانُ اللّٰهِ عليهم - يتركون مصالحَهم وأشغالَهم ويتنافسون في العبادةِ والتقربِ إلى اللّٰهِ عزَّ وجلَّ.

(١) فروع: بدايةُ النهار .

أمَّا عنِ الإنفاقِ والعنايةِ بالفقراءِ والمساكينِ فلهم مواقفُ عظيمةٌ، فقد كانَ الصحابةُ يُقللون الطعامَ في الإفطارِ، وكانَ بعضُهم يحبُ أن يُفطرَ مع المساكينِ مواساةً لهم، فكانَ ابنُ عمرَ ــ رضيَ اللهُ عنهما ـ لا يفطرُ إلا معهم، وكانَ إذا جاءه سائلٌ وهو على طعامِه، أخذ نصيبَه مِنَ الطعامِ وقامَ فأعطاه إياه فَيُرجِعُ، وقد أكلَ أهلُه ما بقيَ في الجَفْنةِ فيصبحُ صائمًا، ولم يأكلْ شيئًا.

وكانوا يقضون هذه العشرَ الأواخرَ بين صلاةٍ وقيامٍ وذكرٍ وقراءةِ قرآنٍ، ودعاءٍ وتضرعٍ للهِ تعالى واعتكافٍ يسألونه أن يُعتقَ رقابَهم مِن النارِ، وأن يتوبَ عليهم ويتقبلَ منهم صيامَهم.

فما أغربَ اجتهادَ هذا النبيِّ الطاهرِ، وما أعظمَ هذه الروحَ الوثّابةَ في التقربِ إلى اللهِ تعالى من هذه الثّلةِ المخلصةِ لربِها تباركَ وتعالى، فهل لنا بأجيالٍ تقتدي بهذا العهدِ الطاهرِ، وتستمسُك بنهجهِ القويم.

أولئك أشياخي فجئني بمثلِهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ وأستغفرُ اللهَ لي ولكم مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

***

الحمدُ للهِ حقَّ حمدِهِ، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً مِن عندهِ وعلى آلِه وصحبِه من بعدِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها السادةُ الموحدون

إنَّ الأجيالَ الحديثةَ مع الأسفِ لديها انفصامٌ خطيرٌ في الوعيِّ الإسلاميِّ إذا تحرجنا أن نقولَ: أجيالٌ فاقدةُ الوعيِ، وهذا الفقدانُ هو الذي جرَّ عليها ويلًا عظيمًا وشقاءً كبيرًا، إذ أصبحَ رمضانُ كغيرِه من أركانِ الإسلامِ لا تتلذذُ الأجيالُ بجوانبِه الروحيةِ، فمع تدفقِ العشرِ الأواخرِ

من شهرِ رمضانَ العظيمِ تعودُ حليمةُ لعادتِها القديمةِ، فنجدُ مساجدَنا عادت إلى أصحابِها المحفوظين، والأسواقُ غصَّت برجالِها ونسائِها، وتقشفَ الفتيانُ والفتياتُ عن طاعةِ العزيزِ الحميدِ؛ وانصرفوا إلى سُباتِ الغفلاتِ تقودُهم الماديةُ الجوفاءُ مِنَ التفوقِ إلى الفشلِ، ومِنَ الاستغلالِ إلى البطالةِ، ومن السموِّ إلى الحضيضِ، ومِنَ القوةِ إلى الضعفِ .

أيُّها الجيلُ

أليس حريٌّ بنا أن نراجعَ أنفسَنا ونحاسبَ ضمائرَنا قبلَ الخروجِ من هذه الدنيا الفانيةِ! أليس جديرٌ بنا أن نقتديَ برسولِنا الكريمِ (ﷺ) وصحابتِه المهديين! أليسَ جديرٌ بنا ونحن نرى عُقْربَ الساعةِ وهو يأكلُ الثوانيَ أكلًا، ويلتهمُ الساعاتِ أن نشْغلَ أيامَنا بتلاوةِ القرآنِ الكريمِ، وأن نكثرَ مِن الصدقاتِ، وأن نلتمسَ ليلةَ القدرِ، ونعتكفَ ولو يومًا واحدًا، وأن نعاهدَ اللهَ على التوبةِ النصوحِ، لعلَ اللهَ يُدركُنا برحمتِه، ويُسعفُنا بنفحةٍ من نفحاتِه تكونُ سببًا لسعادتِنا في عاجلِ أمرِنا وآجلِه .

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

الخطبةُ الثمانون

مآسي العالمِ الإسلاميِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي هَمَعت بفضلِهِ عيونُ السُحُبِ الغوادي، واندفقت غيوثُها في الشامخاتِ إلى بطنِ الوادي، وندفعت بحارُ بِرِّه للرائحِ والغادي، وتفجرت عيونُ عطائهِ للمكلومِ والصادي، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له الملكُ الهادي، الذي لا يَعْصِمُ مِن أمرِه عاصمٌ يوم التنادي، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي دفعَ اللّٰهُ به معرةَ العوادي، الذي لا تشينُهُ الهجنةُ والكنةُ والضوادي، الذي تحققت ببعثتهِ الأماني.

(ﷺ)على خيرِ مَن حضَرَ النوادي (ﷺ) على أفصحِ مَن ركبَ الخوادي[1] (ﷺ) على أبلغِ من حلبَ العوادي[2]، بسقت دوحةُ رسالتِه فظهرَ عبقُ الكوادي[3]، واستأسدت رياضُ نبوتِه فعيَّت في المآسدِ الليوثَ العواديَ، واستنمرت شريعتُه فكانت حتفَ المعاندِ والمعادي، واستفهدت أنوارُ دعوتِهِ فمحت ديجوجَ[4] الليالي،(ﷺ)وعلى آلِهِ فحولِ المغازي وبدور القوادي، ما ناحَ الحمامُ الشادي، وساحَ النعامُ القادي، وصاحَ بالإنشادِ الحادي؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

كأنَّ الموتَ في الدنيا على غيرِنا قد كُتِبَ، وكأنَّ الحقَّ فيها على غيرِنا قد وجبَ، وكأنَّ الذي نشيِّعُ مِنَ الأمواتِ عمَّا قليلٍ إلينا راجعون، نُبوئُهم أجداثَهم، ونأكلُ من تراثِهم، كأنا مخلدون بعدَهم نَسينا كلَّ واعظةٍ، وأمِنَّا كلَّ جائحةٍ، فأيقنوا - أيُّها العبيدُ - مِنَ الدنيا بالفناءِ بعدَ الموتِ، ومِنَ

---

(١) الخوادي: الإبلُ المسرعةُ .

(٢) العوادي: المشاكلُ .

(٣) الكوادي: نباتٌ زهريٌّ له رائحةٌ عطريةٌ .

(٤) ديجوج: حالكُ السواد .

الآخرةِ بالبقاءِ، واعملوا لما بعدَ الموتِ فكأنَّما بالدنيا لم تكن، وبالآخرةِ لم تزل، ألا وإنَّكم في الدنيا ضيوفٌ، وما في أيديكم عاريةٌ، وإنَّ الضيفَ مرتحلٌ، والعاريةَ مردودةٌ، ألا وإنَّ الدنيا عَرَضٌ حاضرٌ، يأكلُ منها البَرُّ والفاجرُ، والآخرةُ وعدٌ صادقٌ، يَحكمُ فيها ملكٌ قادرٌ، فَرحِمَ اللهُ امرءًا نظرَ لنفسه ومهدَّ لرمسه، ولم تشغله عن الآجلةِ ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١) ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

أيُّها المسلمون

إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ المعاصرةَ لن تبرحَ نوازلُ الخسوفِ والكسوفِ تَكُرُّ عليها، ولا تزالُ تتلوى في مكانها من علل فادحةٍ، برَّحت بها، وعطَّلت حواسَها، ومِن ثَمَّ أخذت تتلقى الضربَ العنيفَ، إنَّها أمةٌ تعاني مِن ضَيْقٍ وحَرَجٍ في صدرها كأنَّما يصَّعدُ في السماءِ؛ وقد أورثَها هذا الضَيْقُ والحَرَجُ اختناقًا شديدًا منَ أمراضٍ تجعلُها رابضةً في أتونها، غائصةً في ظلماتِها تجعلُها أمةً مقودةً لا قادةً، مسودةً لا سائدةً، وأصبحت أممُ العالمِ وبكلِ غِبطةٍ وسرورٍ تتفرجُ على هذه الأمةِ الضائعةِ التي تستسلمُ يومًا بعد يومٍ لمضاعفاتِ أمراضِها وتراكماتِها فهي نائمةٌ نومةَ الفهدِ.

إنَّها أمراضٌ فكريةٌ قاسيةٌ، تتمثلُ في طُوفانِ تنظيمِ القاعدةِ الذي جنت وتجني منه أمةُ محمدٍ(ﷺ) الأوصابَ والأللامَ، والعواصفَ المذهبيةَ الرعناءَ التي جعلتِ الأمةَ المحمديةَ تتبعُ السُبلَ المتفرقةَ المعوجةَ التي أخرجتها جملةً وتفصيلًا عن صراطِ اللهِ المستقيمِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ

(١) سورة الأنعام الآية: ٣٢ .
(٢) سورة يوسف الآية: ٩٠.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1] فصارت بمذهبيتها تَحْتكمُ إلى إراقةِ الدماء، والتكفيرِ، والتفسيقِ، وزادَ العاصفةَ أحزابٌ تنتمي إلى تنظيماتٍ جهاديةٍ تكفيريةٍ جعلت دماءَ عيالِ اللهِ مباحةً لها، تتعطشُ لقتلِ النفسِ، وذبحِ الرقابِ، وتقطيعِ الأوصالِ، وعززَ هذا الهرجَ والمرجَ الاحتلالُ الجاثمُ على أرضِ فِلسطينَ، والتناحرُ السياسيُّ الذي حوَّلَ سوريا قاعًا صفصفًا، والتنازعُ والعراكُ في ليبيا وتونسَ واليمنِ والبحرين، الذي جعلها دولاً لا رائحةَ فيها ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2] والانقلابُ العسكريُّ الذي تجني منه أرضُ مصرَ ما لا تُحمدُ عقباه نتيجةً حتميةً للتهورِ والتدهور، وإنهيارُ الدولةِ برمتها كما في أرضِ الرافدين، يعززُه التعفنُ الفكريُّ الذي يسري على سَدَنةِ الحكمِ في الشرقِ الأوسط، وبطانةِ السوءِ التي تحيطُ بهم فتؤزُّهم أزًا تساندُهم الصحفُ والقنواتُ المتداعيةُ، التي تتبعُ أهوائهَم فتُحوِّلُ المجتمعاتِ المسلمةَ حُفْنةً من الجُثَثِ التي فقدت أو كادت تفْقدُ رَوحَ اللهِ تعالى بما تقدمُه مِنَ المهازلِ والسخافاتِ، فأضحت أمةُ الإسلامِ واقعةً في سَلَى جمل:

كريشةٍ في مهبِ الريحِ ساقطةً ... لا تَستقرُ على حالٍ مِنَ القلقِ

وصارت أمتُنا الإسلاميةُ تطلبُ مِنَ الأممِ الأوربيةِ حلَّ مشاكِلِها وفَضَّ خصوماتِها وتخليصَها مِنَ المخالبِ التي غرستها في نفسِها:

مَن ذا يُعيرُك عينَه تبكي بها ... أرأيتَ عينًا للدموعِ ثُعارُ!

أحبابَ المصطفى (ﷺ)

إنَّ الأمراضَ الفكريةَ التي سمعتموها، تجتاحَ العالمَ الإسلاميَّ وتتوغلُ فيه بكلِّ بَسَطةٍ بسببٍ واحدٍ لا ثانيَ له أبدًا سببٍ لما تمكنَ في العالمِ الإسلاميِّ سلَّطَ اللهُ عليهم أنفسَهم، وسلَّطَ عليهم أعدائَهم، إنَّه البُعدُ عنَ وحيِ السماءِ المتمثلِ في كتابِ اللهِ تعالى وسنةِ رسولِه (ﷺ)، وقد قالَ

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٣ .

(٢) سورة الأنفال الآية: ٤٦ .

الحقُّ المبينُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

نعم. إنَّه الضلالُ المبينُ، والحَيْرةُ المتراكمةُ التي تجنيها أمةُ الإسلامِ لَمَّا ابتعدت عن منهاجِ الوحيين الشريفيين، أصبحَ الفسادُ إلى حدٍّ قاتمٍ مرير جعلَ أكبرَ أعداءِ المسلمين، هم المسلمون أنفسُهم، فارتدت الدباباتُ والطائراتُ والرصاصُ الحيُّ إلى أجسادِ المسلمين أنفسهم ووجَّت أشرارَها عن خيارِها، واحتكمت إلى مجانينها عن عقلائِها، ووثقت في أجانبِها عن أقاربِها، فصارت بهذا الفكرِ المقلوبِ غثاءَ كغثاءِ السيلِ تتخبطُ كحاطبِ ليلٍ.

إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ وهي تمرُّ بهذه الغوائلِ عليها أن تعلمَ علمَ يقينٍ، بأنَّها ستكونُ مشلولةَ كدراويشَ[2]، وتتأخرُ دونَ أن تتقدمَ، وتتفرقُ دونَ أن تتحدَ، وتكسلُ دون أن تنتجَ، وتنازلُ وتحاربُ دونَ أن تدريَ مع مَن يكونُ حِرابُها ونزالُها، ولن تَسلمَ دولةٌ مِن هذه المضارِ الخطيرةِ عاجلًا أم آجلًا إن لم تأخذْ بأسبابِ الترياقِ الوحيدِ الذي ينتشلُ الأمةَ مِن أمراضِها، ويفكُ الأغلالَ التي تراكمت عليها، والترياقُ الوحيدُ الرجوعُ إلى هدي القرآن الكريمِ والسنةِ النبويةِ وتُغيِّرُ ما بأنفسنا مِن أسبابٍ أو صلتنا إلى هذه المهامهِ السحقيقةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3].

إخوةَ العقيدةِ

إنَّ أهمَّ محنةٍ تمرُّ بالعالمِ الإسلاميِّ في هذه الأيامِ الغزواتُ التي يشنُّها المسلمون يوميًّا على بعضِهم البعضِ، فكانَ ضحيةَ هذه الغزواتِ الآفُ من الشبابِ والنساءِ والأطفالِ والكهولِ، التي علمُها عندَ ربي في كتابٍ لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى، دماءٌ تراقى في سوريا ومصرَ والعراقِ وغيرِها مِن أقطارِ

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.
(٢) دراويش: رجلٌ فقيرٌ يُضربُ به المثلُ.
(٣) سورة الرعد الآية: ١١.

الإسلامِ بين المسلمين أنفسهم الذين يدينون باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا ورسولًا، إنَّها دماءٌ خَلَّفت نسْيانَ العدوِ الحقيقيِّ لهذه الأمةِ المنكوبةِ، وأورثتِ الشللَ واليتمَ للآلافِ الأطفالِ، والترميلَ للآلافِ النساءِ والأمراضَ المزمنةَ والتشريدَ من جراءِ هذه الغازاتِ التي سيحَاسبُ ربُّ العزةِ والجلالِ كلَّ متسببٍ في إشعالِ جذوتِها ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[1].

عبادَ اللّه

إنَّ كلَّ مسلمٍ مطالبٌ أن يحملَ همَّ المسلمين، وأن يَقِفَ مَعَ الحقِّ فيدورُ معه حيثُ دارَ كما على الطبقاتِ الحاكمةِ، ومَن له الطَّولُ والحولُ في أُمةِ الإسلامِ مِن أيِّ دولةٍ كانت أن تكونَ لها بصمةٌ في انتشالِ العالمِ الإسلاميِّ مِنَ الزلازلِ الفكريةِ التي تعصفُ به، ومع توفرِ وسائلِ الاتصالِ الحديثِ، على كلِّ مسلمٍ أن تكونَ له كلمةٌ طيبةٌ تردُّ المختلفين والمفترقين إلى صوابِهم فلعلَ اللّهَ تعالى مَعَ اجتماعِ الكلماتِ الطيبةِ تَلجُ إلى تلك النفوسِ المتنافرةِ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[2].

بارَكَ اللّهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

(١) سورة الأحزاب الآية: ٥٨ .

(٢) سورة إبراهيم الآيات: ٢٤ - ٢٥ .

الحمدُ للهِ الذي تفردَ بكلِ كمالٍ، وتفضلَ على عبادِهِ بجزيلِ النوالِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابهِ خيرِ صحبٍ وآلٍ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الأبرارُ

إنَّ البلدَ لا تقاسُ عظمتُه وشجاعتُه بالانقلاباتِ التي تقضي على الانتخاباتِ الشريفةِ تحتَ غطاءِ حركاتٍ علمانيةٍ، لا ترى في الإسلامِ مستقبلًا لها في أخذِ الرَّشوةِ، واستعبادِ الشعوبِ، ونشرِ الرذيلةِ والفسادِ، ومِنَ الحسراتِ أن تنكرَ إمريكيا ودولُ أوربا الانقلابَ العسكريَّ في مصرَ باعتبارِ إجهازِه على بيعةٍ شرعيةٍ وانتخاباتٍ نزيهةٍ[1]، وقد أجادت هذه الدولُ، وأصابت كِبدَ الحقيقةِ، بينما يباركُ هذا الانقلابَ البدوُ المسلمين ويصفونه بالقضاءِ على الإرهابِ (تمخضَ الجبلُ فولدَ فأرًا)، ولا تقاسُ العظمةُ في مصادرةِ الحرياتِ بالسجنِ وغلقِ القنواتِ وسطوةِ الجيوشِ على الشعوبِ، كما لا تقاسُ قوةُ الحاكمِ بتوجيهِ أوامرِه بإلقاءِ حممِ النيرانِ والقنابلِ والغازاتِ على القرى والمناطقِ، ولا تقاسُ عظمةُ الرجالِ حين ينخرطونَ في تنظيماتٍ مسلحةٍ تعملُ على إرهابِ الآمنين وتقتيلِهم بالمفخخاتِ والرشاشاتِ، فهذا كلُّهُ مِن عواملِ انهيارِ هذه الدولِ ولن يكونَ لها مستقبلٌ إلا في ظلماتٍ يلتطمُ بعضُها فوقَ بعضٍ.

إنَّ البلدَ العظيمَ هو الذي يحترمُ الانتخاباتِ الشريفةَ، وهو الذي يحتوي شعبَه فإن لم يستطع احتوى مطالبِهم المشروعةِ ورأى في نفسه الضعفَ، اعتزلَ وتركَ الأمرَ لمَن هو أقدرُ منه، إنَّ الشعوبَ العظيمةَ هي التي تسودُ فيها روحُ الأمنِ والآمانِ والتعاونِ المشتركِ بين الحاكمِ والمحكومِ، إنَّ الشعوبَ العظيمةَ هي التي تجعلُ القرآنَ الكريمَ والسنةَ النبويةَ نصبَ عينيها فتسلمُ بهما مِن المآزقِ التي تعاني منها هذه الشعوبُ، إنَّ الرجالَ العظماءَ هم الذين يبنون وطنَهم ويحافظون على مكتسباتِه، ويذادون

---

(١) إشارةٌ إلى انقلابِ عبدِالفتَّاح السيسي على الدكتورِ المنتخبِ محمد مرسي المنتمي لجماعةِ الإخوان المسلمين بعدَ سنةٍ واحدةٍ فقطّ من حكمِه لمصر .

عنه بالغالي والنفيسِ، ولا يكونُ فيهم مجالٌ للمخربين وأصحابِ الفتنِ لتحقيقِ مآربِهم.

أيُّها الأحبةُ في اللّهِ

وأنتم ترون ما يَحِلُّ بكثيرٍ مِن دولِ العالمِ الإسلاميِّ مِنَ الخطوبِ والمآسي، عليكم أن تشكروا اللّهَ تعالى أنَّكم في هذا البلدِ المعطاءِ الطيبِ سلطنةِ عُمانَ ـ حماها اللّهُ تعالى مِنَ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ ـ فعلى الحكومةِ أَن تُديمَ هذا الأمنَ بارتباطِها بكتابِ اللّهِ تعالى وسنةِ رسولِه (ﷺ) والعنايةِ بالأجيالِ لربطِهم بالعقيدةِ الإسلاميةِ الصافيةِ القائمةِ على الوسطيةِ والاعتدالِ واليسرِ، ومحاربةِ دواعي الفسادِ التي منها تنطلقُ شرارةُ الفتنِ، كما عليها أن تلبيَ حاجةَ المواطنِ، وأن تنصفَه في حقِّهِ وأن تحققَ العدالةَ المنشودةَ بين أبناءِ المجتمعِ قاطبةً، وأن توفرَ لهم العيشَ الكريم.

أمَّا على المواطنين مسؤوليةٌ عظيمةٌ في التعاون مع الجهاتِ المسؤولةِ وتطهيرِ عقولِهم وأفكارِهم مِنَ التأثيراتِ الخطيرةِ التي تضرُّ بأمنِ وسلامةِ هذا الوطنِ، عليهم أن يبنوا وطنَهم بكلِّ إخلاصٍ وإتقانٍ، وأن يحافظوا عليه كما يحافظون على أنفسِهم، عليهم أن يكونوا على وعيٍ تامٍ مِنَ الأفكارِ المنحلةِ التي تدعو إلى إرهابِ خلقِ اللّهِ تعالى، وليكونوا معَ اللّهِ تعالى يكنِ للّهُ معهم ويستخلفهم في أرضِه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

---

(١) سورة النور الآية: ٥٥ .

الخطبةُ الحاديةُ والثمانون

مكانةُ القلاعِ والحصون والمحافظةُ عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ المبدىءِ المعيدِ، الغنيِّ الحميدِ ذي العفوِ الواسعِ والعقابِ الشديدِ، مَنْ هداه فهو السعيدُ السديدُ، ومَن أضلَّه فهو الطريدُ البعيدُ، ومَن أرشدَه إلى سُبُلِ النجاةِ ووفَّقه، فهو الرشيدُ يعلمُ ما ظهرَ وما بطنَ، وما خَفِيَ وما علنَ، وما هَجُن وما حَسُن، وهو أقربُ إلى الكلِ مِن حبلِ الوريدِ، قسَّمَ الخلقَ قسمين، وجعلَ لهم منزلتين، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾[1] ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾[2] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾[3] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١٥﴾[4]، نحمَدُه وهو أهلُ الحمدِ والتحميدِ، ونشكرُه والشكرُ لديهِ مِن أسبابِ المزيدِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له ذو العرشِ المجيدِ، والبطشِ الشديدِ، شهادةً تَكْفُلُ لنا عندَه أعلى درجاتِ أهلِ التوحيدِ، في دارِ القرارِ والتأبيدِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، أشرفُ مِن أظلتِ السماءُ وأقلَّتِ البيدُ (ﷺ) وعلى آلِه وأصحابِه أولي العون والتأييدِ، صلاةً وسلامًا دائمين في كلِّ حينٍ تنمو وتزيدُ، ولا تَنفَدُ ما دامتِ الدنيا والآخرةُ ولا تَبيدُ؛ أمَّا بعدُ:

---

(١) سورة الشورى الآية: ٧ .

(٢) سورة هود الآية: ١٠٧ .

(٣) سورة فصلت الآية: ٤٦ .

(٤) سورة الجاثية الآية: ١٥ .

فيا أيّها الشيوخ

منذُ عقودٍ مِنَ الزمنِ، وأنتم تصعدون إلى قمةِ متاعِ الدنيا حتى استقرت أقدمُكم على قمةِ المتاعِ، وها هي ملائكةُ اللّه تعالى تدفعُكم للنزولِ، ألا إنَّه ما بعدَ الكمالِ إلا النقصُ، وما بعدَ القمةِ إلا القاعُ .

ويا أيُّها الشبابُ

أرأيتم لو كُلِّفَ أحدٌ منكم باقتلاعِ شجرةٍ باسقةٍ، كبيرةٌ أصولُها فرآها كبيرةً فهابها، وقالَ: فلندعها إلى الغدِ، فلما جاءَ الغدُ، قال: لندعها إلى العامِ القادمِ، إلى الذي يليه، إلى الذي يليه، فإنَّه بمرورِ الوقتِ تَضْعفُ قوتُه ويخورُ، ثم لا يستطيعُ بعدها قلعَها.

فهل مِن توبةٍ يا شبابَ الأمةِ قبلَ ضعفِكم عن قلعِ الشجرةِ، قبلَ ضعفِكم عنِ الصلاةِ، قبلَ ضعفِكم عن طاعةِ اللّه، قبلَ ضربةِ لازبٍ تَنْقُلُكم إلى الدارِ الآخرةِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

أيُّها المسلمون

مِنَ المُسلماتِ اليقينيةِ التي لا تَقبلُ التنازعَ والتجادلَ، أن دينَ اللّه تعالى ليس على خطرٍ مهما اتفقت إراداتُ الذين يُفسدون في الأرضِ ولا يُصلحون ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2] فمحاولاتُ إطفاءِ نورِ اللّه تعالى قائمةٌ على قدمٍ وساقٍ، بكلِّ وسيلةٍ وكلِّ طريقةٍ ، وقد جُنِّدَت لهذهِ الغايةِ الدنيئةِ الخسيسةِ أموالٌ لا يَعلمُ مقدارَها إلا اللّهُ تعالى، وجيوشٌ مِنَ المخذولينَ والمارقينَ، وأقلامٌ وتمثيلياتٌ، وقنواتٌ إلا أن هذه المحاولاتِ، مهما

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣٥ .

(٢) سورة التوبة الآية: ٣٢ .

اختلفت أشكالُها وأساليبُها تصيرُ نتائجُها هباءً منثورًا في تأثيرِها على انتشارِ دينِ اللّٰه تعالى، ودخولِ الناسِ قديمًا وحديثًا في حضرتِه المباركةِ، والسرُ الوحيدُ في ذلك أنَّ اللّٰهَ تعالى تَكفَّلَ بحفظِ دينِه من دوننا، وليس بحاجةٍ إلينا حتى نحفظَه من الاندثارِ والاندراسِ، لكننا نحن بدينِ اللّٰهِ العظيمِ، نحفظُ أنفسَنا وأمتَنا وجيلَنا.

ولذا كانت ثمارُ فريضةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عنِ المنكرِ عائدةً إلينا، فمهما سادت في المجتمعِ هذه الفريضةُ فإنَّ دواعيَ الإنحرافِ تخفُّ ومهما قويت تلاشت مرابطُ الفسادِ، وفي المقابلِ إنَّ المرورَ على الفسادِ مهما خفَّت درجاتُه دونَ حدوثِ أيِّ رتبةٍ مِن رتبِ الإنكارِ نتيجتُه ستكونُ سوقًا رائجًا يتاجرُ فيه بالمناكرِ، والنتيجةُ شموخُ المنكراتِ في ذلك المجتمعِ وشيوعُ الانحرافاتِ التي تصبحُ مألوفةً يتخذُ إبليسُ وجندُه قصورًا باذخةً لهم لإدارةِ ذلك المجتمعِ ونشرِ جراثيمِ الانحلالِ فيه.

أيُّها المؤمنون

إنَّ الرعيلَ الأولَ من أبناءِ هذا الوطنِ المجيدِ، قد كدوا وجدوا لتحقيقِ غايةِ الأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ، وقد كانت فريضةُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عن المنكرِ عبرَ القرونِ المنصرمةِ، تنبثقُ مِنَ المساجدِ والقلاعِ والحصونِ العتيدةِ، التي هي مراكزُ الحكمِ، ومنها تنطلقُ نداءاتُ الحقِ، فها هو الإمامُ الصلتُ بنُ مالكٍ الخروصيِّ، لما استنجدت به الزهراءُ السُّقطَريةُ مِنَ النصارى الأحباشِ المستعمرين لجزيرةِ سُقَطرى التي كانت تابعةً سياسياً لعاصمةِ الحكمِ مدينةِ نَزْوَى حيث خانوا ونقضوا عهودَهم وهاجموا سُقطْرى، وسلبوا ونهبوا وانتهكوا الأعراضَ، وأخذوا البلادَ، وتملكوها قهرًا، فلما وصلَ نداؤُها للإمامِ الصلتِ بمدينةِ نَزْوَى، جمعَ الجيوشَ، وجهزَ المراكبَ، فساروا إلى سُقطرى، فأخذوا البلادَ، وهزموا

النصارى، ورجعوا ظافرين مستبشرين، نعم. إنَّها سنةُ اللهِ تعالى القاضيةُ، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾[1].

إنَّ الإمامَ الخليلَ بنَ شاذانَ انطلقَ مِن حِصنِ نَزْوَى لتحقيقِ فريضةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ في حربِ الصُليحيِّ الدَّجالِ بحضرَموتَ الذي كانَ يكيدُ للإسلامِ وأهلِهِ، وكانَ يحملُ نوايا مضادةً للإسلامِ وعقائدَ زائفةٍ، لا تمت إلى الإسلامِ من قريبٍ ولا بعيدٍ حتى جاءَ الإمامُ الراشدُ سلطانُ بنُ سيفٍ اليعربيُّ في القرنِ الحادي عشرَ الهجريِّ، فكانت في عهدِه الفتوحاتُ الإسلاميةُ، التي تقضي بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عن المنكرِ، ونشرِ الإسلامِ في المعمورةِ، فانطلقت جحافلُ جيوشِهِ مِن مركزِ حكمِهِ من هذه المدينةِ العريقةِ مدينةِ نَزْوَى، وفتحَ بَلادَ الهندِ، بعد خوضِ الوقائعِ المعاركِ، ومنها معركةُ (ديو) البحريةُ، التي غَنِمَ منها أموالًا طائلةً، أسسَ بها قلعةَ الشهباءِ بنَزْوَى، وقدَ لبثَ في بنائِها اثنتي عشرةَ سنةً.

وفي أروقةِ القلاعِ والحصونِ طُبِقت أحكامُ اللهِ تعالى لأصحابِ الجناياتِ من القيدِ، والحبسِ، وإطالةِ المدةِ بالإقامةِ الجبريةِ، وفيها قامت اجتماعاتُ الفصلِ بين الخصوماتِ، وإصلاحُ شأنِ المسلمين، وردُّ الضالِ إلى طريقِ اللهِ المستقيمِ، وهكذا مضتِ القلاعُ والحصونُ تقومُ برسالتِها على مرِّ الزمانِ، فكانت مفخرةً لكلِّ جيلٍ.

أحبتي في اللهِ

ومع طَفْحِ الحياةِ الماديةِ، واستئسادِ الجهلةِ الذين لا يفرقون بين التمرةِ والجمرةِ ولا بينَ الخلِّ والخمرِ أصابَ القلاعَ والحصونَ شيءٌ إدٌّ منهم؛ فظنوا أنَّ في ذلك التقدمَ والرقيَّ ومواكبةَ الحضارةِ ، فصدقَ فيهم قولُ الملكِ الأعلى ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

(١) سورة محمد الآية: ٧ .

﴿١٠٤﴾[1]، وبهذا الفكرِ الذي يتحركُ بالمقلوبِ صارت السنانيرُ ترقصُ في الزوالي، وهانتِ القلاعُ والحصونُ ومعاقلُ المسلمين، فصدقَ فينا المثلُ، (رجلٌ يقبضُ، ورجلُ يذبحُ).

إنَّه مِنَ الدناةِ والوضاعةِ أن تُطالعَنا بعضُ المواقعِ لتمثيلٍ هنديٍّ عاهرٍ فاجرٍ في شيءٍ مِنَ قلاعِنا العريقةِ، ولا يهمُنا متى تمَّ هذا التمثيلُ من سنةٍ أو عشرٍ، فتقادمُ السنواتِ لا يعنينا، وإنَّما الذي يهمُّنا ويعنينا أن هذا التمثيلَ قد تمَّ فعلًا، وبدأ يتسربُ في هذه الفترةِ، وفي هذا ما لا يخفى من انتهاكٍ صارخٍ لقيمِ إسلامِنا وعقيدتِنا وانتهاكٍ صارخٍ . هذه المدنُ التي يتمُ التمثيلُ فيها والإساءةُ إلى أهلِها، والتعدي على حُرُماتِها، وتسليطُ القيلِ والقالِ مِن بعضِ المغرضيين، لذا نقولُ للجهاتِ المتسببةِ التي سمحت بهذا التمثيلِ، وسمحت بتسريبه:

إنَّ هذا الفعلَ مرفوضٌ جملةً وتفصيلًا، وإنَّ الإساءةَ إلى الإسلامِ من أعظمِ المفاسدِ والإساءةَ إلى أيِّ بلدٍ في عُمانَ هو إساءةٌ إلى هذا الوطنِ العزيزِ قاطبةً، فعلى الجهاتِ المسؤولةِ عن ذلك أن تُقَدِّمَ مسوغًا يتيحُ لها هذه التصرفاتَ الاستفزازيةَ، ولدينا إستفساراتٌ كثيرةٌ، فهل هذه المهازلُ ترفعُ من سُمعةِ وطنِنا؟ وهل إظهارُ الحضارةِ العُمانيةِ عالميًّا وإقليميًّا بتمثيلٍ هنديٍّ ماجنٍ في القلاعِ والحصون.

يا عينُ سُحي يا قلوبُ تفطري يا نفسُ رَقي يا مرؤةُ نادي

أيُّها المسؤلون

إنَّ القلاعَ والحصونَ أعزُّ ما تملُكه عمانُ، وهي مركزُها الحضاريُّ بينَ الأممِ، فيجبُ أن تُحترمَ مكانتُها وألاَّ تدنسَ بالتمثيلِ الهنديِّ وأيِّ تمثيلٍ

(١) سورة الكهف الآية: ١٠٤ .

يَخْدِشُ العفةَ والحياءَ ويعاكسُ الآدابَ الإسلاميةَ يجبُ أن يُمنعَ في القلاعِ والحصون وفي أيِّ مكانٍ.

أيُّها المسؤلون

ليستِ القلاعُ والحصونُ أماكنَ للسحوباتِ الربويةِ، ولم تُبنَ هذه القلاعُ والحصونُ لتكونَ معرةً لانطلاقِ الفسادِ، وتذكروا قبلَ أن تفعلوا أهوائكم قولَ الحقِّ تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[1] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[2].

بارَكَ اللّٰهُ لي ولكم في الوحيين ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

حمدًا لك اللهُم مفرجَ الهمومِ، ومنفسَ الكروبِ، ومبددَ الأشجانِ والأحزانِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وصحبهِ وأزواجه وذريتِه الأخيارِ، وسَلِم تسليمًا كثيرًا متصلًا مستمرًا ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسؤلون

يجبُ أن تقوموا بحملاتٍ توعويةٍ مثقفةٍ للسُّياحِ من أجلِ الالتزامِ بالسترِ، والعفةِ، والحشمةِ، يجبُ الالتزامُ بالآدابِ الإسلاميةِ والعاداتِ والتقاليدِ التي يحافظُ عليها هذا المجتمعُ المسلمُ، فليس مِنَ المقبولِ أن يتجولَ هؤلاءِ الأجانبُ بصورةٍ مخلةٍ بالآدابِ الإسلاميةِ و مخلةٍ بالعفةِ في بيوتِ اللّٰهِ تعالى، والأسواقِ، والقلاعِ، والحصون !!

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٤٢.

(٢) سورة الفجر الآية: ١٤.

إخوةَ العقيدةِ

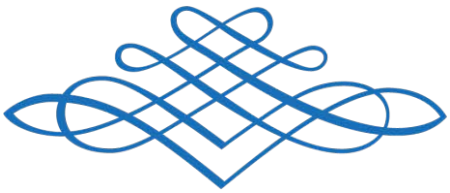
إنَّ المجتمعَ الشريفَ لا بُدَّ أن تكونَ له كلمةُ حقٍ مسموعةٍ تتمثلُ في رفضِ الترويجِ للمهاتراتِ والسخافاتِ في أيِّ مكان، ولا سيما الأماكنُ التي لها مكانةٌ في القلوبِ، وتمثلُ مجدَنا الذي نفتخرُ به، ولا بُدَّ أن يكونَ هناك أولو بقيةٍ ينهون عن الفسادِ في الأرضِ، لا بُدَّ أن ينتصرَ المجتمعُ لأوامرِ اللهِ ورسولهِ (ﷺ)، ولا بُدَّ أن تكون هناك محاسبةٌ ومتابعةٌ جادةٌ لمثلِ هذه المواضيعِ حتى لا يكونَ هناك تجرٍ لما هو أكبرُ من ذلك.

إنَّه من المخزي أن تمرَّ هذه المفاسدُ دونَ أيِّ إنكارٍ ودونَ أيِّ محاسبةٍ ليتقدمَ هؤلاءِ الموتورون إلى الأمامِ بحماقاتِهم، وفي المقابلِ نرى بعضَنا ينتقدُ على هذا ويتكلمُ في سلوكِ هذا، ومنهم من يترصدُ الهفواتِ.

تعمى بصائرُهم عن كلِّ منحرفٍ ويرصدون ذوي التقوى بمرصادِ

كما على الشبابِ المثقفين الذين يتقنون أيَّ لغةٍ أجنبيةٍ أن يستغلوا وجودَ هؤلاءِ السُّياحِ بنصحِهم، وإرشادِهم وتوجيهِهم لعل هدايتَهم تكونُ على أيديهم " ولئن يهدي اللَّهُ بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من الدنيا وما فيها" " خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمسُ" خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعم".

هذا وصلوا وسلموا على رسولِنا الكريمِ وعلى أصحابِه الميامين وعلى التابعين بإحسان إلى يومِ الدينِ .



الخطبةُ الثانيةُ والثمانون

حقُّ العلمِ والعلماءِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه قدَّمَ مَن شاءَ بفضلِهِ، وأخَّرَ مَن شاءَ بعدلِهِ، لا يعترضُ عليه ذو عقلٍ بعقلِهِ، سبقَ كلَّ شيءٍ بعلمِه، ولا يعزبُ عنه مثالُ ذرةٍ سبحانَه وبحمدِه، نحمدُهُ على حَزَنِ الأمرِ وسهلِهِ، ونشكرهُ على القضاءِ حلوهِ ومرِّهِ، ونذعنُ للمخبوءِ في ليلهِ وصبحِهِ، ونستغفرُه استغفارَ مقرٍّ بذنبِه، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له في ملكِه شهادةَ عبدِهِ وابنِ عبدِه وابنِ أمتِهِ، ومَن لا غنى له طرفةَ عينٍ عن رحمتِهِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه إلى خلقِه، وأمينُه على وحيِه، أشرفُ مَن وطىءَ الحصى بنعلِه، (ﷺ) وعلى آلِهِ وصحبِه، ومَن سارَ على هديِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

بينما المرءُ يغترُّ في دنياه بلذيذِ الشهواتِ، غَرِقٌ في أبحرِ الغفلاتِ، إذ هجمَ عليه هادمُ اللذاتِ، ومفرِّقُ الجماعاتِ، فجرَّعَه مِن علقمِه غاياتٌ، وسقاهُ مِن صَابِهِ كاساتٌ، وشدَّ عليهِ بجيشِ الغمراتِ، وعسكرَ في روحِهِ بغمومِ السكراتِ، وأورثَهُ مِن ضرباتِهِ حسراتٍ، فرحلَ عمَّا كان فيه مِنَ اللذاتِ، وتركَ ما خولَّه اللّٰهُ وراءَ ظهرِه مِن صنوفِ الزيناتِ، فبكى لجُثتِه الآباءُ والأمهاتُ، وأيتمَ البنينَ والبناتِ، وجرت على مصابِه ديمُ العبراتِ، وحُملِ مِن دنياه على الأعناقِ إلى بطونِ الفلواتِ، وصارَ في قبرِه مِن جملةِ الرفاتِ، وخلا بعملِه مِنَ الحسناتِ والسيئاتِ، فهو في قبرِهِ صائرٌ إلى خُفَرِ النيرانِ أو روضاتِ الجناتِ، وهيهاتَ أن ينفعَهُ في لحدِهِ غيرُ التقوى والطاعاتِ، وما قدَّمَ من برٍّ وصدقاتٍ، وأسلفَ مِن صلواتٍ ودعواتٍ.

أفلا تعتبرون بمصرعِ منَ قد ماتَ، وقد حوته القبورُ الدارساتُ، أفلا تخشونَ أهوالَ القبرِ وما فيه من الأفاتِ، أفلا تعتبرون بضعفِكم في شدةِ المحاسباتِ، إلى متى هذه الغفلاتُ، وحتامَ الغرورُ بدنيا عن قريبٍ إلى فواتٍ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[2] ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[3].

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

يقولُ العزيزُ الحكيمُ في محكمِ الذكرِ الحكيمِ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[4] هذه آيةٌ صادقةٌ من كتابِ اللهِ، يحدثُكم جلَّ وعلا فيها عن شرفِ العلمِ وكرامةِ العلماءِ، ويبينُ لكم في كتابِه الكريمِ أنَّ لهم عندَ اللهِ منزلةً غاليةً ومكانةً راقيةً وقدرًا عظيمًا. وكيف لا يكونُ العلماءُ كذلك عندَ اللهِ، وقد ذكرَهم اللهُ شهداءَ معَ الملائكةِ على صدقِ وحدانيتهِ وكمالِ ربوبيتِهِ، العلمُ أشرفُ من كلِّ شيءٍ حتى مِنَ المالِ والعقاراتِ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ حتى من الجاهِ والمنصبِ، وألذُّ من كلِّ شيءٍ حتى مِنَ الأولادِ والأزواجِ.

ولهذا أفنى العلماءُ فيه أعمارَهم، وأنفقوا في جمعِه أموالَهم، ووهبوا له كلَّ أوقاتِهم، وهجروا لينَ الفراشِ، وتركوا في حبِّه الراحةَ ولذيذَ المنامِ، ولم يحفلوا بأهلٍ ولا ولدٍ، ولا أنهكوا حياتَهم بطعامٍ ولا شرابٍ، ولا استهوى قلوبَهم رياشٌ[5] ولا لباسٌ، لأنَ حبَّ العلمِ ملكَ عليهم نفوسَهم، واستولى على عقولِهم وألبابِهم فأيقنوا أنَّ السعادةَ كلَّها فيه، وأدركوا أنَّ

(١) سورة المائدة الآية: ١٠٠ .
(٢) سورة التوبة الآية: ١١٩ .
(٣) سورة يوسف الآية: ٩٠ .
(٤) سورة آل عمران الآية: ١٨ .
(٥) رياش: اللباسُ الفاخرُ، الأثاثُ، المالُ، الحالةُ الجميلةُ .

العزَّ كلَّه في رحابِه، وأنَّه هو الكنزُ الثمينُ، والجوهرُ النفيسُ، هو المُلكُ الذي لا نزاعَ فيه، ولا حقدَ عليه، ولا يتربصُ به الأعداءُ والخصومُ، ولا تسلُبُه السيوفُ والرماحُ، آتاه اللهُ داودَ وسليمانَ، فجعله خيرَ نعمةٍ أنعمَ بها عليهم، فتأملوا قولَ العزيزِ الكريم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾[1]، وطلبَ الزيادةَ منه نبيُّنا الصديقُ الأمينُ فقالَ الحقُّ المبينُ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[2]، وجعلَ اللهُ العلمَ مظهرًا مِن مظاهرِ الرفعةِ على سائرِ الناسِ، فقالَ سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[3]، وأنكرَ اللهُ تعالى استوى الذين يعلمون بالذين لا يعلمون، فقالَ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[4]، كما جعلَ اللهُ تعالى الخشيةَ كامنةً في نفوسِ العلماءِ دونَ غيرِهم، وما أدَّقَ ما يقولُه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[5] وهم ورثةُ الأنبياءِ، كما جاءَ على لسانِ الحبيبِ (ﷺ): " العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ"، كما جعلَ رسولُنا المحبوبُ (ﷺ) وفاةَ العلماءِ مِن فوادحِ الخطبِ، فقالَ: " إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا مِنَ الناسِ، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذَ الناسُ رؤوساءَ جهالًا فسُئلوا فأفتوا بغيرِ علمٍ فضلوا وأضلوا"، ولقد أخبرَ الإمامُ العلاَّمةُ ابنُ عمِّ رسولِ اللهِ (ﷺ) عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ في قولِه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى

---

(١) سورة النمل الآية: ١٥ .
(٢) سورة طه الآية: ١١٤ .
(٣) سورة المجادلة الآية: ١١ .
(٤) سورة الزمر الآية: ٩ .
(٥) سورة فاطر الآية: ٢٨ .

أَلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

﴿٤١﴾[1]، قالَ: تنقصُ الأرضُ بموتِ علمائِها وفضلائِها.

أيُّها السادةُ الأشرافُ

قد سمعتم ما قالَه ربُّنا الجليلُ، ونبيُّنا الكريمُ في حقِّ أهلِ العلم، وقد علمتم ما يبذلُه العلماءُ مِن ثمينِ أوقاتِهم وجليلِ أموالِهم، فيجبُ أن نَحترمَ مكانتَهم، وأن نُقدرَ جهودَهم، وأن يُرفعَ القيلُ والقالُ عنهم، احترامًا لمكانتِهم، وتقديرًا لشانِهم، ووفاءً لحقِّهم، وعلى كلِّ غرٍّ جهولٍ، وعلى ضُعفاءِ العلمِ أن يكفوا ألسنتَهم وأيديَهم عن مقاماتِ العلماءِ العالمين والصالحين، فمَن أذى هؤلاءِ فقد أذى اللهَ ورسولَه (ﷺ).

يقولُ اللهُ تعالى على لسانِ شعيبٍ - عليه الصلاةُ والسلامُ -

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾[2].

***

الحمدُ للهِ الذي شرَّفَ العلمَ عن كلِّ ما سواه، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِهِ وأصحابِهِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا معاشرَ المسلمين

مِنَ الأسى الذي يَحِلُّ في ذا الزمانِ أنَّ الهوةَ قد اتسعت بين العلمِ والجيلِ الذابلِ الذي شغلتَه الماديةُ الجوفاءُ، فأصبح يهفو إلى المادةِ، ويقاتلُ من أجلِ الحصولِ عليها، وقد عززَ ذلك ما تصنعُه حكوماتُ العالمِ الإسلاميِّ، فهي لا تسعى لاحتوى العلماءِ والمصلحينَ ورجالِ الفكرِ، فليس لهؤلاءِ وزنٌ معتبرٌ ولا قدرٌ في سلكِ الحكوماتِ، ولا عندَ الناسِ بل أصبحَ موتُ شاةٍ أو بعيرٍ أعظمَ وقعًا من موتِ عالمٍ أو مصلحٍ ، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ

---

(١) سورة الرعد الآية: ٤١ .

(٢) سورة هود الآية: ٩٠ .

جـدًّا في زماننـا، لأنَّ السـاحةَ تمـوجُ بالفوضـى والأطروحـاتِ المنحنقـةِ والموقـوذةِ والمترديـةِ والنطيحـةِ؛ وإذا كانـت وسـائلُ الإعـلامِ مرئيـةً ومسـموعةً ومقـروءةً تمجـدُ اللاعـبين واللاعبـاتِ، والمطـربين والمطربـاتِ، وأصحابَ الفكرِ الهزيلِ، وتؤلفُ كلَّ أسبوعٍ في حقِّهم ملاحـقَ خاصـةً، فهل سيكونُ العلماءُ وأصحابُ الفكرِ قدوةً مع معاكسـاتِ هـذه الوسـائل! ثم أيُّ جيلٍ تنتظرُه الأمةُ!

أيُّها الجيلُ

تطالُعنا بعضُ مواقعِ شبكاتِ التواصلِ عـن وجـودِ فئـةٍ ضـالةٍ أصـابَها الخبـالُ وداءُ العظمـةِ، فصـارت تتلاعـبُ بصـورِ العلمـاءِ، وتتطـاولُ علـى مقـامِهم وتـردُّ علـيهم بكـلِّ جُرئـةٍ، وتتـنقصُ قـدرَهم، وتتبـعُ عثـراتِهم وهفواتِهم بغيرِ واضحِ سبيلٍ، ولا هدىً ولا كتابٍ منيرٍ فليحـذرْ هـؤلاءِ فـإنَّ لحومَ العلماءِ مسمومةٌ والتعرضُ لهم أمرٌ عظيمٌ عندَ اللهِ تعالى:

والمسـتخفُّ بالمقـامِ الأعـدلِ تـنزعُ عنـه بركـاتُ العمـلِ

أيُّها الإخوةُ المؤمنون

وقبلَ أن أقومَ من مقامِي هذا لا بُدَّ من بصمةِ إشادةٍ بالشبابِ الذين هم في زهرةِ حياتِهم، وقضوا نحبَهم في حوادثِ سقوطِ الطائراتِ الحربيـةِ في هذه الفترةِ من بلدِنا العزيزِ عُمانَ، ومِن هذه المدينةِ، وكان ذلـك مـن أجـلِ أداءِ الواجبِ عليهم في خدمةِ وحراسةِ هذا الوطنِ، وإنا نرجو مـن العزيـزِ الجليلِ أن يكونوا قد قدموا خيرًا لأنفسهم، وأن تَكـونَ خـاتمتُهم هـذه فالًـا حسنًا للقاءِ ربِّهم تباركَ وتعالى، كما نرجـو اللهَ تعـالى أن يحفـظَ عُمـانَ وأهلَها من كلِّ سوءٍ وعلى الأجيالِ أن تتذكرَ من هذه الوفياتِ المتعـددةِ وأن تأخذَ بأسبابِ النجاةِ، وأن تستعدَ للقاءِ اللهِ تعالى وليضع كـلُّ واحـدٍ منَّـا نفسَه فيما أصابَ أخاه كيفَ يكونُ حالُه معَ اللهِ.

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين.

الخطبةُ الثالثةُ والثمانون

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي بيَّنَ مواقيتَ الأيامِ بعدةٍ لا تَجْنَحُ، وأجرى النيرين، كلٌّ في فلكٍ يسبحُ، وحذَّرَ مِنَ النسيئةِ في السابعةِ والثلاثينَ مِنَ التوبةِ آيةٌ نيرةٌ تَفصحُ، سبحانَه يعفو عن الخَطلِ ويسمحُ، كلٌّ مَنْ لاذَ به أنجحُ، وكلٌّ مَن عامَلَه يربحُ، رؤيتُه منعدمةٌ، وتشبيهُه قبيحٌ، وجحدُه أقبحُ، رفعَ السماءَ بغيرِ عمدٍ فتأمل والمح، وأنزلَ القَطرَ فإذا الزرعُ في الماءِ يسبحُ، والمواشي بعدَ الجدوبِ الغواشي في الخَصْبِ تسرحُ، وأقامَ الوُرقَ[1] على الورقِ[2] تشكرُ وتمرحُ، أغنى وأفقرَ، والفقرُ في الأغلبِ أصلحُ، كم مِن غنيٍّ طرحَه البَطَرُ والأشرُ أقبحُ مطرحِ، هذا قارونُ ملكَ الكثيرَ وبالقليلِ لم يسمح، نُبِه فلم يزلْ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾[3].

أحمدُه ما أمسى المساءُ وأصبحَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً بها نصدحُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه الذي أنزلَ اللّٰهُ تعالى عليه ألم نشرح (ﷺ)، وعلى أبي بكرٍ صاحبِهِ في الدارِ والغارِ لم يبْرح، وعلى عمرَ الذي لم يزل في إعزازِ الدينِ يَكدحُ، وعلى جميعِ آلِهِ وأصحابِهِ صلاةً وسلامًا دائمين بهما نحظى وننجحُ؛ أمَّا بعدُ:

---

(١) الوُرق: - بضمِ الواو - جمعُ ورقاء، وهيَ: الحمامةُ.

(٢) الوَرق: - بفتحِ الواو - جمعُ ورقةٍ، تقولُ: ورقُ الشجر وهو معروفٌ.

(٣) سورة القصص الآية: ٧٦.

فيا أيُّها الناسُ

ألا وإنَّ الموتَ هجمَ على شيخٍ جليلٍ[1] في داركم، لا يـزالُ في مَطلعِ العقدِ السادسِ من عُمُرِه، أفنى حياتَـه في طلبِ العلمِ، استهواه الكتـابُ، وعَشِقَ المجالسَ العلمية التي تيتمت في زماننا، ومضى هذه الحياةَ عفيفًا عن الحرامِ، لا شأنَ له بالثرثراتِ والقيلِ والقالِ سليمَ الصدرِ، مثابرًا في استغلالِ وقتِهِ، مشغولًا بالزيادةِ مِنَ العلومِ حتى ختمَ كثيرًا مِنَ الكتبِ، وقرأ المنثوراتِ والمنظوماتِ إلى آخرِ يومٍ مِن أيامِهِ في هذه الفانيةِ، وهكذا طلبَه اللهُ تعالى إلى لقائِه وسلّمَ روحَه إلى بارئِها تباركَ وتعالى، وكان أمنيتَه حسنُ الخاتمةِ، وقد قالَ:

إلهـيَ وفقنـا إلى الخـيرِ واهـدنا ... وخاتمـةً حسـنى أنـلْ أقـديرُ

وقد نالَها - رحمةُ اللهِ تعالى - ورَحلَ مِن هذه الدنيا.

وما كانَ قيسٌ هَلكُه هلـكُ واحـدٍ ... ولكنَّـهُ بنيـانُ قـومٍ تصـدعا

أنزلَه اللهُ منازلَ النبينَ والصديقينَ والشهداءِ والصالحين وحسنُ أولئك رفيقًا. فحذروا عبادَ اللهِ من ضرباتِ الموتِ وهجومِهِ المباغتةِ، وأعدوا للقاءِ اللهِ تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[2] ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[3] ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[4] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[5] وقد قيلَ للنبيِّ الكريمِ (ﷺ) مَن أكرمُ الناسِ؟ فقالَ: أتقاهم.

---

(١) هو الشيخُ النحويُّ سيفُ بنُ سعيدِ بنِ عليٍّ الكميانيُّ الريامِيُّ الغنتقيُّ، كانت وفاتُه في الثاني من شهرِ ذي الحجةِ من شهورِ سنةِ ١٤٣٤ هجرية .

(٢) سورة الكهف الآية: ١١٠ .

(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٧ .

(٤) سورة الأعراف الآية: ٢٦ .

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .

أيُّها المسلمون

إنَّ هناك تلوثًا خطيرًا تتشبعُ بها الديارُ الإسلاميةُ عمومًا، ودارُنا خصوصًا، تلوثًا يسري سريانَ الماءِ في عروقِ الشجرِ والكهرباءِ في الأسلاكِ، تلوثًا ليس بيئيًا ولا هوائيًا، لكنَّه تلوثٌ روحيٌّ، فترى إفلاسًا في الجوانبِ الإسلاميةِ، والتعليميةِ، والاجتماعيةِ، والسياسيةِ، والاقتصاديةِ، حتى صارت بسببِ هذا التلوثِ الخانقِ والإفلاسِ المتراكمِ حربٌ بينَ الحكوماتِ والشعوبِ، كلٌّ يريدُ أن يُرغمَ صاحبَه، وينتهزَ غِرَّتَهَ، وأصبحَ الناسُ حبةَ بين حجري الرحى لا يدرون كيف يفعلون!

ولم تسلم أيامُ اللهِ تعالى مِن هذا التلوثِ العارمِ، فقد لحقتها أسقامُ الحائرين، ونكَّلت بها فهومُ الجاهلين.

إخوةَ الإيمان

إنَّ الناظرَ لحالِنا يجدُ تخبطًا كتخبطِ حاطبِ ليلٍ، وحَيْرةً كحيرةِ ضبٍ، وأصبحَ الناسُ يُساقون إلى هذه الحَيْرةِ كالأضاحي تُساقُ إلى نحرِها، فلا تملكُ إلا السمعَ والطاعةَ، وإنَّ مِن أعظمِ ما طرأ على الإسلامِ في هذا الزمانِ الكدرِ، والعصرِ المشينِ، ما أحدثه المُتَسَمَّون بالمسلمين مِن تجاسرِهم على هدمِ ركنين من أركانِ الإسلامِ، هما: ركنُ الصومِ، وركنُ الحجِ، فقد تمالأتِ الدولُ العربيةُ بوحيٍ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ على أن تصومَ يومًا أو يومين مِن شعبانَ، وتُفطرَ يومًا أو يومين مِن رمضانَ، وأن تأخذَ مِن شهرِ ذي القعدةِ يومًا أو يومين لشهرِ ذي الحجةِ بلا مراقبةٍ للهِ، ولا استحياءٍ مِن عبادِهِ، وقد كانت عُمانُ سالمةً مِن هذه الألاعيبِ حتى دُفِنَت الغَيرةُ الإسلاميةُ، والحميةُ الإيمانيةُ مع قومٍ أولي بقيةٍ ينهون عن الفسادِ، واحتلَّت مواقعَ الأمرِ والنهيِ شرذمةٌ جاهلةٌ بتعاليمِ الإسلامِ، ليست مِن أهلِ الفتوى والفقهِ والأحكامِ، فأقحمت نفسَها في هذه اللجةِ الغامرةِ، ونحَّت كلامَ العلماءِ والفقهاءِ والشرعيينَ والفلكيين، فقادَها الهوى، وصرَّفَها العَمى، وساندتها جهاتٌ سياسيةٌ نافذةٌ، جعلت عبادَ اللهِ عبيدًا لها، تصرفُهم كما أرادت لها، لا كما أراد لها، فانصاعَ الناسُ لقضاءِ وقدرِ هذه

الجهاتِ، ونفروا عن قضاءِ اللهِ وقدرِه في أيامِهِ، ولنا في هذه القضيةِ الخطيرةِ رسائلُ:

أولًا: ثبت عنِ النبيِّ (ﷺ) أنَّه قالَ: " الشهرُ تسعٌ وعشرون ليلةَ فلا تصوموا حتى تروه - أي الهلال. فإن غُمَّ عليكم، فأكملوا العِدةَ ثلاثين"، وليس هذا الحديثُ خاصًا وحصريًا بشهرِ رمضانَ، فقد وقعَ الإجماعُ على أنَّ هذا الحكمَ عامٌ لكافةِ الشهورِ الهجريةِ .

فنحن نريدُ الاستفسارَ: لماذا يتمُّ استطلاعُ رؤيةِ هلالِ شهرِ رمضانَ وهلالِ شهرِ شوالَ، وتقامُ الفرقعاتُ الكلاميةُ مع أهلِ العلمِ والفلكيينَ في وسائلِ الإعلامِ المختلفةِ وتقامُ اللجانُ في كافةِ قُطْرِ عُمانَ في السهلِ والجبلِ حتى إذا جاءَ شهرُ ذي الحجةِ اختفى كلُّ هذا، وقلنا: (التاريخُ تَبَعًا لأمِّ القرى)! .

أحبابَ رسولِ اللهِ تعالى

أليسَ هذا مِنَ التخبطِ! أليسَ هذا من الاضطرابِ الفكريِّ! أليسَ في هذا ميلٌ عن المنهاجِ القويمِ، وإعراضٌ عن الطريقِ المستقيمِ! ألا نعترفُ والحقيقةُ جليةُ بأننا لا نعرفُ أنفسَنا هل نحن في سُهَيلٍ أم في نعشٍ! نستفسرُ الجهةَ التي قدَّمتِ التاريخَ ومَن عاونَها، هل لعُمانَ هلالٌ خاصٌ في شهرِ رمضانَ عن أمِّ القرى تتمُّ ولادتُه هنا، بينما يحدثُ عقمٌ عن إنجابِ الهلالِ في شهرِ ذي الحجةِ، ونستغيثُ بأمِّ القرى لتكونَ هناك حضانةٌ مشتركةٌ للهلالِ !

ثانيًا: يظنُ بعضُ المسلمين أنَّ الشهورَ لا بُدَّ أن تكونَ متساويةً في جميعِ الدولِ الإسلاميةِ، وأنَّ الصيامَ ولا سيما الحجُ لا بُدَّ أن نتفقَ مع أمِّ القرى لأنَّ هناك الحجَ ولأنَّ هناك عرفةَ ولأنَّ في هذا اتحاداً للأمةِ، فليس من المعقولِ أنَ يكونَ التاريخُ في أمِّ القرى التاسعَ، وهو يومُ عرفةَ، بينما تكونُ عمانُ في اليومِ الثامنِ، وهذا كلامُ الجهلةِ مِنَ الناسِ، ولا يقولُه أهلُ العلمِ والبصرِ والفلكِ، والردُّ على ذلك بأدلةٍ:

أولُها: أنَّ الخلفاءَ الراشدين ما ماتوا حتى انتشرَ الإسلامُ شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، ومع ذلك ما ثبت عنهم أنَّهم كانوا يكتبون إلى الأفاقِ والبُلدان بتعميمِ حكمِ الرؤيةِ لتكونَ متحدةً بين هذه البُلدان أو على رؤيةِ أمِّ القرى.

ثانيها: لا يصحُّ أن تتحدَ العباداتُ بحالٍ من الأحوالِ، فمعلومٌ أنَّ الشمسَ تغربُ في مكانٍ قبلَ أن تغربَ في غيرِه، وهكذا الطلوعُ والفجرُ وغيابُ الشفقِ؛ وما مِن حركةٍ تتحركُها الشمسُ إلا وهي فجرٌ عندَ قومٍ، وزوالٌ عندَ قومٍ، وغروبٌ عندَ قومٍ، فلا يصحُّ أن توحدَ الصلاةُ لأنَّ ذلك يقضي بأن يصليَ قومٌ العصرَ ليلًا أو فجرًا، فكما لا يصحُّ توحيدُ الصلاةِ والصومِ لا يصحُ توحيدُ الحجِ.

ثالثُها: وقعَ تخالفُ الأهلةِ في زمانِ الصحابةِ ـ رضيَ اللهُ عنهم ـ فهذا ابنُ عباسٍ حَبْرُ الأمةِ يفتي أنَّ لمُعاويةَ وأهلِ الشامِ هلالَهم، ولنا هلالُنا مع أنَّهم رأوا الهلالَ حقًا.

فما بالُ هؤلاءِ الناسِ، ينحرفون عن الجادةِ، وينتهكون حُرُماتٍ أيامِ اللهِ تعالى، ويُلبِّسون على عبادِ اللهِ تعالى عبادتَهم، ويجعلونهم في شكٍ مريبٍ، وحَيْرةٍ لا ساحلَ لها.

رابعُها: تقدمُ أمِّ القرى بيومٍ عن عمانَ، أو تأخرُها لا إشكالَ فيه، فنحن لسنا متعبدين برؤيةِ أمِّ القرى، فمَن كان هناكَ فاعتمادُه على هلالِ أمِّ القرى، ومن كانَ في عُمانَ فاعتمادُه على هلالِ عُمان، اتفقَ أو اختلفَ، ومَن أرادَ صيامَ يومِ عرفةَ لفضلِه، فتحكمُه يومُ بلدِهِ ، وليسَ سرقةُ هلالِ الناسِ، فمَن أرادَ أن يصومَ عرفةَ فليصمها على بلادِهِ وإن فارقَها الحجيجُ بسببِ تقدمِ تاريخِهم، أو لم يَلْمَسوها بسببِ تقدمِ تاريخِنا، وهكذا صلاةُ العيدِ والأضاحي، لا علاقةَ لنا بأمِّ القرى فنصلي وننحرُ تَبعًا لهلالِ عُمانَ، هذا هو هديُ محمدٍ (ﷺ) وهو خيرُ الهدي، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للّٰهِ الذي أظهرَ الحقَ وأبانَه، وأزهقَ الباطلَ وأهانَه، والصلاةُ والسلامُ على مَن رفعَ اللّٰهُ مكانَه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيتها الجهاتُ المسؤولة

كفى هذا الهرجُ والمرجُ والتلبيسُ على عبادِ اللّٰهِ تعالى في أمرِ دينِهم أما يكفي الفسادُ الجامحُ في المجتمعِ! أما تريدين أن تتركي شيئًا مستقيمًا يصلُ إلى اللّٰهِ تعالى ليت شعري ما الذي دعاكِ إلى الولوجِ في هذه العلةِ الشنيعةِ التي زلزلت ركنَ الدينِ.

أيتها الجَهاتُ المسؤولةُ

لماذا تفتحين جبهةً للقيلِ والقالِ وصدعِ صفِ المواطنين والتحاملِ عليك وأنت في غنىً عن كلِّ هذا !! أما تريدن أن تتركي شيئاً مستقيماً يصلُ إلى اللّٰهِ تعالى، ليت شعري ما الذي دعاك إلى الولوجِ في هذه الفعلةِ الشنيعةِ التي زلزلت ركنَ الدينِ، وطَمَست معالمَه، والناسُ في سلامةٍ من هذه البليةِ، فقد جاءنا محمدٌ (ﷺ) بها بيضاءَ نقيةً، ليلُها كنهارِها.

أيُّها العلماءُ أيُّها الفقهاءُ أيُّها الفلكيون أيُّها العقلاءُ

أشهروا كلمةَ الحقِ، وبينوا للناسِ الرشدَّ مِنَ الغيِّ، فإنَّكم أمناءُ اللّٰهِ تعالى على عبادِه، وهنيئًا لشبابٍ استغلوا مواقعَ التواصلِ انتصارًا للّٰهِ ورسولِه (ﷺ).

أيُّها المسلمون

راجعوا دينَكم، وانتبهوا لهذهِ المكيدةِ، وقفوا مع أهلِ العلمِ والفلكيين، للمطالبةِ الجادةِ الحازمةِ بتركِ هذه المهازلِ والسخافاتِ، واعتصموا بحبلِ اللّٰهِ المتين، وسنةِ نبيِّهِ الأمينِ (ﷺ)، فما ثُركتم على شُبهةٍ، وانتبهوا لهذه

الورطةِ، فإنَّ الإسلامَ إذا هُدِمَ بعضُهُ انهدمَ كلُّه، واحتاطوا لصلاتِكم وأضاحيكم، فإنَّ صلاةَ العيدِ والأضاحيَّ في اليومِ الأولِ من تاريخِنا قربانًا لغيرِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[1] ولا تتعجلوا، فإنَّ اللهَ تعالى لا يتقبلُ عبادةً في غيرِ وقتِها، وقد أعطاكم اللهُ عقلًا وسمعًا وبصرًا، فلا تسلبوا عن أنفسكم هذه النعمِ وتلقوا بالأئمةِ على غيرِكم، واقتدوا بما أمرَكم به سيدُ الأنامِ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ.

بالشرقِ أو بالمغربِ لستُ بمقتدٍ أنا قدوتي ما عشتُ شرعُ محمد

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

(١) سورة هود الآية: ١١٣ .

الخطبةُ الرابعةُ والثمانون

استشهادُ حارثةَ بنِ سراقةَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي خلقَ آدمَ بيدهِ من صلصالٍ، ثم تابَ عليه بعد الإغواءِ والإضلالِ، وحملَ نوحًا على ذاتِ ألواحٍ وحِبال، وأخرجَ يُونُسَ مِن لججِ الظُلمِ بالابتهالِ، وآلانَ لداودَ الحديدَ وسخرَ معه الجبالَ، وردَّ الملكَ على سليمانَ بعدَ ذهابٍ وزوالٍ، ومَنَّ على يعقوبَ بولدِهِ بعد فراقٍ وارتحالٍ، وكشفَ الضرَّ عن أيوبَ برحمتِه فزالَ، وأفرغَ الصبرَ على إسماعيلَ فما تضعضعَ ولا مالَ، وأرسى الإيمانَ في قلبِ الخليلِ فما ضعُفَ ولا انحالَ، وكلَّم موسى على طورِ سَيناءَ وشرَّفهَ بكلامِهِ والإرسالِ، وجعلَ عيسى يبرئُ الأكمَه والأبراصَ بإذنِ ذي الجلالِ، وخصَّ محمدًا (ﷺ) بالآياتِ البيناتِ والمعجزاتِ الدوالِ، نَحْمدُهُ على مواهبِهِ الجزالِ، ونشكرُهُ على آلاءِ السجالِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، المتفردُ بالبقاءِ والكمالِ، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ أفضلُ مَن نطقَ وقالَ، (ﷺ) وعلى آلِه وصحبِه المناصرين للإسلامِ يومَ النزالِ، الباذلين أرواحَهم إذا حانَ النزالُ، المنفقين أموالَهم بفيوضِ النوالِ، القاطعين لرفعِ كلمةِ التوحيدِ المهامَه والرمالَ، المظهرين في حبِّ العقيدةِ كلَّ ذي بالٍ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

اتقوا اللّٰهَ وتأهبوا للموتِ الذي ما طلبَ أحدًا فأعجزَه، ولا تحصَّنَ منه متحصنٌ إلا أخرجَه وأبرزَه، ولا أمَّلَ مؤملٌ إلا قصَّرَه دونَ أملِهِ وحَجَزَه، فأيُّ عيشٍ صفا وما كدَّره، وأيُّ قدمٍ سعى وما عثَّرَه، وأيُّ غصنٍ علا وما كسَّرَه، وأيُّ بناءٍ أُشيدَ وما دمَّرَه، وأيُّ حبلِ أملٍ مُدَّ وما قصَّرَه، وأيُّ غفلٍ لاهٍ وما دعثرَه، وأيُّ ملكٍ آمرٍ ناهٍ وما حَدَرَهَ وأيُّ متعنتٍ جائرٍ وما نكَسَه

وأصغَرَه، وأيُّ غنيٍّ وما سلبَ مالَهُ وأفقرَه، وأيُّ متكثرٍ بالجنودِ والأعوان وما حدَّه وأفردَه، أمَا أخذَ الموتُ الأباءَ والأجدادَ، أمَا أخذَ الشبابَ والأولادَ، أمَا ملأَ القبورَ والألحادَ، أمَا حالَ بين المُريدِ والمُرَادِ، أما سلبَ الأحبةَ وقطعَ الودادَ، أمَا أرملَ النساءَ وأيتمَ الأطفالَ ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1] ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[2].

أيُّها المسلمون

أحيا محمدٌ (ﷺ) أعظمَ ثلةٍ ظهرت في دنيا العقيدةِ الإسلاميةِ، وربى جيلًا طارت بصيتِهِ الركبانُ، وافتخرت بطلعتهِ الأكوانُ، جيلًا انهالَ عليه الثناءُ المِعْطَارُ مِن ربِّ الأرضِ والسمواتِ، وكفاه قولُ الحقِّ شرفًا إلى يومِ القيامةِ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[3].

فأعيروني أسماعَكم وقلوبَكم لدقائقَ معدوداتٍ لقِصةِ غُلامٍ مِنَ الأنصار، رسخَ الإيمانُ في قلبِهِ، وهانت عليه الدنيا بزخرُفِها وبهجتِها وجمالِها، وباعَ نفسَه لمالكِها تباركَ وتعالى، وذلك أنَّ النبيَّ الكريمَ (ﷺ) دعا الناسَ للخروجِ إلى معركةٍ مِن معاركِ الإسلام، فلمَّا دعا إلى ذلك جاءَ هذا الغلامُ إلى أمِّه، وكانت عجوزًا قد كَبُرَ سنُها، ورقَّ عظمُها، ونحنى ظهرُها، كانت

(١) سورة البقرة الآية: ٤٨ .
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨١ .
(٣) سورة التوبة الآية: ١٠٠ .

تحبُّ ولدَها حُبًّا جمًّا، تخافُ عليه من نسيمِ الرياحِ إذا مرَّ به، وتخافُ عليهِ من حرِّ الشمسِ لو وقفَ فيها ولو شيئًا يسيرًا، فلمَّا مَثَلَ بين يديها، قالَ لها: يا أمَّاه ، قالت له: ما تريدُ يا بُنيَّ؟ فردَّ عليها يا أمَّاه: إنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) دعا الناسَ للخروجِ إلى معركةٍ، وإني خارجٌ معهم، فقالت: يا بُنيَّ، واللهِ إني ليشتدُّ عليَّ فراقُك، يا بني كنْ عندي، ولا تذهب، كان الغلامُ يتفجَّرُ الإيمانُ مِن قلبِهِ بارًا بوالدتهِ يرجو ما أعدَّه اللهُ تعالى للشهداءِ الذين قالَ في حقِّهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[1] فما زالَ الغلامُ يُقبِّلُ رأسَ أمِّهِ، ويُقبِّلُ يديها ورجليها، حتى أذنت له بذلك.

إخوةَ العقيدةِ

هكذا بَرَّ هذا الغلامُ بأمِّهِ ولم يَقْدُم لهذهِ المشاركةِ إلا بعدَ موافقةٍ صادقةٍ مِن أمِّه، فقالت له أمُّه الحنونُ: يا بُنيَّ: واللهِ ما أظنُّني أذوقُ غَمضًا ولا أتلذذُ بطعامٍ ولا شرابٍ حتى ترجعَ إليَّ، إنَّه الحنانُ الفيَّاضُ المدرارُ الذي يسكنُ في صدورِ الأمهاتِ، فأين من يَعقُّ أباه؟ وأين مَن يعقُّ أمَّه؟ ويعتدي عليهما بالسبِّ والشتمِ ويرفضُ الاستجابةَ لأوامرِهما، والحقُ يقولُ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[2].

وهكذا قامت هذه الأمُّ الحنونُ بترتيبِ ولدِها، فألبسته ثيابَه بيدِها، وشدَّت عليه سلاحَه، وقبَّلت جبينَه، ثم مضى مِن بين يديها، فلمَّا وصلَ المسلمون إلى ميدانِ المعركةِ عسكروا حيث الماءُ، ثم بدأت فلولُ الكفارِ

(١) سورة آل عمران الآيات: ١٦٩- ١٧٠ .
(٢) سورة الإسراء الآية: ٢٤ .

يحضرُ أولُهم، ثم اجتمعوا حتى حضَرَ آخرُهم، وقبلَ أن يبدأَ القتالُ أصابَ الغلامَ عطشٌ فأرادَ أن يرويَ عطشَه ليكونَ بكاملِ قوتِهِ في المعركةِ، فوضعَ يديه في الماء، فلمَّا أرادَ أن يَبُلَ عطشَه إذا بصحابيٍّ كانَ يحرسُ الماءَ خوفًا أن يأتيَ أحدُ الكفارِ فيؤذيَ المسلمين أو ينالَ مِنَ الماءِ شيئًا.

أيُّها الأحبةُ

أتدرون ماذا حدثَ مِن القدرِ المقدورِ عندَ اللهِ تعالى لهذا الغلامِ ظنَّ الصحابيُّ الحارسُ للماءِ أنَّ الغلامَ واحدٌ مِنَ الكفارِ، فقالَ: أعوذُ باللهِ، هذا الكافرُ يريدُ أن يُفسدَ علينا الماءَ، فأخذَ سهمًا ثم وضَعَه في كَبِدِ القوسِ وأطلقَه بقوةٍ على الغلامِ، فوقعَ في نحرِه، فصاحَ الغلامُ مِن حرِّ ما وجدَ، فصاحَ بالناسِ بصوتٍ مبحوحٍ: أغيثوني، ولا يكادُ يَستطيعُ الكلامَ، فلم يغثه أحدٌ إذ ظنوه كافرًا، والمعركةُ بدأت تتصاعدُ حرارتُها، فحاولَ الغلامُ إخراجَ السهمِ إلا أنَّه تقطعَ في جسدِه، حتى سبحَ بدماءِهِ ففارقَ الدنيا .

فلمَّا خرجت روحُه، ذهبَ الحارسُ ينظرُ إليه عن قربٍ ، فتبينَ له أنَّه غلامٌ خرجَ مع المسلمين، فرتاعَ مِن مقتلِهِ وتأسفَ وخافَ إنزالَ العقوبةِ مِنَ النبيِّ (ﷺ) بما صنعَه، فذهب مباشرةً إلى النبيِّ (ﷺ) فأخبرَه بما حدثَ، وأنَّه ظنَّه واحدًا مِنَ الكفارِ، فعفا عنه النبيُّ (ﷺ).

وبعدَ نهايةِ المعركةِ رجعَ الجيشُ إلى المدينةِ المنورةِ، وأقبلت جموعُ المسلمين ترحِّبُ بالمجاهدين، وخرجتِ النساءُ والأطفالُ والعجائزُ ينتظرون عندَ مداخلِ المدينةِ في حرِّ الشمسِ وحرِّ الرمضاءِ، النساءُ تنتظرُ أزواجَها، والأطفالُ ينتظرون آباءَهم، والعجائزُ تنتظرُ أولادَها، وكانت مِن بين هؤلاءِ الجموعِ التي تنتظرُ أحبابَها العجوزُ الثكلى أمُّ الغلامِ.

إخوةَ العقيدةِ

تابعوا ما جرى، ونحن الآن بشعورِنا وحواسِنا لهذه القصةِ العجيبةِ، فقد دخلَ المسلمون المدينةَ، والأطفالُ يتسابقون إلى آباءهم، والنساءُ تسُرعُ إلى أزواجِها، والعجائزُ تسرعُ إلى أولادِها، وأمُّ الغلام تنتظرُ ولدَها

حتى دخلَ أغلبُ المجاهدين، والعجوزُ أمُّ الغلامِ طالَ انتظارُها، والشمسُ تكويها، فأمسكت واحدًا مِنَ الصحابةِ القادمين، ثم قالت له: أتعرفُ ولدي: اسمُه كذا ومواصفاتُه كذا، فردَّ عليها ذلك الصحابيُّ: لقد قُتِلَ ولدُكِ، فتذكرتِ الجنةَ وما أعدَّه اللهُ للشهداء، وقالت لذلك الصحابيِّ، شهيدٌ ولدي بحمدِ لله، فردَّ عليها: ما أظنُّه شهيدًا، فقالت العجوزُ: لِمَ ؟ ما قتله الكفارُ، قالَ لها: لا . قالت: ما قُتِلَ وهو يُقاتلُ بينَ المسلمين والكفارِ؟ قالَ: لا. فقالت له: أمَا كانَ يقاتلُ مع النبيِّ (ﷺ) قالَ: لا . فقالت له - والهمُّ يتدفقُ عليها من كلّ مكانٍ مِن كلامِ ذلك الصحابيِّ -: كيفَ قُتِلَ؟ فقالَ لها: إنَّ ولدَكِ قُتِلَ قبلَ أن تبدأَ المعركةُ أصلًا، والذي قتَلَه رجلٌ مِنَ المسلمين، فكيف يكونُ شهيدًا في المعركةِ ولم يحضر شيئًا مِنَ القتال !!

أحبابَ رسولِ اللهِ (ﷺ)

استغفروا ربَّكم فقد كانَ نبيُّكم (ﷺ) يستغفرُ في اليومِ سبعين مرةً .

★★★

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وعلى آله وصحبِه؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها الأحبةُ في اللهِ

وهكذا زادَ قلبَ المرأةِ العجوزِ غمٌّ وكمدٌ، وقالت لذلك الصحابيِّ، أين رسولُ اللهِ (ﷺ) فقالَ لها: هو ذاك مقبلٌ، فتحركت العجوزُ الثكلى تَجرُّ خطاها الضعيفةَ إلى الحضرةِ النبويةِ، والدموعُ تجري على خديها، وليس يجري مِنَ العينِ ماؤُها ولكنها أنفسٌ تسيلُ فتقطرُ، فلمَّا وقفت بين يدي النبيِّ (ﷺ) نظرَ إليها بالرحمةِ التي قَسَّمها على العالمِ فوسِعَتهم، وصدقَ اللهُ القائلُ في حقِّهِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1] فقالَ لها رسولُ اللهِ: مَن؟ فقالت له: أنا أمُّ الغلامِ، وأخبرته عن اسمِه فعرفَها، فقالَ لها

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧ .



الخطبةُ الخامسةُ والثمانون

انتشارُ الصورِ المهيجةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ مبيدِ الجموعِ والأجنادِ، رافعِ السبعِ الشدادِ، عاليةً بغيرِ عمادٍ، ومادِ الأرضِ ومرسيها بالأطوادِ وجامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه إنَّ اللّٰهَ لا يخلفُ الميعادَ، أحمدُه على نعمٍ لا يحصى لها تَعْدَادٌ، وأشكرُه وكُلما شُكرَ زادَ، وأسألُه أن يصرفَ عنا المُعْضِلاتِ الشدادِ، سبحانه حذَّرَ الذين يحبون أن تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا بمُفْتَرَشِ القتادِ[1]، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له ولا أندادَ شهادةً صادرةً مِن صميمِ الفؤادِ أرجو بها النجاةَ في يومِ التنادِ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا وعظيمَنا وحبيبَنا محمدًا رسولُ اللّٰهِ الذي شرعَ الشرائعَ، ودعا لسُبُلِ الرشادِ، وقررَ قواعدَ الملةِ ورفعَ العمادَ، اللهم صلِ وسلم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ البررةِ الأمجاد، الذائدين عن شِرْعته بالمُرْهَفاتِ الحِدَاد؛ أمَّا بعدُ:

فيا بني آدمَ

يا مَن تُحصى عليه اللحظاتُ والخطواتُ، يا من تُكتبُ عليه اللفظاتُ والخطرات، يا مَن لا يغادرُ كتابُ عملِهِ حتى الذراتِ، يا مَنِ الكرامُ الكاتبون مشاهدون له في النوماتِ واليقظاتِ، يا مَن إلهُ الخلائقِ ناظرٌ إليه في الخلواتِ والجلواتِ، أمَا آن لك أن تفيقَ من هذه السكراتِ، أمَا للوعظِ فيك تأثيرٌ كأنَّك مِنَ الأمواتِ، أمَا واللّٰهِ لئن لم تَستدرك ما مضى وفاتَ، وتُعدَّ عملًا يصلحُ للنجاةِ لتندمنَّ ندامةً لا تشبُه الندامات، فاتقوا اللّٰهَ عبادَ اللّٰهِ وهبوا مِن هذه الغفلات، واغتنموا التوبةَ الصادقةَ بصالحِ الحسناتِ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

---

(١) القتاد: شجرٌ صلبٌ له شوكٌ كالإبرِ.

نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[2] ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[3].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

في هذه العصورِ المتأخرةِ تدفقت على العالمِ الإسلاميِّ روحُ الماديةِ الجارفةِ، التي تلقفها عالمُ الإسلامِ موافقًا ورافضًا، ومع هذا التدفقِ الهائلِ الذي يتفاقمُ يومًا بعدَ يومٍ، حدثَ سحقٌ عارمٌ للروحِ الإيمانيةِ التي تعاني من نقصِ المناعةِ أصلًا، فأصبحَ العالمُ الإسلاميُّ يعاني من سُحُبٍ تمطرُ وابلاً مِنَ المشكلاتِ التي تزدادُ تعقيدًا يومًا بعد يومٍ، وتَبْرُقُ بالفتنِ العمياءِ التي يُسلّمُ الناسُ لها تسليمَ الحُمُرِ لقسورةِ الغابةِ، وتُرسلُ صواعقَها مؤذنةً بالإنقلابِ على كلِّ ما يتصلُ بالكتابِ الكريمِ وسنةِ النبيِّ الأمينِ (ﷺ).

إنَّ الحديثَ عن هذا التدفقِ لا توقفُ زحفَه خطبةُ منبرٍ تُسمَعُ، فلا يلبثُ الناسُ على أعتابِ أبوابِ المساجدِ حتى تكونَ قد تبخرت هذه الخطبةُ مِن مشاعرِهم، إن كانت قد سُمِعَت، ولا يوقفُ تدفقَه محاضرٌ مُكَلَّفٌ مُتكلِّفٌ في تبصيرِ الناسِ، ولا يسدُّ منافذَه درسٌ قصيرٌ أو مركزٌ عابرٌ بوقتٍ ولا تحدُّ من تدفقِهِ مشاعرُ وعواطفُ تتقلبُ كتقلبِ أمِّ براقشَ، فإنَّ كلَّ هذا يصبحُ صياحًا في وادٍ ونفخةً في رمادٍ:

لقد أسمعتَ إذ ناديتَ حيًا ... ولكن لا حياةَ لمن تنادي

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .

(٣) سورة المائدة الآية: ١٠٠ .

سادةَ العقيدةِ

إنَّ هناكَ قضيةً خطيرةً مزعجةً هي مِن أدواءِ العصرِ الماديِّ الجارفِ الذي نعيشُه، تزدادُ قواعدُها وتستشري سمومُها القتالةُ، فلا تزالُ تضربُ الأجيالَ والمراهقينَ والأمةَ الإسلاميةَ مِن قواعدِها، وتتسلطُ عليهم كتسلطِ سهامِ الحَينِ على النفوسِ، إنَّها رزيةٌ لا تقبلُ العزاءَ، وكسرٌ لا ينجبرُ ، وفوضى لا يَحِلُّ دونَ تلاشيها نظامٌ، ومعَ تعطلِ الحاسةِ الدينيةِ الأصيلةِ الغيورةِ للهِ ورسولِهِ (ﷺ) بلِ الحاسةِ الدينيةِ الطارئةِ المفتعلةِ، تطالُعنا وسائلُ الاتصالِ الحديثِ والمواقعُ العنكبوتيةُ بأشجارٍ خبيثةٍ، ثمارُها حلوةٌ للناظرين، ولكنَّها سامةٌ أزهارُوها، جميلةٌ ولكنَّها شائكةٌ، وفروعُها مخضرةٌ ولكنَّها تنفثُ غازًا سامًا لا يُرى، ولكنَّه يسممُ النوعَ البشريَّ الذي يقولُ اللهُ تعالى فيه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]

إلا أنَّ هذا النوعَ البشريَّ المكرمَ ينزلُ إلى مرتبةِ البهيمةِ بعد أن تغذى جسدُه مِنَ الشجرةِ الخبيثةِ إنَّها شجرةُ الإباحيةِ والصورِ الخليعةِ التي تقذفُها في كلِّ ثانيةٍ ودقيقةٍ وسائلُ الاتصالِ مِن جرائدَ ، ومجلاتٍ وتلفازٍ ومواقعَ ، وواجهاتِ محلاتٍ، وغُرَفٍ تغطي جدرانَها هذه الصورُ الخليعةُ ومنشوراتٍ لملابسَ، وسلعٍ تزدحمُ بها المجمعاتُ التجاريةُ والأسواقُ التي أخرجت جيلًا من الفتيانِ والفتياتِ ذابت أخلاقُهم، وانحطَّت رجولتُهم إن كانوا رجالًا، وانمحت أُنوثيتهن إن كنَّ إناثًا .

أيُّها المؤمنون

إنَّ هناك صورًا عاريةً تبث بثًّا، ولقطاتٍ ماجنةً، وقُبلاتٍ مهيجةً، وألبسةً سافرةً، تجعلُ أخلاقَ الفتيانِ والفتياتِ هباءً منبثًا، وتُغرقُ الأجيالَ الناشئةَ وسفينةَ الأمةِ الإسلاميةِ في أوحالِ الشهواتِ، إنَّها صورٌ

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٧٠ .

بإمكان أيِّ أحدٍ أن يراها فهي منتشرةٌ وما أكثرَ بائعاتِ الهوى، وما أكثرَ الساقطين في هذه الأوحالِ.

إنَّ هذه الصورةَ الإباحيةَ لهي أوَّلُ سببٍ وأبرزُ مستنقعٍ يُهَيجُ لجرائمِ الإباحيةِ، كالزنا، واللوطِ، والاغتصابِ، وبيعِ الأعراضِ، وهي أولُ بذرةٍ لإغراقِ المراهقين والمراهقاتِ للمراوداتِ المحرمةِ، والانتكاساتِ البهيمةِ.

وكم تطالعُنا المحاكمُ ومراكزُ الأمنِ بالإحصائياتِ المخيفةِ عن تفشي هذه الأوبئةِ الوبيلةِ التي تقوِّضُ أركانَ الفضيلةِ، وتعودُ على المجتمعِ بعواقبَ وخيمةٍ.

أبرزُها: سخطُ اللهِ تعالى ورسولِه (ﷺ) الذي هو السببُ الذي ما بعدَه سببٌ للعقوباتِ الدنيويةِ من زوالِ البركاتِ في الأعمالِ والأرزاقِ، وفي الآخرةِ سببٌ لدخولِ نارِ جهنمَ، إذ النظرُ إلى هذه الصورِ عصيانٌ صارخٌ للهِ تعالى ورسولِه (ﷺ) قالَ تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[1] وقالَ سبحانَه: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

ثانيًا: إنَّ التمتعَ بالنظرِ إلى هذه الصورِ الخلاعيةِ بأيِّ وسيلةٍ كانت يعتبرُ زنا، فقد قالَ المصطفى(ﷺ): " وزنا العينِ النظرُ"، وفي روايةٍ أخرى: " والعينان تزنيان وزناهُما النظرُ"، وقد وردَ في الحديثِ: " النظرُ سهمٌ مسمومٌ مِن سهامِ إبليسَ مَن تركَه من مخافتي أبدلته إيمانًا يجدُ حلاوتَه في قلبِه"، ويقالُ في مشهورِ الخبرِ: (النظرُ بريدُ الزنا)، وبريدُ الزنا معناها: رسولُ الزنا وطريقُ الزنا.

---

(١) سورة النساء الآية: ١٤ .

(٢) سورة الجن الآية: ٢٣ .

ثالثًا: النظرُ إلى الصورِ المحرمةِ سببٌ لانتشار الجراثيم، وانتهاكِ الأعراض، وحدوثِ الفوضى، والشذوذِ الذي تعقبُه الأمراضُ النفسيةُ المستعصيةُ من غيابِ الذهنِ، وتشتتِ التفكيرِ، وإهدارِ الحياةِ في اللهثِ وراءَ الشهواتِ، كما تتربصُ الأمراضُ الفتاكةُ مِنَ العقمِ وخرابِ الأجهزةِ التناسليةِ في الصنفين الذكورِ والإناثِ، وتترصدُ الأمراضُ الخطيرةُ التي تؤدي إلى خسارةِ الدنيا والآخرةِ.

أيُّها المجتمعُ الشريفُ

إنَّ القضاءَ على أسبابِ هذا الفسادِ تشتركُ فيه الجهاتُ المسؤولةُ أولًا عليها أن تنقيَ وسائلَ الإعلامِ من درنِ هذه الصورِ العاهرةِ، وعليها أن تشكلَ لجانًا لمتابعةِ السلعِ والبضائعِ التي تُبَطنُ الدعاياتِ الماجنةَ، كما على الجهاتِ المسؤولةِ أن تنأى بنفسِها مِن إصدارِ التصاريحِ التي تسمحُ بتعليقِ هذه الصورِ في الأسواقِ والمحلاتِ التجاريةِ والبضائعِ المختلفةِ.

أمَّا الدعاةُ والمصلحون فعليهم أن يرفعوا عقيرتَهم، وأن يخرجوا من كهوفِهم فما ضيَّعَ الدينَ إلا هذا الموتُ الذي هم فيه، فأين أدوارُهم، وأين جهودُهم، وأين أنشطتُهم الدعويةُ! وعلى المجتمعِ أن يتقيَ اللهَ تعالى، وأن يَنْكُرَ ذلك بكلِّ الوسائلِ المتاحةِ، ففي ذلك سببٌ للفلاحِ والنجاحِ، وصدقَ اللهُ حينَ قالَ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1] أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا كما أمرَ، وأشكرُه وقد تأذنَ بالزيادةِ لَمن شكرَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له على رغمِ أنفِ مَن جحدَ به

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤ .

وكفرَ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه سيدُ البشرِ، اللهم صلِ وسلم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِهِ السادةِ الغررِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

هناك أمرٌ لا بُدَّ منَ الإشارةِ إليه وتحذيرِ الأجيالِ والناشئةِ من الإنزلاقِ فيه.

وهو في خضمِ الاحتفالاتِ التي تحدثُ في البلادِ حدثت مخالفاتٌ صارخةٌ لقيمنا الإسلاميةِ التي نعتزُّ بها، وأخلاقنا وعادتِنا ، وتقاليدنا مِنَ اختلاطِ الفتيان بالفتياتِ، ورقصِهم وخروجهم مع بعضِهم البعضِ وما حدثَ من التحرشاتِ الخطيرةِ والعباراتِ والألفاظِ المقززةِ وهي صورٌ تسيءُ إلى سمعةِ بلادِنا وأهلِها الذين قلَّدهم رسولُ اللهِ (ﷺ) وسامَ شرفٍ في أخلاقِهم، وشهدَ لنا العالمُ بالطيبةِ والأخلاقِ الفاضلةِ، ولذا ندعو الجهاتِ المسؤولةَ أولًا أن تتعاملَ مع هذه المفاسدِ بكلِّ حزمٍ وصارمةٍ، كما ندعو المجتمعَ أن يقفَ حائلًا لأيِّ مسيرةٍ أو تجمعٍ يقودُه الأرذلون والغوغائيون بسيارتِهم ودرجاتِهم، وندعو إلى المحاسبةِ الجادةِ لكلِّ خارجٍ عن الانضباطِ الإسلاميِّ والقانون.

كما على الأجيالِ أن تكونَ على درجةٍ مِنَ الوعيِ والتفكيرِ السَليمِ بحيثُ تبتعدُ عن هذه التفاهاتِ.

وليعلمَ الجميعُ أن هذه الأحداثَ، تنبئُ عن انفلاتٍ أخلاقيٍّ يتراكُم يومًا بعدَ يومٍ في المجتمعِ، ساهمت فيه وسائلُ إعلامِنا وإهمالُ التربيةِ ونضوبُ المحاضراتِ وضعفُ الحركةِ الدعويةِ والتنصلُ عن المسؤولية.

وليس هناك حلٌّ لهذه المشاكلِ إلا بتكثيفِ تربيةِ البنينَ والبناتِ وفقًا للمنهجِ الإسلاميِّ وتعليمِ سيرةِ الرسولِ(ﷺ)وأصحابِه ليكونوا قدوةً صالحةً، وعلى الوعاظِ والمصلحين أن يكفوا صمتَهم، كما على وسائلِ إعلامِنا أن تكفَّ بثَّها، وصورَها المأفونةَ التي تقضي على الفضيلةِ وتُحي

رايةَ الرذيلةِ عبرَ الحلقاتِ المارقةِ والصورِ التافهةِ والأفكارِ المنحلةِ التي تمجدُ بها الموسيقى باسمِ الفنِ، فكلُّ هذه مزابلُ أثبتت سُميتَها للأجيالِ بأفعالٍ يراها الجميعُ .

أيُّها المسلمون

إنَّكم تعيشون في أيامِ أمطارٍ وأوديةٍ، فشكروا اللهَ تعالى على نعمِهِ وتأدبوا بما يليقُ بمقامِه في أقوالِكم وحركاتِكم، وتذكروا قولَ الحقِّ المبينِ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[1].

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

(١) سورة إبراهيم الآية: ٧ .

الخطبةُ السادسةُ والثمانون

عزوفُ الفتياتِ عنِ الزواجِ لعلةِ التعليمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي خلقَ النوعَ الإنسانيَّ مِن نفسٍ واحدةٍ فانتشرَ في البطاحِ، وخلقَ منها زوجَها للسعادةِ مفتاحٌ، وأغرقَه في بحارِ نعمِهِ التي واصلَ عليهِ موجُها بالغدوِ والرواحِ، نشكرُه على ما صرفَ مِنَ المكروهِ وزاحَ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، الذي أعلى منارَ الحنيفيةِ التي شرعَ من جملتِها النكاحَ، وأشرعَ لمنَ انتهكَ حدودَ حُرُمَاتها سُمرَ الرماحِ وبيضَ الصفاحِ، ونشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولهُ الذي جرَّدَ شريعَته المحمديةَ لعُنقِ السفاحِ ولأنفِ العُهْرِ والشَّينِ والقباحِ، اللهم صل وسلم على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ما بدا نجمٌ ولاح؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

اعتبروا بما حاقَ بالأممِ السابقةِ مِن نازلِ القضاءِ الأمرِ، وتأملوا في كتابِ ربِّكم، فأين قومُ شعيب؟ قالَ سبحانَه: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾[1] وأين قومُ لوطٍ؟ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾[2] وأين فرعونُ مصرَ؟ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾[3] وأين قومُ عادٍ؟ يقولُ الحقُّ فيهم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾[4] وأين قومُ ثمودَ؟

---

(١) سورة هود الآية: ٦٧.
(٢) سورة هود الآية: ٨٢.
(٣) سورة النازعات الآية: ٢٥.
(٤) سورة القمر الآية: ١٩.

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾[1]، ألا فاعتبروا بما جرى لهذه الأمم، وأعدوا الزادَ، وتأهبوا للموتِ، فإنَّ الموتَ أقربُ إلى أحدِكم مِن شِرَاكِ نَعْلِه، ولا تغرنَّكم الحياةُ الدنيا، ولا يغرنَّكم باللهِ الغرورُ، واحذروا التسويفَ فإنَّ الدنيا كسرابٍ بقيعةٍ، وتأملوا في مَرِّ الأعمارِ، السنةُ عن شهرٍ، والشهرُ عن يومٍ، واليومُ عن ساعةٍ، والساعةُ عن دقيقةٍ، والدقيقةُ عن ثانيةٍ، وانتهى بعد ذلك كلُّ شيءٍ مِنَ التقاتلِ على حطامِ الدنيا الفانيةِ، أمِّنوا أنفسَكم مِنَ النارِ، كما تأمنون أمتعةَ الدنيا الزائلةَ، فأنفسُكم الضعيفةُ التي بينَ أيديكم أولى أن تأمِّنوها مِن عذابِ اللهِ تعالى وناره تأمينًا شاملًا بالإمتثالِ لأمرِه سبحانه وتعالى، والكفِ عن المُحرمات. ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[3].

أيُّها السادةُ المؤمنون

هناكَ شكوى برقمٍ واحدٍ على واحدٍ، تمَّت إحالتُها إلى المحكمةِ المنبريَّةِ، وتتلخصُ الشكوى برقمِها المنصوصِ عليهِ أنفًا: قَدمَ إلى المحكمةِ مجموعةٌ مِنَ المجنيِّ عليهم وهم الشبابُ بشكوى على الجانياتِ، وهنَّ الفتياتُ، وقد تمَّ في الجلسةِ الأولى الإصاغُ إلى عيِّناتٍ مِنَ الشكوى الصادرةِ مِنَ المجنيِّ عليهم وبيانُ الشكوى:

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٨ .
(٢) سورة النساء الآية: ١ .
(٣) سورة الحاقة الآية: ٨٢ .

المجنيُّ عليه الأولُ: تقدمتُ إلى فتاةٍ مِن أجلِ الخِطبةِ بها، وتأسيسِ مستقبلي، وعفةِ عرضي، فقوبلتُ بالرفضِ لأنَّها تريدُ مواصلةَ دراستِها.

المجنيُّ عليه الثاني: تقدمتُ لسبعِ فتياتٍ، ويتمُّ الرَّدُ دائمًا بأنَّ الفتاةَ تريدُ أن تدرسَ، تعبتُ من الخطبةِ فلا أريدُ زوجاً.

المجنيُّ عليه الثالثُ: تقدمتُ لفتاةٍ فوافقت على الزَّواجِ ، ورفضت أن نكونَ عَروسينِ حتى فراغِها من دراستِها.

أحبابَ رسولِ اللّه (ﷺ)

أنتم مدعون للاستماعِ لتفاصيلِ الشكاوى والمرافعاتِ الكلاميةِ، ومن حقِّ الجانياتِ وهنَّ فتياتُ هذا الزمانِ، وما أدراك ما فتياتُ هذا الزمان أن يطعنَ في أصلِ الشكوى، أو أن يستعنَ بهيئةِ الدفاعِ من المحامياتِ أو أن يُقدِمَنَ استئنافاً بعدَ النطقِ بالحكمِ في حالِ كانَ به حيفٌ أو انتقاصٌ لحقِهن الذي كفلَه لهنَّ الإسلامُ لمدةٍ لا تتجاوزُ أسبوعينِ للنظرِ فيها، وفي هذه الجلسةِ سيتمُّ النطقُ بالحكمِ بعدَ الاستماعِ لشهاداتِ المجنيِّ عليهم، وسيكونُ النطقُ بالحكمِ من قاضيين شرعيين.

ونُعرِّفُ بالقاضي الأولِ وهو: القرآنُ الكريمُ، أمَّا القاضي الثاني فهو: الهديُ النبويُّ، بينما تتمثلُ هيئةُ المحامَةِ عنِ الشبابِ في تحكيمِ العقلِ السليمِ، والفكرِ الرصين.

يقولُ القاضي الأولُ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]، ويقولُ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا

(١) سورة النحل الآية: ٧٢ .

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1]، ويقولُ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾[2].

يقولُ القاضي الثاني على لسان الحبيبِ المجتبى (ﷺ): " أنْكِحُوا فإني أكاثرُ بكم الأممَ يومَ القيامة"، ويقولُ: " يا معشرَ الشبابِ مَنِ استطاعَ منكم الباءةَ[3] فليتزوجوا فإنَّه أغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرجِ فمنَ لم يستطع فعليه بالصيامِ فإنَّه له وِجاءٌ "، ويقولُ: " إذا جائكم مَن تَرضون دينَه وخُلقَه فزوجوه إلا تفعلوه تكنُ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبير".

وقد اتفقَ القاضيان الشرعيان مِن خلالِ نصوصِهما على أنَّ الزواجَ مِن الرزقِ الطيِّب، وأنَّه سببٌ للاستقرارِ النفسيِّ، ومدعاةٌ للمودةِ والرحمةِ وجعلاهُ مِنَ المننِ التي امتنَّ بها اللّٰهُ تعالى على عبادِهِ الحياةَ الزوجيةَ، وأنَّ المصلحةَ العلياءَ لصيانةِ المجتمعِ من جراثيمِ الفسادِ عفةُ فَرجِ الشبابِ والفتياتِ، وأنَّ الزواجَ سببٌ لغضِّ البصرِ وإحصانِ الفرجِ، وأنَّ إحجامَ الفتياتِ عن الزواجِ بأيِّ علةٍ يفتعلُها الزمانُ مرفوضةٌ قطعًا لما يترتبُ على ذلك من الفسادِ الكبيرِ، مِنَ انتشارِ الإباحيةِ، وانحلالِ المجتمعِ، ونموِ معدلاتِ الجرائمِ مِنَ الزنا واللواطِ والاغتصابِ والحيلِ والعشقِ والهيجانِ الذي تتقدُ جذوتُهُ ليتمَ إطفاؤُه بالطرقِ التي تمَّ النصُ عليها.

من أجلِ ذلك فإنَّ العلةَ التي نصَّت عليها الفتياتُ مِن أجلِ مواصلةِ التعليمِ ليس لها قدرةٌ على مجابهةِ جيشِ الفسادِ الذي يترتبُ بسببِها، إذ رفعُ المفسدةِ مقدمٌ على جلبِ المصلحةِ، فما بالُكم إذا كانت مصلحةٌ تترتبُ على وقوعِها فتنٌ ومفاسدُ كثيرةٌ!

---

(١) سورة الروم الآية: ٢١ .

(٢) سورة النبأ الآية: ٨ .

(٣) الباءة: النكاحُ والجماعُ .

أيُّها الأحبةُ في اللّه

وقد احتجَّت هيئةُ المحاماةِ عن الشبابِ بعللِ العقلِ السليمِ، والفكرِ الرصين، فقالت:

أولًا: أثبت الواقعُ أن تسعينَ بالمئةِ من الفتياتِ اللاتي ترفضُ الزواجَ، وتتعللُ بمواصلةِ دراستِها، لا تريدُ دراسةً ولا تعليمًا ولا ثقافةً، وإنَّما تريدُ أن تعملَ بأيِّ وسيلةٍ كانت، وفي أيِّ مكانٍ كانَ، ولو كانَ المكانُ الذي تعملُ فيه تحيطُ بها الأسودُ المساورةُ مِن كلِّ مكانٍ!! فالتعللُ بالدراسةِ والتعليمِ إنَّما ذلك قشةٌ تخفي من وراءِها الفتياتُ غايةَ الوظيفةِ التي تجني من ورائِها مرتبًا شهريًا.

ثانيًا: ليست في الزواجِ والنَّقلةِ إلى بيتِ الزوجيةِ معارضةٌ عن مواصلةِ دراستكِ وتعليمِكِ والترقي بمداركِك العقليةِ على أن التسترَ بالتعليمِ من أجلِ الوظيفةِ غايةٌ يجبُ أن تدغدغَ أذهانَ الشباب، إذ القوامةُ والنفقةُ واجبةٌ على الذكورِ فقط، قالَ سبحانهَ وتعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[1] وللرجلِ درجةُ القوامةِ اللازمةِ عليهم، قالَ جلَّ وعلا: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾[2].

ثالثًا: يثبتُ الواقعُ يومًا بعدَ يومٍ أنَّ الفتياتِ خَرَجن عن ضوابطِ الشرعِ وما أرادَه لهن دينهن مِن خلالِ الاستهتارِ بأنوثيتِهن وعدمِ احترامِهن لفطرتِهن، فما بين قائدةِ سربٍ، وبحارةٍ، ونازلةٍ من مضليةٍ، وشرطيةٍ في الطرقِ، وعاملةٍ في مصافي البترولِ ومضيفةٍ بألبسةٍ تخرجُها عن إسلامِها جملةً وتفصيلًا، فيا للّه ويا للمسلمينَ على حالِنا.

فيا للرجالِ أغيثوا كلَّ مسلمةٍ ولو حبوتُم على الأذقانِ والركبِ

---

(١) سورة النساء الآية: ٣٤.

(٢) سورة النساء الآية: ٢٢٨.

رابعًا: مِنَ المفزعِ أننا في مجتمعٍ تتصدرَ فيه الفتياتُ حتى صارت نسبُ العاملاتِ مِنَ الفتياتِ في أماكنَ لا تليقُ بأنوثيتهن، ولا بنعومتِهن في نموٍ مقلقٍ جدًّا، وهذا ما شكّل خطرًا ناميًا مِن ترجلِ الفتياتِ وعزوفِهن عن الزواجِ من الشبابِ في سنٍ مبكرٍ ومحاولةِ الهرولةِ إلى الدنيا - ولله الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ - .

أقولُ ما قلت، وأستغفرُ اللهَ مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الرحيمُ.

***

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ (ﷺ) وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الموحدون

هناك رسائلُ أبثُّها:

أولًا: أيتُها الجهاتُ المسؤولةُ ما يحدثُ أمرٌ غيرُ مقبولٍ، وله آثارٌ خطيرةٌ على المجتمعِ لا بُدَّ أن يُقننَ عملُ الفتياتِ، وأن يكونَ في أماكنَ محدودةٍ جدًّا، يجبُ أن تُحترمَ الفتياتُ وتُرجَعَ حقوقُهنَ الإسلاميةُ، فقد أدخلتموهن في أماكنَ لا تتفقُ مع دلالِهن وفطرتِهن، ما هذا الهرجُ والمرجُ! من الغريبِ أن يصرِّحَ أحدُ الغوغاءِ ببناتٍ غيرٍ في الجريدةِ بقولِه: حانَ الوقتُ لنمكنَ المرأةَ مِنَ العملِ أكثرَ في المجتمعِ، وماذا بقيَ يا هذا؟! وهل بَقِيَ مكانٌ لم تخض فيه المرأةُ، فقد تمكنت في أماكنَ لا يتمكنُ منها الرجالُ ما أسخفَ القولَ الذي قلتَه! (قد بَكَّرَت شَبُوَةُ تَزْبَئِرُّ)[1].

ثانيًا: يا أولياءَ الأمورِ عليكم أن تتقوا اللهَ تعالى في بناتِكم، عليكم أن تبادروا في تزويجِهن مِنَ الشبابِ الذين يطلبون تأسيسَ الحياةِ الزوجيةِ

(١) شَبوة: اسمٌ للعقربِ، وتزبئرُ: تنتفشُ، وهو مثلٌ يُضربُ لمن يتشمرُ للشرِ .

وعفةِ الفَرْج، عليكم أن تشجعوا بناتِكم على الزواجِ، وألاَّ تكونوا عونًا لهن على الفسادِ، واستروهُن كما أمرَ اللّهُ تعالى ورسولُهُ(ﷺ) بذلك.

فلتتقوا اللّهَ يا أولياءَ الأمورِ، وقولوا قولًا سديدًا، ويسروا على الشبابِ.

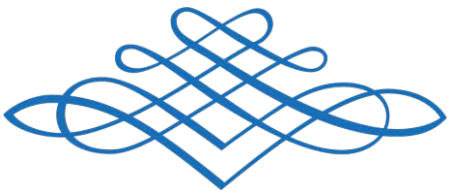
أيتها الفتاةُ

إنَّ أفضلَ شيءٍ في حياتِك الدنيا أن تتزوجي في سنٍ مبكرٍ، وأن يأتيَك الشابُ الصالحُ الذي يعملُ بحيثُ يسترُكِ ويسترُ الأسرةَ بكدِّ يمينه وعرقِ جبينهِ، إنَّ أهمَّ وظيفةٍ يريدُها لك دينُكِ الأمومةُ والعنايةُ بِعُشِ الزوجيةِ وتربيةِ الأجيالِ، وقد ضاعت الأجيالُ بضياعِك، فالأطفالُ والصبيانُ اختلت أخلاقهُم، وأصبحوا لبنةَ شرٍّ في المجتمعِ من العبثيةِ، والاستهتارِ وعدمِ المبالاةِ بالواقعِ والمستقبلِ.

أيُّها الشبابُ

اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا اللّهَ فإنَّ بعدَ العسرِ يسرا، والليلُ يعقبهُ النهارُ، والفتياتُ الصالحاتُ اللاتي يَطمحَن للحياةِ الزوجيةِ الطيبةِ لا ينعدمُ منهن المجتمعُ، ومَن سعى للخيرِ فلن يَخيبَ سعيُه، واللّه معكُم ولن يترَكم أعمالَكم.

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .



الخطبةُ السابعةُ والثمانون

من سيرةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ (رضيَ اللّهُ عنه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه المهيمنِ العزيزِ، الذي أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ عبدِالعزيز، وأذلَّ بهِ عتاةَ بني أميةَ، فهو في رقابِهم خزيزٌ، وفي زمانهِ عزيزٌ، وجددَ به الإسلامَ فصارَ في ثوبٍ قشيبٍ، وحرزٍ حريزٍ، كيف وقد كانَ لصدره مِن خشيةِ اللّه أزيزٌ، نحمدُ تعالى على خيرِه الغريزِ، ونشهدُ ألا إلهَ إلاَّ اللّهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ ذو الخلقِ الإبريزِ (ﷺ) وعلى آلِهِ وصحبهِ الذين طلَّقوا الدنيا فلم يشتغلوا فيها بالجمعِ والتحويزِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

إلى كم تستمعون المواعظَ وقلوبُكم قاسيةٌ! وكم تُرشِدُكُم إلى الطريقِ وأبصارُكم عنها متعاميةٌ! وإلى كم تُزَهدُكُم في الدنيا وقلوبُكم على حبِّها مُتواليةٌ! وإلى كم تُرَغبُكُم في الآخرةِ وخواطِرُكم عنها مُعْرِضَةٌ عاديةٌ! ليتَ شِعْري مَنِ السَّعيدُ مِنَّا فَنُهنيه بجنةٍ عاليةٍ، ومَنِ الشَّقيُّ منا فَنُعزِّيه بنارٍ حاميةٍ، ليتَ شعري أوعَظِي هذا يُلَيِّنُ قلوبًا قاسيةً، فإنَّ مِنَ الحجارةِ لَما يتفجرُ مِنهُ عيونٌ جاريةٌ، فيا مَن غلبَت على قلوبهم الأهوَيةُ، فكأني بكم، وقد أصبحت منازلُكم خاليةً، ونقلَكم مَلَكُ الموتِ إلى قبورٍ باليةٍ، وأصبحت أولادُكم تَبكي عليكم بأدمُعٍ حاميةٍ، فاعتبروا بمَن مضى قبلَكم مِنَ القرون الماضيةِ فقد سَقَتهُم المنيةُ شَربَةً غيرَ صافيةٍ، وها هي نازلةٌ بكم، واللّهُ أعلمُ أمصَبِّحةٌ أم مُمَاسيةٌ، ثم تقومُون من قبورِكم بأقدامٍ حافيةٍ، وعَوَراتٍ باديةٍ، فما جوابُكم إذا أجبتُم بحجةٍ غيرِ كافيةٍ، ﴿يَا أَيُّهَا

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[2].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

إنّ امرَ آخرِ هذهِ الأمةِ لا يَصْلحُ إلا بما صَلحَ به أوَّلُها، ولا يشكُ عاقلٌ بأنَّ كلمةَ اللّه تعالى سبقت بنصرِ الدينِ على أيدي عبادٍ ارتضاهُم، وزكاهُم ونقاهُم، ليطهروا رسالةَ الإسلامِ من زيغِ المعتدين، وانتحالِ المبطلين.

فكانَ من جملتِهم جبلٌ أشم، وبحرٌ خضمٌ، الطَّودُ الذي تضاءلت دونَهُ الأطوادُ، والبحرُ الذي لا تُقاسُ به الثّمادُ، ذو الاجتهادِ العظيم، والتشميرُ والتصميمُ، الثابتُ على الورعِ وملازمةِ المنهاجِ القويم، العاملُ بما يرجو فيه خلاصَه، المؤثرُ على نفسهِ ولو كانَ به خصاصةٌ، الذي حازَ مِنَ التقوى الخُلاصةِ، إنَّه فتى عبدِ العزيز، إنَّه من لم يخنع للأهواءِ الأُمويةِ، سامي الذرى، الزاهدُ المرتضى، أشجُ بني أميةَ، أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ بنِ مروانَ الأمويُّ ـ رضيَ اللّهُ عنه وأرضاه ـ فمع لَمَحاتٍ عابرةٍ من سيرتِه.

حدَّث أهلُ السيرِ أنَّ أميرَ المؤمنين عُمرَ بنَ عبدِالعزيزِ ـ رضيَ اللّهُ عنه ـ لَمَّا تولى الخلافةَ اتخذ قراراتٍ تَنمُّ عن حرصِهِ الشديدِ على أموالِ المسلمين، فبعدَ دفنِ ابنِ عمِّهِ الخليفةِ الراحلِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ رأى ما أذهلَه من أبناءِ عمِّه مِنَ الأمويين الذين أدخلوا الكثيرَ مِن مظاهرِ السلطان التي لم تكن موجودةً على عهدِ النبيِّ(ﷺ) وخلفائِهِ الراشدين، فأنفقوا

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ – ٧١.
(٢) سورة الحشر الآية: ١٨.

الكثيرَ من المالِ مِن أجلِ الظهورِ بمظاهرِ العظمةِ والأُبهةِ أمامَ رعيتِهم، من بَراذِين، وخيولٍ ، وبغالٍ، وسُرادِقاتٍ، فكانَ أوَّلُ إجراءٍ له بعدَ توليهِ الخلافةِ، هو انصرافُه عن مظاهرِ الخلافةِ، إذ قُرِّبَت له المراكبُ، فقالَ: ما هذه ؟ فقالوا: مراكبُ لم تركبْ قطُّ، يركبُها الخليفةُ بعد أنْ يليَ، فقالَ: احملوها إلى بيتِ مالِ المسلمين، وخرجَ يلتمسُ بغلتَه، ونُصِبَت له سُرادِقاتٌ، وحُجُراتٌ لم يَجلس فيها أحدٌ قطُّ يجلسُ فيها الخليفةُ، فقالَ: ضمُّوا هذه إلى أموالِ المسلمين، ثم ركبَ بغلتَهَ فوجدَ الفُرُشَ المهدةَ له، فأخذَ يدفعُ ذلك برجلِه، وقالَ: ضمُّوا هذه لأموالِ المسلمين، فجلسَ على حصيرٍ.

ولما استُخلف عمرُبنُعبدِالعزيز وتسلَّمَ مهامَه، وفد الشعراءُ إليه، فاقاموا ببابِهِ أيامًا لا يُؤذنُ لهم حتى جاءَ رجلٌ إلى عمرَ، فقالَ له: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الشعراءَ ببابِك؟ فقال: مالي وللشعراء، ثم قالَ مَن بالبابِ منهم؟ فذكرَ له أسماءَ الشعراء، فردَّ الجميعَ إلا جريرًا سَمحَ له بالدخولِ، فبدأ يصبُّ قصائدَه يستمطرُ أموالًا منه، فردَّ عليه أميرُ المؤمنين عمرُ ما أرى لكَ في أموالِ المسلمين حقًا، قالَ جريرُ: بلى يا أميرَ المؤمنين أنا ابنُ السبيلِ ومنقطعٌ، فأعطاه من صُلبِ مالِهِ لا لشعره، وإنَّما لكونه مِن ابنِ السبيلِ المنقطعين، فلمَّا خرجَ قالَ له الشعراءُ: ما وراك يا جريرُ؟ قالَ: ما يسوُّكم خرجتُ مِن عندِ أميرِ المؤمنين، وهو يعطي الفقراءَ، ويمنعُ الشعراءَ، وهذا منهجٌ جديدٌ في عهدِ الدولةِ الأُمويةِ التي عمَّ وطمَّ بها فسادُ حكَّامِها، فقد كانَ الشعراءُ يمدحون ملوكَ وأمراءَ الدولةِ كذِبًا ونَفاقًا مِن أجلِ نيلِ الجوائزِ السنيةِ، والأموالِ السخيةِ، وقد أبطلَ ذلك أميرُ المؤمنين عمرُ، وقَرَّبَ سابقًا البربريَّ، الذي يعظُهُ وينصحُه ويحذرُهُ مِنَ الركونِ إلى الدنيا، وقد كتبَ له قصيدةً وعظيةً تأثرَ بها عمرُ، يقولُ في مطلعِها:

باسمِ الذي أُنزلت من عندِهِ السورِ ... والحمدُ للّٰهِ أمَّا بعدُ يا عمرُ
إن كنتَ تعلمُ ما تأتي وما تذرُ ... فكن على حذرٍ قد ينفعُ الحذرُ

كما امتنعَ عن قَبولِ الهديةِ، فقيلَ له: ألم يكن رسولُ اللّٰه(ﷺ) يقبلُ الهديةَ؟ قال: بلى. ولكنها لنا ولَمن بعدَنا رَشْوَةٌ، كما أبطلَ عمرُ أخذَ

الهدايا التي كانَ الولاةُ الأُمويون يأخذونها، وخاصةً في هدايا النيروزِ والمهرجان، وأنذرَ ولاتهَ وعمَّالَه من قَبولِ الهدايا والأُعطياتِ.

كما كانت القراطيسُ الحكوميةُ طويلةً عريضةً تُمدُّ فيها الخطوطُ مدًّا، فأمرَ أن تكونَ قراطيسُ الحكومةِ شِبرًا، ونهى عن المدودِ، وكتب لأحدِ عمَّالهِ بهذا الخصوص: (إذا جاءكَ كتابي هذا فأرقَّ القلمَ، واجمع الخطَّ واجمع الحوائجَ الكثيرةَ في الصحيفةِ الواحدةِ، فإنَّه لا حاجةَ للمسلمين في فضلِ قولِ أضرَّ بيتَ مالِهم، والسلامُ) .

ذلك هو شأنُ أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ عبدِالعزيز - رضيَ اللّٰهُ عنه - في كلِّ أمرٍ يخصُّ مالَ المسلمينَ وإن قلَّ ، فأينَ صنيعُ عمرَ مِن صنيعِ أولئك اللصوصِ الذين يَسرِقون أموالَ المسلمين ويرشون ويَرْتشون.

أيُّها المؤمنون

كان أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ هو المجددُ الأولُ للإسلامِ، بعدَ أن عكَّرَه زيغُ بني أُمية، وأحيا الصلاحَ والاستقامةَ والإيمانَ في النفوسِ، وقامَ بمبدأِ الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عنِ المنكرِ، ورفعَ لواءَه، وأعلى شأنَه، وجعلَه المهيمنَ والمقدمَ على ما سواه، فلم يكن يكمِمُ أفواهَ الرجالِ عن قولِ الحقِّ المبينِ والهدي المستبينِ لذلك دعا عشرةً مِن فقهاءِ المدينةِ، وطلبَ منهم أن يكونوا عونًا له على الحقِّ، وحذَّرهم مِن التزلفِ.

وقد أثرت شخصيةُ عمرَ وسياستُه العادلةُ تأثيرًا بالغًا في حياةِ العامةِ، وميولِهم وأذواقِهم ورَغباتِهم، إذِ الناسُ على دينِ ملوكِهم، وقد وردت في التاريخِ مقارنةُ عهدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ بمن سبقَه مِن الحكامِ السابقين، فكانَ الوليدُ صاحبَ بناءٍ، واتخذَ المصانعَ والضّياعَ، وكانَ الناسُ يلتقون في زمانهِ فكانَ يسألُ بعضُهم بعضًا عن البناءِ والمصانعِ، فلما جاءَ سليمانُ كانَ صاحبَ نكاحٍ وطعامٍ وشارب، فكانَ الناسُ يَسألُ بعضُهم بعضًا عنِ التزويجِ والمآكلِ والمشاربِ، فلمَّا كانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ كانوا يلتقون فيقولُ الرجلُ للرجلِ: كم تحفظُ من القرآن؟ ومتى ختمتَ؟ وما تصومُ مِنَ الشهرِ؟ ومِنَ

المأثورِ مِن حكمِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: (الليلُ والنهارُ يعملان فيكَ فاعمل فيهما).

بارِكَ اللّهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللّهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكَريمُ.

***

الحمدُ للّهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللّهِ، وعلى آلِه وصحبِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا إخوةَ العقيدةِ

لم تطل أيامُ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ عبدِالعزيزِ في الخلافةِ التي استمرت سنتين وخمسةَ أشهرٍ وأربعةَ أيام، فقد ضاقَ بنو أُميةَ الذين اتخذوا عبادَ اللّهِ خولًا، ومالَ اللّهِ دولًا، وأوامرَ اللّهِ ورسولهِ (ﷺ) لهوًا ولعبًا مِن سياسةِ عمرَ التي قامت على العدلِ والإحسانِ، ومحاربةِ المنكراتِ، والقضاءِ على أوكارِها وتقريبِ الصلحاءِ والعلماءِ، وتأخيرِ المفسدين والمنافقين، وردِّ المظالمِ التي كانت في أيدي بَني أميةَ، وحالَ بينهم وبين ما يشتهون، فكادَ له بعضُ بني أُميةَ بوضعِ السُّمِ في شَرابِهِ، فعرفَ عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ الفاعلَ، والسَّمُّ ينتشرُ في جسدِه، فقالَ له: ويحكَ ما حملكَ على أن تسقيَني السُّمَ، قال: ألفُ دينارٍ أعطيتُها من أجلِ قتلِكِ، فقالَ له: هاتِ الألف، فجاءَ بها فألقاها عمرُ في بيتِ المالِ، ولم يستفهمه عمَّن أمرَه بوضعِ السُّمِ إذ رأى أنَّ الأمرَ قد انتهى، وأنَّ ما عندَ اللّهِ خيرٌ وأبقى، وهكذا انتقلَ عمرُ إلى جوارِ ربِّهِ، وعمرُه أربعون سنةً بعد أنَ قامَ بالأعمالِ العظيمةِ والإصلاحاتِ الجليلةِ في مدةِ خلافتِهِ الوجيزةِ، فغدا دُرَّةً للأمةِ، ومنارةً يستهدي بنورِها الملتمسون دروبَ التجديدِ والإصلاحِ، فجزاه اللّهُ خيرًا، وحشرَه مع النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين، وحسنُ أولئك رفيقًا.

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .

الخطبةُ الثامنةُ والثمانون

أزمةُ الإيمانِ الحقيقيِّ في الأمةِ الإسلاميةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الملكِ ذي العزةِ والقدرةِ والتفضيلِ، الذي أنفذَ قضاءَه في مخلوقاتِهِ وحسبُنا اللّهُ ونعمَ الوكيلُ، سبحانهَ مَنْ جعلَ الدنيا دارَ زوالٍ ورحيلٍ، والآخرةَ دارَ نعيمٍ أو عذابٍ وبيلٍ، وكلٌّ ميسرٌّ لما خُلقَ له وعلى اللّهِ قصدُ السبيلِ، أحمدُه على إحسانهِ الشاملِ الجزيلِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له ولا وزيرَ ولا عديلَ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُهُ المؤيدُ بمعجزاتِ التنزيلِ، والمصونُ دينُه عن التحريفِ والتبديلِ اللهم فصلِ وسلم على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ صلاةً وسلامًا يبلغان قائلهما نهايةَ التأميلِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

اعلموا أنَّه قد عمَّ الفناءُ فما إلى البقاءِ سبيلٌ، وتمَّ القضاءُ فلا تَغييرَ فيه ولا تبديلَ، وطمَّ بحرُ الموتِ فحارَ فيه الدليلُ، فلو نجا منه مُقدمٌ لكانَ أولى به أبو قابيلَ وهابيلَ، أو صاحبُ فتنةٍ لنالَ ذلكَ يوسفُ الصديقُ، فما له في الجمالِ نظيرٌ ولا مثيلٌ، أو أصحابُ منزلةٍ عندَ اللّهِ لكانَ أجدرَ ناجٍ منه سيدُنا محمدٌ صاحبُ المكانةِ والتبجيلِ، فاستعدوا - عبادَ اللّه - وتنزهوا عن حُبِّ الدنيا فإنَّ متاعَها قليلٌ، وتزودوا بتقواكم، فإنَّ السفرَ طويلٌ، ولا تطمعوا في هذه الدنيا فإنَّ البقاءَ فيها مستحيلٌ، كيف لا . والمنادي ينادي كلَّ يومٍ يا عبادَ اللّه الرحيلَ الرحيلَ، هو الموتُ الذي ما فيه فوتٌ ولا تعجيلٌ، ولا يَقبلُ اللّهُ فيه الفداءَ، ولا يرضاه ليكونَ البديلَ، كم ألحقَ عليلًا بصحيحٍ، وصحيحًا بعليلٍ، وكم أخذَ قريبًا مِن قريبٍ، وخليلًا مِن خليلٍ.

فيا مَن يسمعُ ما أقولُ ماذا يكونُ جوابُك إذا سألَك مولاك الجليلُ، ماذا فعلتَ بما أنعمتُ به عليك مِن النعمِ والفضلِ الجزيلِ؟ وربيتُك بنعمتي وعرَّفتك بربوبيتي، وأرسلتُ إليك أعظمَ رُسلي، فأعرضتَ عن طاعتي وارتكبت الحرامَ بلا مثيلٍ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾[1].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

هل الأمةُ الإسلاميةُ وأجيالُها تعيشُ في عصرِ أزمةٍ أم أزماتٍ؟ سؤالٌ خطيرٌ جدًّا، فالمتأملُ لواقعِ القطبِ الإسلاميِّ، يجدُ الناسَ يتحدثون أنَّ دولَ العالمِ الإسلاميِّ تعاني مِن أزمةِ سياسةٍ تتمثلُ في قياداتٍ ألقت وتخلت، وفي أزمةٍ اقتصاديةٍ أنجبتها السفاهةُ الجاثمةُ على مواردِ الاقتصادِ، وأزمةٍ اجتماعيةٍ ظاهرةٍ في تفككِ الشعوبِ وتقاتلِها الضاري الذي خلَّف ملايين الضحايا، بينما تظهرُ بوضوحٍ على مستوى الأجيالِ الحاضرةِ الاضطراباتُ العنيفةُ والتماوجُ السلوكيُّ، وهكذا تعيشُ الأمةُ الإسلاميةُ وأجيالُها في غيرِ مهيعٍ[2]، وفي مفاوزَ مُعْطشةٍ مِن هذه الحالاتِ المستأسدةِ عليها، فهل هذه أزمةٌ أم أزماتٌ؟!

والجوابُ الصحيح: إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ لا تعاني إلا مِن أزمةٍ واحدةٍ لا ثانيَ لها هي أزمةُ الإيمانِ الحقيقيِّ الموصولِ باللّهِ ورسولهِ (ﷺ)، وقد بيَّنَ اللّهُ تعالى في كتابِه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ

(١) سورة لقمان الآية: ٣٣.
(٢) مهيع: طريق واسع بيِّن.

بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾[1] وبهذه الأزمةِ الحقيقيةِ انفعلت، وظهرتِ الأزماتُ.

أحبابَ رسولِ اللّه (ﷺ)

تأملوا معي ما يحدثُ في العالمِ الإسلامِ خذوا إن شئتم العراقَ أو تونسَ أو ليبيا أو أيَّ بلدٍ آخرَ ذهبتَ حكوماتُها بالقهرِ والقوةِ، فجاءت حكوماتٌ أخرى، فلم تتفككِ الأزماتُ ولم تنقشعِ المشكلاتُ بل ازدادت جذوةً مِنَ النار، فليستِ المسألةُ مسألةَ حكوماتٍ، فتبديلُ حاكمٍ بحاكمٍ، ووزيرٍ بوزيرٍ، لا يقدمُ ولا يؤخرُ إذا كانَ خروجُهم مِن منظومةٍ فاسدةٍ فنحن لسنا بحاجةٍ إلى تبديلِ الوجوهِ، نحن بحاجةٍ إلى تبديلِ النفوسِ والعقولِ.

ومن مَخَضَ الأيامَ يطلبُ زبدَها ... فزُبدتُها ألاَّ يعودَ إلى المخضِ

إنَّ القتالَ الذي أنهكَ ديارَ العالمِ الإسلاميِّ على مَرِّ سنواتٍ خلت، هو تنافسٌ في الأغراضِ فقط، لا تنافسَ بينَ الخيرِ والشر، وهو المعنى الذي أثبَتَهُ الوضعُ المهلهلُ[2] القائمُ في العالمِ الإسلاميِّ بعدَ انهيارِ صروحِ بعضِ الحكوماتِ قامت حكوماتٌ لم تفكرْ في القضاءِ على الأوضاعِ الفاسدةِ أو لتَخدِمَ الشعوبَ البائسةَ، وتُنفذَ قوانينَ اللّه، وتحاربَ الفسادَ، وتساويَ بينَ الناسِ، وتُقيمَ القِسطَ والعدلَ، وتأمرَ بالمعروفِ وتنهى عنِ المنكرِ، وتُقيمَ الصلاةَ، وتُوتيَ الزكاةَ، كما قالَ اللّهُ تعالى في الذكرِ الحكيم:

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[3].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٢) المهلهل: المضطربُ البالي.

(٣) سورة الحج الآية: ٤١.

أيُّها المسلمون

إنَّ التغييرَ المطلوبَ هو تغييرُ الإنسان وتَحَوِّلُ نفسه التي تعبدُ الدنيا إلى نفسٍ تعبدُ اللّٰهَ، وما لم تتغير هذه النفسُ الشّريرةُ الفاسدةُ المتعفنةُ فلا مطمعَ في صلاحِ العالمِ الإسلاميِّ وأجيالِه، فكلُّ شيءٍ في العالمِ خاضعٌ للإنسان، والإنسانُ خاضعٌ لنفسه وضميرِه وعقيدتِه، فإذا كانت هذه صالحةً، كانَ الإنسانُ صالحًا، وإذا صَلحَ الإنسانُ صَلَحَ العالمُ كلُّهُ، قالَ رسولُنا (ﷺ): " ألا إنَّ في الجسدِ مضغةً، إذا صَلَحت صَلَحَ الجسدُ كلُّه وإذا فسدَت فسدَ الجسدُ كلُّهُ ألا وهيَ القلبُ"، وهكذا الأمرُ، إذا كانَ وليُّ الأمرِ وربةُ البيتِ يعانيان من نقصِ الإيمان الحقيقيِّ، وتشوشِ اتصالِهما باللّٰه ورسولِه (ﷺ) فإنَّ الغالبَ في أفرادِ الأسرةِ أنَ يكونوا مصابينَ بنقصِ المناعةِ الإيمانيةِ وتفشي مرضِ البُعدِ عنِ الطاعات.

أصحابَ القلوبِ المؤمنةِ

إنَّ المسألةَ التي تعاني منها الأمةُ الإسلاميةُ وأسرتُها مسألةُ الإيمان الحقيقيِّ، وليس الإيمانُ القوليُّ، الذي يخالفُه العملُ، كما هو الشائعُ في العالمِ الإسلاميِّ، وما دمنا معرضين عن هذه الحقيقةِ نبقى نعاني مشكلةً بعدَ مشكلةٍ لأنَّ جوهرَ القضيةِ لم يتم حلُّه.

باركَ اللّٰهُ لي ولكم في الوحيين ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

★★★

الحمدُ للّٰه ملءَ السمواتِ، وملءَ الأرضِ، وملءَ ما بينَهما، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ، والصلاةُ والسلامُ على حبيبِنا محمدٍ وآلِه وأصحابِه والتابعينَ له بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ؛ وبعدُ:

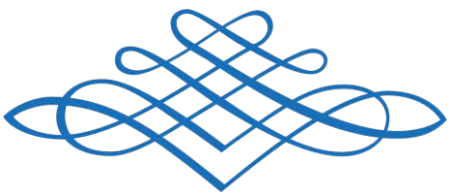
فاسمعوا لهذا الخبر: أعلنَ ملكٌ مِنَ الملوكِ أنَّه يريدُ حوضًا مملوءًا باللبن، وأنَّه سيدفعُ الثمنَ لكلِّ مَن يأتي باللبنِ، فقالَ أحدُ اللبَّانين: لو أفرَغَ لبانٌ واحدٌ كأسًا مِن ماء، فإنَّ هذا الماءَ لا يؤثرُ في اللبنِ الكثيرِ، فأفرغَ كأسًا بالماءِ بدلًا مِنَ اللبنِ، وفكَّرَ آخرُ نفسَ التفكيرِ، وهكذا سرتِ الفكرةُ بين الجميعِ، وجاءَ الملكُ في الصباحِ فوجدَ حوضًا مِنَ الماء.

هذه قصةٌ تعيشُ واقعَها أغلبُ الأجيالِ الحاضرةِ، فكلُّ فردٍ منا يقولُ: إذا فسدتُ، فماذا يضرُّ العالمَ الإسلاميَّ! وبهذا أصبحَ الفتيانُ والفتياتُ ينطلقون في ارتكابِ المحرماتِ، فحواسهُم وأعضاؤُهم منهمكةٌ في الحرامِ، ووقتُهم يجري في السرابِ عاطلون باطلون بينَ المآكلِ والمشاربِ والنوماتِ، وزادَ مِن تململِ الأمرِ سوءُ استخدامِ التقنيةِ الحديثةِ عندَ كثيرٍ مِنَ الأجيالِ الحاضرةِ، فبدلاً أن تكونَ لهم صارت عليهم.

الأزمةُ معنا أزمةُ إيمانِ النفوسِ، فأينَ الرجالُ الصادقون في إيمانهم؟ إنَّ كثيرًا من الأجيالِ يظنون أن الحكوماتِ مِفْتاحٌ للخيرِ إن شاءت أو للشرِّ؟ فمنَ هؤلاءِ الرجالُ الذين تريدونهم أن يَحلُّوا في هذه الحكوماتِ؟ وكيف هم؟ هذا هو سببُ الداءِ في العالمِ الإسلاميِّ فأنت ـ أيُّها الشابُ ـ لا تقل: لا تأثيرَ لي، بل هيأ نفسَكَ بالإيمانِ الصادقِ لتكونَ صانعًا للقرارِ مؤثرًا في المجتمعِ لا متأثرًا بالسفاسفِ، وهكذا أيتُها الشابةُ هيئي نفسَك لتكوني شجرةً طيبةً، مصونةً في المجتمعِ متغلبةً على جميعِ الإغراءات! وأنت أيُّها الفردُ الصالحُ، هيأ مَن تسطيعُ لمعركةِ المستقبلِ، فإذا كنتَ أو هيأتَ رجلًا واحدًا يحملُ الإيمانَ الراسخَ فلا يسعى لمصلحتهِ ولا لأسرتِه ولا لحزبِه؛ وإنَّما مؤمنٌ خالصٌ، غرضُه مصلحةُ أمتِهِ المسلمةِ لأحداثَ انقلابًا، ولكم في عمرَ بنِ عبدِالعزيز أسوةٌ حسنةٌ، فبعدَ ما كانَ العالمُ مِن شرقِهِ لغربِه، ومن شِمالِه لجنوبِه يدبُّ فيه الفسادُ، وينخرُهُ الانحلالُ جاءَ عمرُ حاملًا الإيمانَ الذي عَرفَ به ربَّه، ونسيَ نفسَه، فاستطاع أن يُرغمَ العالمَ الإسلاميَّ ليتجهَ إلى الإيمانِ الحقيقيِّ، فأشرقَ وجهُ الإسلامِ وعبَسَ وجهُ

الانحِلالِ، فهيئوا أنفسَكم إن لم تتمكنوا من تهيأتِ غيرِكم، فهذا أضعفُ إيمانِ الفردِ ، وذلك هو نداءُ الوقتِ وواجبُ الساعةِ وجهادُ اليومِ .

هذا وصلوا وسلموا على رسولِنا الكريمِ .



الخطبةُ التاسعةُ والثمانون

الإمامُ المحدثُ الربيعُ بنُ حبيبٍ الفراهيديُّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الواحدِ الأحدِ الذي لا شريكَ له في الألوهيةِ معه، الخالقِ الرَّازقِ الذي أبدعَ خلقَ الإنسان وأتقنه، الفاتقِ الراتقِ الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ صنعَه، الضارِ النافعِ إن شاءَ ضرَّ عبدَه وإن شاء نفعَه، أحمدُه على ما صرفَ مِنَ السوءِ ودفعَه، وأشكرُه شكرًا نزدادُ به مِنَ الخيرِ أجمعَه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تكفِّرُ كلَّ ذنبٍ وتبعِهِ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه صاحبُ المكانةِ المرتفعةِ اللهم فصل وسلم وبارك على هذا النبيِّ الكريمِ سيدِنا محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين ننالُ بها غرفَ الفردوسِ المرتفعةِ وسلم تسليمًا كثيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

قد آنَ أوانُ قيامِ الساعةِ، وحانَ حينُ التزودِ مِنَ الطاعةِ، واقتربَ الوعدُ الحقُ، فما هذا التفريطُ والإضاعةُ، أعميتَ أبصارُكم عن الصوابِ! فكم مِن عبرٍ سمعتموها كلَّ جُمُعةٍ، ولا رجوعَ إلى اللّٰهِ ولا متابَ، أما ترون أنَّ أماراتِ الساعةِ قد جاءت متواليةً وأشراطَ الحاقةِ أتت غيرَ خافيةٍ، أما ظهرَ الفسادُ في البرِّ والبحرِ وعمَّ، أما غلبَ الشقاءُ على أهلِه وطمَّ، أما ضيعتِ الصلاةُ وهي عمادُ الدينِ، أمَا شحَّ الأمرُ بالمعروفِ والنهيُّ عنِ المنكرِ، أما انتشرَ الزناءُ، أما تفشى الرباءُ، أما انحرفَ الفتيانُ والفتياتُ فاتقوا اللّٰهَ فإنَّ اللّٰهَ يحذرُكم نفسَه، واعتصموا بقيةَ أعمارِكم، ولا تغتروا بمهلةِ

الانتظار، واعتبروا بمَن مضى قبلَكم فإنَّه غايةُ الاعتبار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[2].

أيُّها الأحبةُ في اللّه

تمرُّ الأمةُ الإسلاميةُ منذ بعثتِها وإلى قيام الساعةِ بمواقفَ حاسمةٍ وساعاتٍ عصيبةٍ تتزلزلُ فيها الأمةُ وتموجُ سفينتُها الآمنةُ بمؤثراتٍ جانبيةٍ خطيرةٍ تمسُّ شرفَها ومكانتَها وأجيالَها، ولكنَّ اللّهَ تعالى جعلَ على رأسِ كلِّ قضيةٍ منها، وفي كلِّ أزمةٍ تنزلُ بها أو محنةٍ تهددُها رجلًا مِنَ العصاميين يبيعون أنفسَهم وأموالَهم في سبيلِ اللّه فيذهلون عن أنفسهم وأهلِهم ويهجرون أوطانَهم وراحتَهم، وكانَ مِن جملةِ أولئك الرجالِ فحلٌ مِنَ الفحول، وأسدٌ مِن أُسدِ الإسلامِ إنَّه البطلُ الباسلُ الإمامُ القانتُ طودُ المذهبِ الأشمِ، وبحرُ العلمِ الخضمِ وعلمُ العلومِ الذي إليه الملجأُ في مُعظماتِ الخطبِ الأصمِ، ومَن تشدُّ إليه حبالُ الرواحلِ وتزمُّ، ثالثُ أئمةِ العلمِ الإمامُ أبو عمروٍ الربيعُ بنُ حبيبِ بنِ عمروٍ الفراهيديُّ؛ صاحبُ المسندِ المعدودِ بأنَّه أقدمُ تأليفٍ في علمِ الحديثِ .

ولِدَ الإمامُ الربيعُ في بلدةِ لوى مِن ديارِ الباطنةِ بعُمانَ في النصفِ الثاني مِنَ القرنِ الأولِ الهجريِّ ما بين سنتي (٧٥-٨٠ هـ)، نشأَ في وطنِه الأمِّ عُمانَ، وبها أمضى طفولتَه ثم سافرَ إلى البصرةِ مِن أرضِ العراقِ التي كانت تغصُّ بالعلماءِ في ذلك الحينِ، وبها أخذَ علومَ التفسيرِ والحديثِ والفقهِ وبرعَ فيها حتى صارَ مِنَ العلماءِ المعدودين في البصرةِ، وبذلك استحقَ أن يخلفَ شيخَه الإمامَ أبا عبيدةَ مسلمَ بنَ أبي كريمةَ التميميَّ في رئاسةِ الدعوةِ في البصرةِ.

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ - ٧١.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٨ .

فقد وردَ عنه قولُه: (أخذتُ الفقهَ مِن ثلاثةٍ: أبي عبيدةَ مسلم، وأبي نوحٍ صالحٍ الدَّهان، وضُمام بنِ السائبِ) بالإضافةِ إلى كثيرٍ مِنَ السادةِ التابعين لعهدِ صحابةِ رسولِ اللّٰهِ (ﷺ) .

أيُّها المسلمون

إنَّ الآثارَ التي تركَها الإمامُ الربيعُ بنُ حبيبٍ ـ رحمَه اللّٰهُ تعالى ورضيَ عنه وأرضاه ـ تدلُّ على غزارةِ علمِه، ورسوخِ قدمِه، وطولِ باعِه، وكثرةِ اطلاعِه، وعلوِّ قدرِه، وعمقِ مأخذِه، وسموِّ مكانتِه في الفقهِ والحديثِ، وقد كانَ ـ رحمَه اللّٰهُ تعالى ـ بحرًا لا ساحلَ له فيهما حائزًا قصباتِ السبقِ في مضمارِهما، ومَن نظرَ في أقوالِه الموجودةِ في (المدونةِ) وغيرِها عرفَ ذلك حقَّ معرفتِه، وقد أطبقت كلمةُ أصحابِنا – رضوانُ اللّٰهِ عليهم – على أنَّه – رحمَه اللّٰهُ تعالى – مِنَ العلماءِ المشهورين والجهابذةِ المتبحرين.

ويكفي دليلًا على ذلك: أنَّ الإمامَ العادلَ والخليفةَ الراشدَ عبدَالوهابِ بنَ عبدِالرحمنِ الرستميَّ ـ رضوانُ اللّٰهِ عليهما ـ بالقطرِ المغربيِّ مع غزارةِ علمِه، وسعةِ اطلاعِه، وكثرةِ العلماءِ الموجودين بحضرتِه، وبُعدِ المسافةِ بينه وبين الإمامِ الربيعِ – رحمَه اللّٰهُ تعالى –، وصعوبةِ الاتصالِ في ذلك الوقتِ كانَ يبعثُ إليه بالأسئلةِ ثم يأخذُ بما يراه.

وقد حدَّث غيرُ واحدٍ مِن أصحابِنا أنَّ الإمامَ عبدَالوهابِ بنَ عبدِالرحمنِ ـ رحمَه اللّٰهُ ـ أرادَ المسيرَ إلى الحجِ، فأخذَ في أُهبةِ السفرِ ثم سارَ متوجهًا، فلمَّا وصلَ إلى جبالِ دَمر استعملَ عليها رجلًا مِن أهلِها يقالُ له: فزازٌ ثم توجَه إلى جبلِ نفوسةَ، فاجتمعت عليه جموعُ نفوسةَ، فأخبرهم بما عزمَ عليه من تيممِه الحج، فقالوا ـ يا أميرَ المؤمنين ـ: إن رأيت المقامَ فعلت، فإنَّا نخشى عليك مِنَ المسودةِ ـ لقب العباسيين ـ فإنَّهم إن علموا بمسيرِك عن بلادِك وتوجهِك إلى بلادِهم لم تسلم من آفةٍ تصيبُك منهم من قتلٍ، أو سجنٍ، أو نكالٍ، وقد تعيَّنَ عليك القيامُ بأمورِ المسلمين،

والنظرُ فيما يجمعُ كلمتَهم ويصلحُ شأنَهم فإقامتُك فيهم أأكدُ وأوجبُ، فقد علمت أنَّك لو غبت عنهم لضاعتِ الحقوقُ وتفرقتِ الكلمةُ.

فأرسلَ الإمامُ عبدُالوهابِ ـ رحمَه اللّهُ ـ إلى إخوانه بالمشرقِ، وكانَ المُقدمَ في ذلك العصرِ في العلمِ والورعِ والفضلِ الإمامُ الربيعُ بنُ حبيبٍ – رحمَه اللّهُ – وابنُ عبادٍ المصريُّ، فلمَّا وصلَهم الرسلُ وألقوا إليهم مِن القولِ ما دارَ بينَ الإمامِ عبدِالوهابِ وبينَ جماعةِ نفوسةَ، وأخبروهما أنَّ الإمامَ يستفتيهما مستضيئًا علمًا مِن نورِهما، مع ما وهبَ اللّهُ له مِنَ العلمِ ومعتبرًا أن فتيا غيرِه في نازلةٍ مختصةٍ به أولى، وأنهى النفسَ عن الهوى، فأجابَه الإمامُ الربيعُ بنُ حبيبٍ العُمانيُّ: بأنَّ مَن كانَ مثلَك في العنايةِ بأمورِ المسلمين، ومحلَ أمانتِهم، وخافَ على نفسه مِن أهلِ الجورِ والبغيِّ، فينبغي له أن يستأجرَ مَن يحجُّ عنه وهو حيٌّ، وأجابَ الشيخُ ابنُ عبادٍ بأنَّ مَن كانَ على هذه الصفةِ، فليس عليه حجٌّ لأنَّ أمانَ الطريقِ مِن الشروطِ التي هي مشترطةٌ في وجوبِ الحجِّ، فمكثَ الإمامُ ـ رحمَه اللّهُ ـ ينتظرُ رسلَه، فلمَّا قدمتِ الرسلُ بالجوابين أخذَ بجوابِ الإمامِ الربيعِ، وأرسلَ مَن يحجُّ عنه .

أيُّها الموحدون

ومع غزارةِ علمِ الإمامِ الربيعِ كانَ – أيضًا – ورعًا تقيًا عاملًا.

يروى أنَّ رجالًا من أهلِ البصرةِ قالوا: انظروا لنا رجلًا ورعًا قريبَ الإسنادِ حتى نكتبَ عنه فنظروا فلم يجدوا غيرَ الإمامِ الربيعِ بنِ حبيبٍ فطلبوا منه ذلك، وكانَ يروي لهم عن ضمامَ بنِ السائبِ عنِ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ عن ابنِ عباسٍ، فلمَّا خافَ أن يَشيعَ أمرُه أغلقَ بابَه على نفسه دونَهم إلا مَن أتاه مِن إخوانه من المسلمين. وعندما مرضَ شيخُه أبو عبيدةَ بعثَه مع وفدِ الحجِّ مكانَه، وقالَ: في الربيعِ كفايةٌ عمَّا سواه .

من أبرز ما تركه لنا الإمامُ الربيعُ بنُ حبيبٍ مسندُه الرفيعُ، وهو مِن أصحِ كتبِ الحديثِ سندًا لأنَّ معظمَ الأحاديثِ رواها الإمامُ الربيعُ عن شيخِه أبي عبيدةَ عن جابرِ بنِ زيدٍ عن أحدِ الصحابةِ.

وبعد حياةٍ إيمانيةٍ يصلُ الأجلُ المحتومُ، فتوفِّيَ الإمامُ الربيعُ ما بين سنة (١٧١و١٨٠ هجرية)، ودُفنَ في عمان، وقد صلَّى عليه تلميذه العالمُ موسى بنُ أبي جابرٍ الإزكويِّ. وبذلك يكونُ قد عاش أكثرَ من تسعين عامًا قضاها في التربيةِ ونشرِ العلمِ وقيادةِ الدعوةِ التي رسمَ منهجَها الإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ والإمامُ أبوعبيدةَ مسلمُ بنُ أبي كريمةَ التميميَّ ـ رحمَهم اللهُ جميعًا ـ .

أيها المسلمون

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

★★★

الحمدُ للهِ حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً مِن عنده وعلى آلِه وصَحبِه مِن بعدِه؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها الجيلُ

نحن بحاجةٍ لقراءةِ سيرةِ أعلامِنا فإنَّهم هم الأسوةُ بعدَ رسولِ اللهِ (ﷺ) وصحابتِه الميامين، إنَّ سيرةَ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ والإمامِ أبي عبيدةَ والإمامِ الربيعِ لا بُدَّ أن تكونَ حاضرةً في نفوسِ الناشئةِ، فإنَّ مَن لم يكن له أشياخٌ يقلدُهم ويترسمُ خطاهم تناهشته سهامُ المفسدين وربضَ في أتون المخربين الذين اتخذوا المفسدين قدوةً لهم .

وإنَّما المرءُ حديثٌ بعدَه ... فكن حديثًا حسنًا لمن وعا

وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين، وقائدِ الغرِّ المحجلين الميامين كما أمركم بذلك في محكمِ الذكرِ الحكيمِ .

---

(١) سورة هود الآية: ٩٠.

الخطبةُ التسعون

واقع الأمة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي كوَّرَ الليلَ ليكون سكنًا، وسلخَ النهارَ ليصيرَ معاشَنا، وجعلَ الأرواحَ في الأشباحِ وطنًا، سبحانه له الدوامُ ولنا الفنا، ولنا الفقرُ وله الغنى، وله الكمالُ والنقصُ عندنا، أحمدُه تعالى سرًا وعلنًا، وأستجيرُ به وأستعيذُه مِن مضلاتِ الفتنِ ما عنا وما نأى، وأشكرُه سبحانَه شكرَ من لم يقل نحن ولي وعندي وأنا .

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له إلهًا منزهًا فلا تدركُه أبصارُنا، ولا نقولُ باستقرارِه على العرشِ أنى لنا، توحيدًا متقنًا نقتنيه ليومِ الفاقةِ وإنَّه لنعمَ المقتنى، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه سيدُ الأصفياءِ الأمناءِ الذي جاهدَ في اللّه حقَّ جهادِه فما وهى عزمُه ولا انثنى حتى ملأ الإسلامُ فسيحَ الأرضِ وما بَعُدَ ودنا، ورجعَ الشركُ خاسئًا وَهِنًا، اللهم صل وسلم على النبي المصطفى شفيعِنا، وآلِه وصحبِه وأسلافِنا؛ أمَّا بعدُ:

فيا ابنَ آدم

أمَا أُخْبِرَت أنَّ رحيلَك عن الدنيا قد أَزِفَ وتَدانى، وأنَّ إقبالَك على الآخرةِ صارَ وشكانًا، فكأنَّ ما وُعدت به قد حلَّ بك وحانا، وإذا بدمعِك يجري على خديَّك عندَ الموتِ هتانًا، وشُعَلُ التلفِ قد أوقدَت مِن شُعَلِ الأسفِ نيرانًا، وأنت تبكي على تفريطِك، وقد أقرَحتَ أجفانًا، وتقولُ: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[1] فيقالُ لك: كلاَّ . قد ضيَّعت

(١) سورة المؤمنون الآيات: ٩٩ - ١٠٠.

أوقاتًا وأزمانًا، وأثرت الهوى وأطعت شيطانًا، وملأتِ العبرُ منك أَعينًا وآذانًا، ووُعظت بكلِّ واعظةٍ، وذُكِّرت بكلِّ ذاكرةٍ، فما عَقَلَ عقلُك ولا أصغى قلبُك ولا لانا، وفي كلِّ يومٍ تُعزى بأبٍ وابنٍ وأخٍ، وكم قد دفنت أقرانًا، ودعاك القرآنُ لساحتِه فما ارعويت ولا أحببت قرآنًا.

فماذا بكَ في كلِّ جُمُعة تضربُك سياطُ المواعظِ، وأنت في غيِّك نشوانًا. إيْ وربي لأنَّك محرومٌ وحبُّ الدنيا قد ملكَكَ، فصار الذنبُ على قلبِك قد رانا، فأصبحَ معاكسًا لله ورسوله(ﷺ)، وللمعاصي وثابًا، وعن الطاعات كسلانًا، وتاللهِ إن لم تتعظ لتخسرنَّ خسرانًا لا يشبهُه خسرانًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[2].

أحبتي في الله

هناكَ سؤالٌ خطيرٌ لا بُدَّ أن يحُدِّثَ كلُّ مسلمٍ غيورٍ به نفسَه، وبه يستحقُ شرفَ الانتماءِ للإسلامِ والمسلمين، فالحقُّ جلَّ وعلا يخاطبُنا في كتابه بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[3] ويقولُ لنا نبيُّنا الكريمُ (ﷺ): " مَن لم يحدث نفسَه بأمرِ المسلمين فليس منهم "، إنه سؤالٌ لا يتجاهله إلا مزيفُ الإسلامِ أو منافقٌ أو خارجٌ عن سِياجِ الأمةِ الإسلاميةِ التي قالَ اللهُ فيها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[4] ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .
(٢) سورة الأنفال الآية: ١ .
(٣) سورة الحجرات الآية: ١٠ .
(٤) سورة الأنبياء الآية: ٩٢ .
(٥) سورة المؤمنون الآية: ٥٢ .

لا بُدَّ أن نطرحَ هذا السؤالَ مع أنفسنا، ومع شبابِنا، ومع بناتِنا ليشعرَ كلُّ واحدٍ منهم على جهةِ الاختصاصِ بشرفِ الانتماءِ إلى أمةِ محمدٍ (ﷺ)، وما لهم وما عليهم اتجاه أمتِهم الخيرةِ .

أهلَ الإيمان

ما هو السؤالُ؟ هلِ الأمةُ الإسلاميةُ تمرُّ بمرحلةٍ طبيعيةٍ مِن حَلقاتِ تاريخِها؟

بلا شكٍ الناظرُ لحالِ الأمةِ الإسلاميةِ في وقتِنا هذا يَنْقَدِحُ في ذهنه على حسبِ المُعْطَيَاتِ التي بين يديه، أنها لا تزالُ تدخلُ في غَمْرَةِ بحرٍ لجيٍّ يغشاه موجٌ مِن فوقِه موجٌ من فوقِه سحابٌ، ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، وأعظمُ الظلماتِ التي تغشى أمتَنا الإسلاميةَ في وقتِنا هذا هي ظلمةُ الصراعِ الدَّمويِّ البغيضِ، صراعٌ تُوقدُ جذوتَه جبهاتٌ مشتعلةٌ ما بينَ أنظمةٍ متشبثةٍ إلى رمقِها الأخيرِ بالحكمِ، وبين تنظيماتٍ ترفعُ رايةَ الإسلامِ، وأحزابٍ تُصارعُ للهيمنةِ وفرضِ إرادتِها، ولا نستطيعُ الحكمَ الباطنَ على أيٍّ منها، إذ تدعي هذه الجبهاتُ كلُّها الحقَ، وترفعُ على الرِّماحِ مصاحفًا إلا أن ما يعتقدُه كلُّ مسلمٍ غيورٍ على أمتِه الإسلاميةِ أنَّ هذه الحالةَ الطارئةَ شرٌّ مستطيرٌ نافذٌ إلى الأمةِ الإسلاميةِ من كلِّ جانبٍ مِن جوانبِها، وسهامٌ مسمومةٌ تُسددُ متواليةً إلى قلوبِ الأممِ الإسلاميةِ التي صارت أشتاتًا، وتمزقت شرَّ ممزقٍ وشذرَ مذرَ وشغرَ بغرَ[1]؛ وما يجعلُ الحليمَ حيرانَ أنَّ هذا الصراعَ البشعَ بين المسلمين أنفسهم بغضِ النظرِ عن بُلدانهم، وانتمائتِهم الطائفيةِ والمذهبيةِ، والتزامِهم بالحق، وإنما هم يرفعون رايةَ التوحيدِ " لا إله إلا اللّه محمدٌ رسولُ اللّهِ (ﷺ)"، فالحربُ القائمةُ هي بالدرجةِ الأولى بين إخوةِ العقيدةِ!!

كفى حَزَنًا للدينِ أنَّ حماتَه ... إذا خذلوه قل لنا كيفَ يُنصرُ

(١) شذر مذر وشغر بغر: أي تفرقوا في كلِّ وجهٍ .

أيُّها الموحدون البررة

إنَّ الغوغائيةَ التي تُحدثُ بين المسلمين لها سببٌ واحدٌ لا ثانيَ له، وهو حبُّ السيطرةِ والهيمنةِ - مهما اختلفت أنواعُ هذه السيطرةِ والهيمنةِ - ولكن هل تساءلت هذه الأطرافُ المتناحرةُ والتنظيماتُ المسلحةُ، ماذا تجني على أمةِ الإسلامِ التي تدعي أنها منها؟

إنها جنت بترَ حبلِ اللهِ وتقطيعَه إربًا إربًا مخالفةً بذلك أمرَ ربِّها تباركَ وتعالى، ضاربةً بمراشدِه الرفيعةِ عرضَ الحائطِ، فهو القائلُ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1] إنها جنت عصيانَ اللهِ تعالى الذي حذَّرها من هذه الخلخلة، فقالَ في محكمِ الذكرِ الحكيمِ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2].

إنها جنت عصيانَ رسولِه (ﷺ) القائل: " إذا التقى المسلمان بسيفِهما فالقاتلُ والمقتولُ في النارِ"، إنها جنت الفظاعاتِ التي لا يُحيطُ بها وصفٌ من ذبحِ الناسِ، وقتلِهم بدمٍ باردٍ، وإخراجِهم من بيوتِهم قسرًا، والحقُ يقولُ: ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[3].

إنها جنت تفككَ الأمةِ الإسلامية، وتمكينَ العدوِ الصهيون مِن الأرضِ المباركةِ، والسماحَ لدولِ الغربِ ومَن معها بالتدخلِ السافرِ لتدميرِ ما بقيَ

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٥ .
(٣) سورة المائدة الآية: ٣٢ .

من مقدراتِ الأمةِ الإسلاميةِ؟ وذلك مصيرُ التنازعِ الذي صيرورتُه - بلا جدالٍ - إلى الفشلِ الذريع ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[1].

إن هذه التنظيماتِ والأحزابَ أدخلت سوريا والعراقَ وليبيا واليمنَ وغيرَها من دولِ الإسلامِ في عهدِ الظلماتِ مِنَ انهيارِ البُنيةِ التحتيةِ والفوقيةِ، وإرهابِ الأمنينَ، والاغتيالاتِ، والتفجيرات الوحشيةِ - التي لا تفرِّقُ بينَ العسكريِّ والمدنيِّ والصغيرِ والكبيرِ - ؛ والنهبِ لثرواتِ الشعوبِ المسلمةِ ومقدراتِها، وانتهاكِ الأعراضِ، وتشريدِ خلقِ اللّه، فكم مِن نفوسٍ أُزهقت، وكم مِن نساءٍ رُمِّلت، وكم من أطفالٍ يُتِّموا، وكم من أعراضٍ انتُهكت، وكم وكم، ورسولُنا(ﷺ) يخاطبُنا بقولِه الجليل: " كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ دمُه ومالُه وعرضُه ".

إخوةَ العقيدةِ

ومع كلِّ هذا السيلِ الجارفِ مِنَ الخطوبِ والمحنِ والرزايا مِنَ المسلمين أنفسِهم أو من غيرِهم، فلنا توجيهان:

التوجيهُ الأولُ: على كلِّ مسلمٍ له يدٌ في القتالِ الدائرِ ولو ببريةِ قلمٍ - ولو بمَدَّةِ قلمٍ - أن يعودَ إلى صوابِه، وأن يفهمَ الإسلامَ كما أرادَ اللّهُ ورسولُه(ﷺ) لا كما يريدُه هو، وإذا كان يعجزُ عن فهمِ الإسلامِ بحقيقتِه، فليحذرِ اللّهَ تعالى في إساءتِه لدينِه الذي جاءَ رحمةً للعالمين، وسلامًا لخلقِ اللّهِ أجمعين، على الإخوةِ المتناحرين أن يَتَخلوا عن الحزبيةِ الضيقةِ، والمصالحِ الشخصيةِ النَّتنةِ، وليتركوا المسلمين يَهْنَوا بالعيشِ، والحياةِ المطمئنةِ، ويكفيكم - أيُّها المتقاتلون - استهتارًا بأرواحِ الأبرياءِ مِنَ النساءِ والأطفالِ والشيوخِ، وحسبُكم لعبًا ولهوًا وتسترًا لفظائعِكم بدينِ الإسلامِ الذي جاءَ لتحقيقِ سعادةِ الإنسانيةِ، فما ضيَّع الإسلامَ وما وُصِفَ بالإرهابِ إلا بأفكاركِم المارقةِ الباليةِ، وأُفقِكم الضيقِ، فقد جعلتُم الإسلامَ

(١) سورة الأنفال الآية: ٤٦ .

وحشًا كاسرًا متعطشًا للقتلِ، والحرقِ، والشنقِ، والترويعِ، وحسابُكم على اللهِ تعالى، شوهتم دينَه، وفعلتم ما أَهنتم به الإسلامَ ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[1].

أمَّا التوجيهُ الثاني: فعلى المسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها أن ينظروا إلى حالِ الأمةِ الإسلاميةِ، وما تمرُّ به بميزانِ التفاؤلِ والأملِ؛ وقد مرَّتِ الأمةُ الإسلاميةُ بمصائبَ ورزايا أشدُّ نُكرًا و فتكًا، وأعظمُ خطرًا مما يُحدثُ الآن، فأثبتتِ الأمةُ الإسلاميةُ قدرتَها على مقاومةِ التحدياتِ، فهي أمةٌ (ما يُقَعْقَعُ لها بِالشِّنَان)[2]، وما تأثرُها إلا كتأثرِ النائمِ بِشَجْوِ الأَرِق، واللهُ معلنٌ دينَه، وصدقَ اللهُ وهو أصدقُ القائلين: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

يا أمتي إن طالَ ليلُك عابثًا فترقبي ... بسماتِ فجرٍ في الظلامِ جديدِ
ما نامَ جَفْنُ الحقِ عنك وإنَّما ... هي هدأةُ الرِّئبالِ قبل نَفَارِه

أيُّها الموحدون البررةُ

إن ربكم يقولُ لكم في تنزيلِه: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾[4].

★★★

(١) سورة الشعراء الآية: ٢٢٧ .
(٢) مثلٌ يُضربُ للشرسِ الصعبِ الذي لا يخافُ تهديدًا .
(٣) سورة التوبة الآية: ٣٢ .
(٤) سورة هود الآية: ٣ .

الحمدُ للّه الذي جعلنا مِن خيرِ أُمةٍ أُخرجت للناس، ومنَّ علينا بلباسِ الإيمان خيرِ لباس، أحمدُه تعالى وأشكرُه على ما هدانا للإسلام، وجعلنا مِن أمةِ سيدِ الأنام، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ، ونشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللّه بدرُ التمامِ ومسكُ الختامِ، وعلى آله والتابعين لهم بإحسانٍ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المسلمون

إنَّكم تعيشون في بلدٍ آمنٍ، فحافظوا على أمنكم بطاعةِ اللّه تعالى ورسولِه (ﷺ) وتربيةِ الأجيالِ تربيةً اسلامية؛ فإنَّ ذلك سببٌ لبقاءِ الأمنِ، وحذروا النَّزَعاتِ الجاهليةَ، والعصبياتِ الطائفيةَ، وإثارةَ القلاقلِ فليس ببعيدٍ عنكم ما ترونه مِنَ البوارِ والدمارِ في كثيرٍ من بلادِ الإسلام، وحذروا زرعَ بذورِ الفتنةِ الخبيثةِ في وسائلِ الاتصالِ الحديثِ بأشكالِها كافةً، وجعلوها مُؤلِفًا للقلوب، وحذروا الأفكارَ التكفيريةَ ورفعَ السلاحِ لأيِّ موحدٍ؛ فقد جاءكم رسولُ اللّه(ﷺ) بها سمحاءَ بيضاءَ نقيةً، لا فضاضةَ ولا غلظةَ فيها، ولتكونوا يدًا واحدةً للقيامِ بواجباتِ الوطنِ تعميرًا وبناءً وتنميةً؛ فهذا هو الهدفُ الثاني مِن وجودِكم في هذه البسيطةِ بعدَ عبادةِ اللّه تعالى والامتثالِ لأمرِه، فلا فسادَ، ولا قتلَ، ولا دمارَ، ولا حرقَ، ولا تخريبَ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2].

ألا وصلوا وسلموا على صاحبِ الشفاعةِ والحوضِ، كما أمركم بذلكَ ربُّكم جلَّ وعلا، فقالَ في محكمِ التنزيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٥٦ .
(٢) سورة الأعراف الآية: ٨٥ .
(٣) سورة الأحزاب الآية: ٥٦ .

الخطبةُ الحاديةُ والتسعون

استغلالُ الوقتِ عندَ الصحابةِ (رضوانُ اللهِ عليهم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه ذي العزةِ والجلالِ، شارعِ الحرامِ والحلالِ، منشيءِ السحابِ الثقالِ، عالمِ الغيبِ والشهادةِ الكبيرِ المتعالِ، له الحمدُ ما تُليت الأنفالُ، وقسَّمَ ميكالُ، ورَسَتَ الجبالُ، وهبتِ الشِّمالُ، وتعاقبتِ أيامٌ وليالٍ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نعتصمُ بها مِنَ الضلالِ، ونُرغمُ بها مَبارِكَ الضُّلالِ، ندخرُها ليومٍ لا ينفعُ فيه بيعٌ ولا خلالٌ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه اختصَّه اللّهُ بجليلِ الخصالِ، وجميلِ الخلالِ (ﷺ) وعلى آلِه وأصحابِه الأماجدِ الأقيالِ الذين اقتحموا في سبيلِ الإسلامِ الأهوالَ، وبذلوا الأوقاتَ والأموالَ؛ أمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّه

زُمُّوا النفوسَ عن المعاصي قبل أن توردَها رداها، وألجموها بلجامِ التقوى عن تعديها وطغوها، وجاهدوها على الأعمالِ الصالحةِ لتفوزوا بسلامتِها وإنجاها، فليس لها ـ واللّه ـ من دنياها إلا ما قدمت يداها، ولو كان لها يومَ القيامةِ مِلءُ الأرضِ ذهبًا ما نفعَها ولا أجداها، وتاللّه لَتُبعثُنَّ ليومٍ يجمعُ اللّهُ فيه أُولَى الأممِ وأخراها، ولتَعُودُنَّ كما بدأكم أوَّل مرةٍ فَتُحاسَبُنَّ بأكبرِ الأعمالِ وأدناها، ثم لتُصيَّرُنَّ إلى دارِ نعيمٍ تُنسي أحزانَ الدنيا وعناها، أو إلى دارِ جحيمٍ تُذهلُ عن نعيمِ الدنيا وحُلاها ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[1] ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾[2].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨١.

(٢) سورة يوسف الآية: ٩٠.

إخوةَ الإيمان

المتأملُ بعينِ الناقدِ البصيرِ الفاحصِ الخبيرِ لأحوالِ الناسِ مِنَ البنينَ والبناتِ والصغارِ والكبارِ، يظهرُ ماثلاً بين عينيه داءٌ عضالٌ ومرضٌ خطيرٌ، ينخرُ الأعمارَ نخرًا، ويهدمُ نفيسَ الأوقاتِ هدمًا، إنه مرضُ البَطالةِ شللُ الزمان وسرطانُ المكان؛ بل هو موتُ الزمان والمكان، إنَّه داءٌ تجسَّم بين ناظرين، فاحتلَ ساحاتِ البلادِ والعبادِ، ترى الدَّاءَ في شبابنا متجسمًا في مقاهٍ إلى أنصافِ الليالي لمتابعةِ الكرةِ أو العبثِ الهزليِّ بالهاتفِ المحمولِ أو بينَ المجمعاتِ التجاريةِ أو يغامزُ هذه ويعاكسُ تلكَ بل تجدُ سهراتٍ غريبةً في بطون الأوديةِ، وعلى الطرقاتِ بينما تجدُ بعضَ الفتياتِ على مسلسلٍ أو على هاتفِها المحمولِ تجري اتصالًا وعلاقةً مبكرةً، وتجدُها إذا جاءَ الصباحُ انتظرتِ المساءَ، وإذا جاءَ المساءُ انتظرتِ الصباحَ، فحالُنا وقالُنا قريبٌ مِن قولِ الشاعرِ:

إنَّما العيشُ سماعٌ ... ومَدامٌ ونَدامُ
فإذا فاتَكَ هذا ... فعلى الدنيا السلامُ

أحبتي في اللهِ ويا شبابَ الإسلامِ

الوقتُ جوهرةٌ ثَمِيْنَةٌ، ومن جوانبِ النِّعْمَةِ المَغْبُون فيها كثيرٌ من النَاسِ، الوقتُ بل الحياةُ؛ فالوقتُ هو الحَياةُ . والمسلمُ يستشعرُ قيمةَ الزمنِ، وأهميةَ الوقتِ مِن آيِ القرآن الحكيم، فاللهُ قد أَقسمَ في كتابِهِ أكثرَ مِنْ مَرَّةٍ بِالوَقْتِ، وله أنْ يُقسِمَ بِمَا شاءَ لكنَّهُ لا يَقسمُ إلا بعَظيمٍ يَستَحِقُ القَسَمَ، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ ﴾[1]، وقالَ سبحانه: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ ﴾[2].

---

(١) سورة الفجر الآيات: ١ - ٥.

(٢) سورة الليل الآيات: ١ - ٤.

وهلِ الليلُ والنـهارُ إلا مَراكـبُ يَختلـفُ النـاسُ في سُبُلِ الانتفـاعِ بهمـا؛ فمغبوطٌ يستثمرُها في طاعةِ اللّه، ومَغبونٌ مُضيعٌ لساعاتِ الليـلِ والنـهارِ، مُفرِطٌ على نفسه، يَحملُ الأوزارَ التي تُثقِّلُ كاهلَه يـومَ العـرضِ علـى اللّه، وصَدَقَ اللّهُ: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾.

ويُقسمُ اللّهُ مرةً ثالثـةً بالـدهرِ فيقـولُ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[1] والعصرُ هو الزمانُ الذي تَقعُ فيه حَركـاتُ بـني آدمَ مِـنَ خـيرٍ وشـرٍ، واللّهُ تعالى يُقسمُ أنَّ بَنِيْ الإنسانِ كُلَّهُم في خِسَارَةٍ، وهَلاكٍ إلا مِنْ اسْتَثْمَرَ وقتَهُ، واستنفدَ عُمُرَه في عملِ الصَّالِحَاتِ.

إخوةَ الإسلامِ

يَهدي المصطفى (ﷺ) بسنتيه القوليةِ، والفعليةِ إلى استثمارِ الوقـتِ بِمَـا يَنْفَعُ، ويَحذِّرُ من إضاعةِ الأوقاتِ سُدى فيقولُ: " نِعْمَتَان مَغْبُونٌ فيهما كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ: الصحةُ والفراغُ ".

وتأملْ قولَهُ: (ﷺ) " كَثِيرٌ مِنَ النَّـاسِ"! والمعـنى أنَّ الـذي يُوفِـقُ لاسـتثمارِ هاتين النِّعْمَتَين بما يَنفعُ قَلِيلٌ . ولقد كانَ استثمارُ الوقـتِ أحـدَ نصـائحِه، وضمنَ مواعظِه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصـحابِه يقـولُ ـ وهـو الناصـحُ الأمينُ ـ لرجـلٍ وهـو يعظُـه: " اغتَـنِمْ خمسًـا قبـلَ خَمْـسٍ: شـبابَك قبـلَ هرمِك، وصحتَك قبلَ سقمِك، وغناكَ قبـلَ فَقْـرِك، وفِراغَـك قبـلَ شُـغلِك، وحياتَك قبلَ موتِك ".

أيُّها المسلمون

يكفيكم أنْ تَطلعـوا علـى نمـاذجَ مـن سـيرِ أصـحابِه؛ لتـروا كيـف كـانوا يعملون، وكيف كـانوا لأوقـاتِهم مُسـتثمرين، وفي ذلـك إجابـةٌ لمـنْ لا زالـوا

(١) سورة العصر كاملة.

حائرين في استثمارِ الأوقاتِ، متطلعين إلى نماذجَ راشدةٍ في مِلءِ الفراغِ، وبماذا تُقضى الأوقاتُ؟

وإذا كانتِ العبادةُ الحقةُ للهِ ربِّ العالمين هدفَ الوجودِ في هذه الحياةِ امتثالًا لقولهِ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1].

فقد ضربَ الصحابةُ ـ رضوان الله عليهم ـ أروعَ الأمثلةِ في استثمارِ الوقتِ فيها فالصلاةُ ـ مثلاً ـ لا يُشغلُهم عنها شاغلٌ، ولا يصرفُهم عنها صارفٌ، حتى ولو كانوا في ساحاتِ الوَغى، ولا تسألْ عن حُسْنِ صَلاتِهِمْ، وطولِ قراءتِهم، وقيامِهم، وركوعِهم، وسجودِهم، وخشوعِهم، حتى أُطلِقَ على بعضِهِمْ السّجادُ (محمدُ بنُ طلحةَ) لعبادتِه.

وبلغَ الحرصُ بهم في المحافظةِ عليها مع جماعةِ المسلمين، إذا أحدُهم فاتته العِشاءُ في الجماعةِ أحيا بقيةَ ليلتِه كما ثبت عن ابن عمروٍ -رضي الله عنه ـ.

وفي الصيامِ لهم أخبارٌ، وأحوالٌ تراها النفوسُ الضعيفةُ ضربًا من الخيالِ، ففي ترجمةِ أبي طلحة الأنصاريّ ـ رضيَ اللّهُ عنه ـ: " أنَّه كانَ يسردُ الصومَ، وأنَّه كان لا يُفطِرُ إلا في سفرٍ أو مرضٍ".

عُدةُ الإسلامِ

مما يَستثمرُ الصحابةُ ـ رضوان الله عليهم ـ به أوقاتَهم تلاوةُ كتابِ اللّه، تعلماً وتعليمًا وعملًا، فهذا ابنُ مسعودٍ يحدثُنا بقولِه: " كان الرجلُ منا إذا تَعلَّم عشرَ آياتٍ لم يجاوزهن حتى يَعرفَ معانيَهن، والعملَ بهن ". وكانوا يعقدون لتعليمِ القرآن الحلقَ، وتمتلئُ المساجدُ بالمتعلمين ولا تكادُ تخلو مِنَ القائمين به في ساعاتِ الليلِ والنهارِ، وأَنعِمْ بكتابِ اللّه رفيقًا، وأَكْرِمْ ببيوتِ اللّهِ مَوئِلًا . فأين حالُنا من حالِهم.

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٥٦ .

وكان القومُ جادين في حياتِهم، مستثمرين لأوقاتِهم كذلك في بيوتِهم؛ فهذا نافعٌ يُسألُ: ما كان يصنعُ ابنُ عمرَ في منزلِه؟ قال: لا تطيقونَه: الوضوءُ لكلِّ صلاةٍ، والمُصحَفُ فيما بينهما .

باركَ اللّٰهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ وأستغفرُ اللّٰهَ لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ ودعوه يستجب لكم، إنَّه هو البرُ الكريمُ .

***

الحمدُ للّٰهِ ربِّ العَالَمِيْنَ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللّٰهُ ربُّ العالمين، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى سائرِ المرسلين؛ أمَّا بعدُ:

فهذه معاشرَ الأحبةِ، إطلالةٌ يسيرةٌ على جوانبَ مِنَ استثمارِ الوقتِ، عندَ السلفِ الصالح، وهي ـ كما ترون ـ صلاةٌ، وصيامٌ، وتلاوةٌ واعيةٌ للقرآن، علمٌ، وتعليمٌ، وعمارةٌ للمساجدِ بذكرِ اللّٰه، دعوةٌ للخيرِ وجهادٌ في سبيلِ اللّٰهِ بالمالِ والنفسِ واللسان، ومرابطةٌ في ثُغورِ المسلمين دفاعًا عن حياضِ الإسلامِ، وحُرُماتِ المسلمين، وتلمسٌ واعٍ لحاجاتِ المسلمين، والتقفي لأحوالِ المحتاجين؛ فأين الشعورُ بالفراغِ لمن يَستثمرُ وقتَهُ في هذه الأعمالِ الجليلة، أو مثلِها، وأيُّ مكانٍ في مجتمعِ المسلمين لمن يُهلكون أوقاتَهم في أماكنِ الخنا والزنا، والمواقعِ الإباحيةِ ويبذرون أوقاتَهم كلَّها في متابعةِ الكرةِ في المقاهي وفي البيوتِ، ويتسكعون في الطرقاتِ بلا هدفٍ!! وأين مَن يُنتظرن لنصرةِ هذا الدينِ، وهن لأوقاتِهن مُضيعاتٌ، ولأهوائِهن وشهواتِهن مستسلماتٌ.

أيُّها الجيلُ

إنَّ الأمةَ مُحتاجةٌ لكلِ طاقةٍ، وإنَّ الدعوةَ لا تَستغني عن أيِّ وسيلةٍ مُباحةٍ؛ فَلْيَسُدَّ كُلُّ واحدٍ مِنَ المسلمين الثَّغرةَ التي يُحسِنُها؛ لنتقِ اللّٰهَ في أوقاتِنا ولنقدم خيرًا لأنفسِنا ولنتعظ بمرورِ الدهرِ وتقلبِ الأيامِ التي تقربُنا إلى دارِ الحيوان:

مَن لم يعظْهُ الدهرُ لم ينفعْه ما ... راحَ به الواعظُ يومًا أو غدا
مَن لم تفدْه عبرًا أيامُه ... كانَ العمى أولى به مِنَ الهدى

وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين كما أمرَكم بذلك في محكمِ كتابِه .

الخطبة الثانية والتسعون

أوقافٌ منسيةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ فاطرِ السبعِ الطباقِ، مقسمِ الأموالِ والأرزاقِ، الهادي لأحسنِ الأخلاقِ، مالكِ يومِ التلاقِ، سبحانه هو العلي الرَّزاق الذي لا تنفدُ خزائنُه بكثرةِ الإنفاقِ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[1] نحمدُه على آلٍ تملأُ الأفاقَ، ونعمٍ تطوقُ القلوبَ والأعناقَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً ندخرُها للحظةِ الفراقِ والتفافِ الساقِ بالساقِ وإلى اللهِ المساقِ؛ وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه سيدُ ولدِ آدمَ على الاطلاقِ خيرُ مَن رَكِبَ البراقَ، وتممَ مكارمَ الأخلاقِ (ﷺ) وعلى آلِه وأصحابِه صلاةً وسلامًا متلازمين إلى يومِ التلاقِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

ـ أجارَنا اللهُ وإياكم والمسلمين مِنَ البأسِ والنقمِ ـ قَرُبَ الرَّحيلُ وأنتم عنِ الطاعةِ غافلون، وانقضتِ الآجالُ وأنتم على المعاصي عاكفون، وترادفتِ الأهوالُ وأنتم في طغيانكم تعمهون، فهل أنتم على ثقةٍ مِنَ الحياةِ والقرارِ أم بينكم وبينَ اللهِ عهدٌ على البقاءِ في هذه الدارِ. كلا ـ واللهِ ـ إنكم منها راحلون، ولنعيمِها مفارقون، أمَا تعتبرون بمَن مضى مِنَ الأمواتِ، أمَا تخافون مِنَ العرضِ على ربِّ السمواتِ، أمَا ترون أهوالَ القيامةِ قد تواردت، أمَا ترون النفوسَ بأموالِها قد شحَّت، أمَا ترون الفواحشَ وقد أصبحت ظاهرةً، أمَا ترون الهممَ عن الخيراتِ قاصرةً، أمَا ترون الفتنَ غلبت وطمَّت، أمَا ترون الأمانةَ قد ذهبت وضاعت، أمَا ترون الخيانةَ قد كَثُرَت وشاعت، فكأني بكم وقد طرقَكم طارقُ المنون، وأخذكُم

(١) سورة النحل الآية: ٩٦.

بغتةً وأنتم لا تشعرون، فتنبهوا - رحِمَكم اللهُ - قبلَ هجومِ الموتِ، وتزودوا لآخرتِكم قبلَ الفوتِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1] ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾[2].

أحبتي في الله

إن التالي لآياتِ الذكرِ الحكيمِ والمستقيَ مِن سنةِ أبي القاسمِ - عليه أفضلُ الصلاةِ وأزكي التسليم - يجدُ النصوصَ مستفيضةً في الحديثِ عن رُجعى المالِ للهِ تعالى وأنه زينةٌ وفتنةٌ، كما يحثُ الحقُ على بذلِه وإنفاقِهِ في وجوهِ الخيرِ المختلفةِ، فهو يقولُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾[3]، ويقولُ سبحانَه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾[4] وفي الحديثِ الشريفِ عنِ المعصومِ (ﷺ): " ما مِن يومٍ تطلعُ فيه الشمسُ إلا ويصحبُها مَلَكان يناديان: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، وأعطِ ممسكًا تلفًا " .

وقد سارعَ الرعيلُ الأولُ مِنَ الكرامِ البررةِ صحابةِ الرسولِ الكريمِ (ﷺ) في امتثالِ ما ترمي إليه النصوصُ القرآنيةُ والنبويةُ، فأنفقوا أموالَهم رخيصةً في سبيلِ اللهِ تعالى، وحبسوا ما خوَّلهم اللهُ تعالى، لم يكن جمعُ الأموالِ والدورِ والأراضي غايتَهم في هذه الحياةِ المضمحلةِ الفانيةِ، بل المتابعُ لسيرِهم وأخبارِهم يجدُ العجبَ العُجابَ مِنَ التضحياتِ الماليةِ

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .
(٢) سورة الأنعام الآية: ٣٢ .
(٣) سورة التوبة الآية: ٣٤ .
(٤) سورة الحديد الآية: ٧ .

والصدقاتِ الخيريةِ في وجوهِ البرِّ المتعددةِ، قد جعلوا من أنفسِهم أنموذجًا يُقتدى به في البذلِ والإنفاقِ .

فهذا أبو بكرٍ ينفقُ جميعَ مالِه كافةً في معركةِ تبوك، وينفقُ عمرُ بنُ الخطابِ نصفَ مالِه بينما، يجهزُ عثمانُ بنُ عفانَ للمسلمين ألفَ بعيرٍ بما تحتاجُه، ويشتري رَكِيَّةً بالمدينةِ تسمى رُومَة، فتصدقَ بها على المسلمين، ويبذلُ عبدُالرحمنِ بنُ عوفٍ أربعةَ آلافِ درهمٍ، أو ما شاء اللّه. وأزيدُكم أنَّ معظمَ أصحابِ النبيِّ (ﷺ) كانوا فقراءَ، ومن لم يكن فقيرًا فقد بذلَ مالَه يشري نفسَه ابتغاءَ مرضاتِ اللّهِ تعالى .

أيها المؤمنون

وبعدَ عهودِ الإسلامِ الزاهرة، طفحت بين ظهراني المسلمين الحياةُ المادية، فجمعَ الإنسانُ وكنزَ وخزنَ للدنيا، وشحَّ وبَخِلَ واستغنى للدارِ الآخرةِ حتى ظهرَ مِنَ المسلمين أناسٌ وأغنياءُ وأثرياءُ لديهم خزائنُ قارونَ، قد نتَّنت أموالُهم في البنوكِ، وخَاست في البيوتِ، يجمعون ويكنزون حتى يفارقوا هذه الدنيا، وما يعرفونَ إلا الشحَ والبخلَ وليتهم عَقَلوا قولَ الشاعرِ اللبيبِ:

أموالُنا لذوي الميراثِ نجمعُها ودورُنا لخرابِ الدهرِ نبنيها

بينما غابَ أُفقُ الواقعِ الفكريِّ عن المهتمين، ومَن عليهم المعوَّلُ، فكانت نظرتُهم سطحيةً آحاديةً، وتفكيرُهم هامشيًا يخافون المحظورَ، وهم في مستنقعِ المحظورِ ـ واللّهُ المستعانُ ـ مِن أجلِ ذلك اغتنت بعضُ بيوتِ اللّه تعالى بالأموالِ، وكُنزت بلا نفعٍ ولا تصريفٍ، وأصبحتِ الزكواتُ تصرفُ على صِنفٍ أو صِنفين مِنَ الأصنافِ الثمانيةِ، وأضحتِ الصدقاتُ تدمجُ في الزكواتِ أو تصرفُ بلا حكمةٍ ولا رويةٍ، وهكذا ظهرت خلخلةٌ عارمةٌ، وشطحاتٌ قاتمةٌ في بابِ تصريفِ الأموالِ الإسلاميةِ بزكواتِها وصدقاتِها وتبرعاتِها؛ وأوقافِها فانبترَ حبلُ التكافلِ الاجتماعيِّ، وتضخَّمَ الفقرُ،

وتضعضعت حركةُ التأليفِ وحِلقُ التعليمِ؛ فكان ذلك سببًا لنهيارِ صروحِ الجانبِ العلميِّ والأخلاقيِّ والاجتماعيِّ .

إنَّ الأموالَ الإسلاميةَ بمصادرِها كافةً بحاجةٍ إلى عقولٍ منفتحةٍ، ونفوسٍ تعرفُ السياسةَ والدرايةَ لتحقيقِ المصالحِ التي يرمي لها الإسلامُ، وهناك مشاريعُ إسلاميةٌ منسيةٌ خطيرةٌ ومهمةٌ بحاجةٍ إلى هذه الأموالِ التي ـ مع الأسفِ الشديد ـ لم تنل حظًّا منها، ومن ذلك:

أولًا: دعمُ الكتابِ الإسلاميِّ الذي يعاني مِنَ الترنحِ والمنِ والأذى ومجلةِ إسلاميةٍ، فنحن إلى الآن بعُمانَ ليس عندنا مجلةٌ إسلاميةٌ دوريةٌ لكلِ أسبوعين أو لكلِ شهرٍ وما إن ظهرت مجلةٌ إسلاميةٌ حتى هوت بفقرها الماديِّ وديونها؛ وفي المقابلِ ـ ويا للأسفِ ـ نجدُ بعضَ المكتباتِ بأسواقِنا تمتلأُ بالمجلاتِ الخليعةِ المارقةِ الماجنةِ، تساندُها المواقعُ الإباحيةُ، ومَن يتابعُها مسلمٌ موحدٌ ابنُ البلدِ والمقابلُ حفنةٌ مِن بَيساتٍ معدودةٍ، فتنتشرُ الخلاعةُ في المجتمعِ بين الفتيان والفتيات . فنوصي بمحاربةِ المجلاتِ الخليعةِ ونصحِ أصحابِ المكتباتِ عن بيعِها، ونوصي بالدعمِ وتوقيفِ الأموالِ لنشرِ الكتبِ الإسلاميةِ ودعمِ المجلةِ الإسلاميةِ لأن هذه من أبوابِ الصدقةِ الجاريةِ التي لا تجدُ داعمًا، وفي الحديثِ عنِ الطاهرِ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ : " إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له " .

ثانيًا: شبابُنا يريدون أن يتزوجوا ويصونوا شرفَهم وعرضَهم، وبناتُنا تريدُ أن تصونَ عرضَها، فأين أوقافُ الزواجِ وأين العماراتُ والمحلاتُ والصناديقُ الخيريةُ التي تعينُ شبابَنا وبناتِنا لهذا الغرضِ!!

ثم نصرِّخُ بأنَّ الفسادَ قد عمَّ، والزنا قد طمَّ، فيا أيُّها الناسُ يا مَن عندَكم الأموالُ، وقفوا لأولادِكم وبناتِكم لصيانةِ أعراضِهم وحفظِها مِنَ

الفواحشِ والإغراءاتِ والدسائسِ التي تَسمَمَ بها البرُ والبحرُ والجوُ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[1].

ثالثًا: هناك أُسرٌ قد أكلَها الفقرُ وأنهكتَها الديونُ والغراماتُ الماليةُ، ومِن شبابِنا مَن يعملون في الحراسةِ، وفي محلاتٍ تجاريةٍ برواتبَ زهيدةٍ؛ وهؤلاءِ طبقةٌ بحاجةٍ إلى الوقوفِ معها بضخِ مالٍ مستمرٍ يكونُ رِدءًا لها ومساعدًا لمصالحِها.

رابعًا: الأنشطةُ الدعويةُ هامدةٌ خامدةٌ، فأين المحاضراتُ والمسابقاتُ والمهرجاناتُ؛ وفي المقابلِ نرى الفسادَ قائمًا يتبخرُ على قدمٍ وساقٍ.

المراكزُ الصيفيةُ والشَّتَوِيَّةُ، المحاضراتُ، العنايةُ بالأجيالِ، والعنايةُ بالمراهقين والمراهقاتِ خاصةً تطلبُ أموالًا وأرصدتُها خاويةٌ، فنحن بحاجةٍ إلى التبرعاتِ، وتوقيفِ الأموالِ أو حبسِ المنازلِ للّه أو الأراضي يديرُها أمينٌ ينفقُ على النشاطاتِ الدعويةِ لإصلاحِ المجتمعِ وأجيالِه .

خامسًا: يصابُ بعضُ إخواننا بظروفٍ قهريةٍ مِنَ احتراقِ منزلِه أو سيارتِه أو يصابُ أحدُ أولادِه بأمراضٍ خطيرةٍ كالسرطان وغسيلِ الكُلى ـ شفى اللّهُ المسلمين وعافاهم مِن كلِ مرضٍ ـ فتجدُ المجتمعُ يبقبقُ ويغربقُ بلا فائدةٍ حتى يضطرَ بعضُ الناسِ لظروفِهم الطارئةِ وحالتِهم المجحفةِ أن يعلقوا إعلانًا في المسجدِ كاشفين عن حالتِهم، فتجدُ بعضُ الضعفاءِ يقولُ: هذه الإعلاناتُ لا تعلقُ في المساجدِ، والمساجدُ تنزهُ عن ذلك، وأخشى أن تنفرطَ عني الكلمات، فيا ابنَ أبيك أين تعلقُ؟! وبمن يستجيرُ هؤلاءِ المساكينُ الذين ابتلاهم اللّهُ تعالى بهذه الظروفِ القهريةِ، ولم ينظر إليهم المجتمعُ، ولا يجدون مَن يقفُ معهم، بل تعلقُ ليسَ في المساجدِ فقط بل تُعلقُ حتى في بيوتِنا، لنعلمَ أنَّ اللّهَ تعالى متَّعنا بالصحةِ

(١) سورة المزمل الآية: ٢٠ .

وحرمَهم منها، وهم بحاجةٍ إلى ما خوَّلنا اللهُ مِن مالٍ، فأينَ التآلفُ! وأين التكاتفُ! بل أين التراحمُ.

يا أيُّها المسلمون

أين الأوقافُ والصدقاتُ التي تتعلقُ بمثل هذه الظروفِ القهريةِ التي يلجأُ إليها المعسرون في وقتِ الضيقِ والشدةِ !! بل أين التبرعاتُ والصناديقُ الداعمةُ للمشاريعِ الخيريةِ !!

يا ناعمَ العيشِ والأموالُ بائدةٌ أينَ التبرعُ لا ضَاقت بك النِّعمُ

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهديِ سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم، فاستغفروه من كلِّ ذنبٍ يغفر لكم إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، ودعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ .

***

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين ولا عدوانَ إلا على الظالمين والصلاةُ والسلامُ على إمامِ المتقين، وعلى سائرِ الصحابةِ أجمعين وعلى التابعين بإحسان إلى يومِ الدينِ؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها الموحدون

إنَّ الأموالَ الإسلاميةَ بحاجةٍ إلى إعادةِ صياغةٍ لتحقيقِ المصالحِ والمنافعِ العامةِ والشاملةِ للمجتمعِ، ولا بُدَّ من زيادةِ توقيفِ الأموالِ والبيوتِ والعماراتِ للجوانبِ العلميةِ والدعويةِ والظروفِ القهريةِ وإعانةِ الشبابِ على الزواجِ على المجتمعِ أن يفيقَ من هذا النومِ العميقِ وعليه أن يتحملَ مسؤولياتِه التي يقعُ المجتمعُ تحتَ ضغطِها، وليفقِ الأغنياءُ وأصحابُ الكنوزِ المكنزةِ، فلا يصاحبُهم بعد خروجِ أرواحِهم إلا ما قدموه من صالحِ العملِ، وليس لهم من مالِهم إلا الكفنُ، ومآلُهم في حفرةٍ ضيقةٍ لا ينفعُ فيها التمني والندمُ، فليمتثل كلٌّ منا قولَ الكبيرِ المتعالِ ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا

اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

أحبتي في الله

قبلَ أن أقومَ مِن مقامي هذا نباركُ للجميعِ بشائرَ قربِ فتحِ قناةِ الاستقامةِ الفضائيةِ؛ ونسألُ اللهَ تعالى لكلِّ مَن ساهم فيها بالمالِ والكلمةِ أن يباركَ اللهُ في عُمُرِه ومالِه، وأن يكللَ اللهُ تعالى التوفيقَ والنجاحَ لهذه القناةِ المباركةِ كما ندعو المجتمعَ أن يحرصَ على متابعةِ مثلِ هذه القناةِ الخيِّرةِ .

هذا وصلوا وسلموا على سيدِ الأولين والآخرين كما أمركم ربُّكم جلَّ وعلا .

(١) سورة التغابن الآية: ١٦ .

الخطبةُ الثالثةُ والتسعون

الحكمُ الشرعيُّ في الخمرِ وأضرابِه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي حرَّمَ الظلمَ على نفسه وجعلَه بين العبادِ مُحرمًا، وحرَّمَ الخبائثَ وجعلَ عاقبتَها على معاقريها دمارًا ومأثمًا، فكم قصمَ بها أعمارًا، وشتت بها أنصارًا، ودمَّرَ بها ديارًا، وأهلكَ بها أممًا، لم يزل سبحانَه مِنَ المجاهرين بالمعاصي مُنتقمًا لكنَّه غرَّهم الإمهالُ فظنوا أنَّه إهمالٌ فلجُّوا في الطغيان والعمى، فسبحانَه من إلهٍ جعلَ لكل شيءٍ وقتًا وأجلًا مُحتَّماً، أحمدُه سبحانَه حمدًا يملأُ الأرضَ والسماءَ، وأشكرُه ولم يزل يُولي الشاكرين نعمًا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أرجو بها السلامةَ يومَ القدومِ عليه فضلًا منه وكرمًا، وأشهدُ أن سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه إلى كافةِ الخلقِ عربًا وعجمًا، وقدَّمه على الكلِ أكرمْ به مُقدَّمًا، اللهم صلِ وسلمْ على عبدِك ورسولِك وعلى آلِه وأصحابِه ومَنِ اقتفى شرعَه المطهرَ وإلى دينِه الحنيفيِّ انتمى؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها الناسُ

اتقوا اللّٰهَ تعالى، واعلموا أنَّ الحسرةَ كُلَّ الحسرةِ إضاعةُ الأعمارِ في الأعمالِ القِبَاحِ، والقدومُ على اللّٰهِ بالخسرانِ مِن بلادِ الأرباحِ، والانقطاعُ في المهالكِ وقد حمدَ القومُ السُّرَى عندَ الصباحِ، ففروا إلى اللّٰهِ قبلَ أن يَقُصَّ الموتُ منكم القوادمَ والجَنَاح، ولا تتكلوا على عفوِ اللّٰهِ مع الإصرارِ على ما يُسخطُه فذاكَ منافٍ للفلاحِ، وشمروا للأخذِ بأسبابِ النجاةِ فَعَلَمُ القبُول قد لاحَ، وانهضوا بعزيمةٍ صادقةٍ فإنَّ الأمرَ جدٌّ ليس بمزاحِ، وزموا النفوسَ عن هذا التعدي والجماحِ، عبدَ اللّٰهِ إلى كم هذا التصابي والمِراح، أأبقى الشيبُ موضعًا للمراح! لقد أغنى الصباحُ عن المصباحِ، وقامَ حربُ

المنـون بـلا سـلاحٍ ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[2].

أيُّها المؤمنون

يطالعُنا الواقعُ المُرُّ كلَّ يومٍ بعجائبَ وغرائبَ لا تنتهي، تصبُّ في صالحِ الضلالِ والفسادِ، فما انتهت طامةٌ كُبرى حتى جائتنا أطمُّ منها دون أن نعالجَ الأولى، وهكذا تستشري جراحُ المنكراتِ والإباحياتِ والرذائلِ في المجتمعِ دون أن يتمَّ تضميدُ الجراحِ الأولى .

إنَّ ما نصلُ إليه يومًا بعدَ يومٍ مِنَ الأفكارِ والتصوراتِ الخطيرةِ تجعلُنا ندقُّ أبواقَ التحذيرِ ونحن طالما تكلَّمنا وتكلَّمنا، ولا نرى ضميرًا حيًّا أو حسًّا يتفاعلُ بالأعمالِ لا بالأقوالِ، وإنَّما علينا البلاغُ ليعذرَنا اللّٰهُ تعالى يومَ الدين .

من المؤسفِ – والأسفُ كثيرٌ في زماننا – أننا وصلنا إلى مرحلةٍ ما كنا نحسبُ أن نصلَها فوصلناها – مِنَ الهرجِ والمرجِ – بأحكامِ اللّٰهِ تعالى، والتنكرِ عليها مع غفلةِ الأنامِ، وتجهيلِهم طوالَ العقودِ المنصرمةِ، فمن جملةِ ما وقعَ على قلوبِنا كالصاعقةِ الاستفتاءُ على الخمورِ والشيشةِ، مَن يريدُ منكم بيعَ الخمرِ والشيشةِ في المجتمعِ ومَن لا يريدُ!! ما هذا – يا عبادَ اللّٰهِ – ما هذا – أنستفتي على أحكامِ اللّٰهِ تعالى!! أنستفتي على قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾[3] هل تصلح لنا أم لا !! أنستفتي على قولِ النبيِّ(ﷺ): " كلُّ مسكرٍ خمرٌ، وكلُّ خمرٍ حرامٌ "!! ما هذه الوقاحةُ المتناهية، ما هذه الدنائةُ، ألسنا مؤمنين حقًّا!!

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٦.

(٣) سورة المائدة الآيات: ٩٠ – ٩١.

ألسنا نؤمنُ بالقرآن حاكمًا وبالسنةِ الصحيحةِ مُشَرِّعًا !!

إنَّ الاستفتاءَ باطلُ والمستفتِي والمستفتَى واقعون في مخالفةٍ صريحةٍ لآياتِ اللهِ تعالى التي توعَّدَ اللهُ تعالى المجاهرين لها بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾[1] إنَّ الحكمَ الشرعيَّ في الخمورِ والشيشةِ والمهلكاتِ للنفسِ البشريةِ صريحةٌ في القرآن الكريمِ والسنةِ النبويةِ، ولا تقبلُ التأويلَ كالنهارِ لا يحتاجُ إلى دليلٍ، وقد بيَّنها اللهُ تعالى ورسوله(ﷺ) بإسهابٍ؛ ولم يجعلا لقائلٍ مقالًا ولا محلَ للاجتهادِ في حكمٍ شرعيٍّ، حكمت فيه الآياتُ البيناتُ والأحاديثُ الصحيحاتُ، إنَّ الاستفتاءَ على شيءٍ محرمٍ بالنصوصِ القاطعةِ محرمٌ على كلِّ مسلمٍ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[2] بل هو تخوُّضٌ في أحكامِ اللهِ تعالى، وإعلانٌ لمخالفةٍ صريحةٍ لأمرِ اللهِ ونهيه، وقد قالَ شديدُ الانتقامِ عن المتقولين عليه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[3]؛ فالتحليلُ والتحريمُ مرجعُه إلى اللهِ تعالى، والأحكامُ الشريعةُ لا تُؤخذُ مِنَ الحُكَّامِ، ولا مِن مجلسِ الوزراءِ، ولا مِن مجلسِ الدولةِ، ولا مِن مجلسِ الشُّورى، وإنَّما المرجعيةُ الوحيدةُ هي اللهُ ورسولُه (ﷺ) ثم ما لم ينصّ على حكمِه، فمرجعُه إلى العلماءِ العاملين المخلصين، أمَّا غيرُ ذلك تقوُّلٌ وافتراءٌ، وقد حذَّرَ اللهُ تعالى الواقعين في هذا المنزلقِ الخطيرِ، فقالَ جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا

(١) سورة آل عمران الآية: ٤.
(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.
(٣) سورة الحاقة الآيات: ٤٤ - ٤٧ .

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[1].

أيها الموحدون

إننا نشعرُ بالخزيِ والعارِ أن نصلُ إلى هذا الانحطاطِ المهين، وليسَ ذلك إلا مِن رؤوسٍ نافذةٍ لها مصالحُ في المتاجرةِ بالخمورِ والشيشةِ والمخدراتِ؛ تسعى للفتكِ بشبابِ المجتمعِ وبناتِه، وتعملُ جاهدةً لتحويلِ هذا المجتمعِ وكرًا لهذه الخبائثِ التي لا تزالُ تكتسحُ مجتمعَنا ـ واللهُ المستعانُ ـ وتعززُ في الفنادقِ والاستراحاتِ والمطاعمِ حتى صارت بعضُ المحلاتِ والمُجمعاتِ تبيعُ الشيشةَ على مرآى ومسمعٍ مِن عبادِ اللهِ تعالى بحجةٍ خرقاء، وهي الحريةُ والانفتاحُ، ويا للأسف أن يصلَ الآمرون بالمعروفِ والناهون عن المنكرِ إلى حدِّ الشيخوخةِ المبكرةِ أو الموتِ السريري في وقتٍ كانَ واجبًا عليهم أن يكونوا في ذروةِ نشاطِهم للقضاءِ على هذه المنكراتِ والمعاصي .

أحباب المصطفى (ﷺ)

إنَّ المجتمعَ عليه أن يفيقَ وأن يكونَ على وعيٍ تامٍ مما يرادُ به مِن تمريرِ هذه الملوثاتِ والخبائثِ لتكونَ وجباتٍ مُسَمِمَةً للمجتمعِ والأجيالِ فحافظوا على مجتمعِكم وشبابِكم وبناتِكم ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة النحل الآية: ١١٦ .

(٢) سورة المائدة الآية: ٢.

أيِ عبادَ اللّهِ

أكثروا مِنَ الاستغفارِ، فاللّهُ الغفورُ الرحيمُ يقولُ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[1] .

★★★

الحمدُ للّهِ حقَّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً مِن عندِه وعلى آلِه وصحبِه مِن بعدِه؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المجتمعُ المسلمُ المحافظُ

احذر أن يقعَ أولادُك وبناتُك في براثنِ الخمورِ والشيشةِ، فكم مِنَ الأسرِ، وكم مِن البيوتاتِ تفرَّقت، وتدمَّرت، وافتقرت، وأصابتها الأمراضُ بسببِ هذه السمومِ، وفي الحلالِ الطيبِ ما يغني، وقد أباحَ اللّهُ لنا الكثيرَ، وحرَّم علينا القليلَ .

فلنكن يدًا للقضاءِ على الفسادِ ومحاربةِ المفسدين والتواصي بالحقِ .

وصلوا وسلموا على النعمةِ المسداةِ والرحمةِ المهداةِ .

---

(١) سورة النساء الآية: ١١٠.

الخطبةُ الرابعةُ والتسعون

بمناسبةِ محاولةِ الانقلابِ الفاشلةِ[1] على السيدِ رجب طيب أردوغان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه، قضى ألَّا تعبدوا إلاَّ إيَّاه، لا مانعَ لِمَا أعطاه، ولا رادَّ لِمَا قضاه، ولا مظهرَ لما أخفاه، ولا ساترَ لما أبداه، ولا مضلَّ لمن هداه، ولا هاديَ لمن أعماه، سبحانَه خلقَ آدمَ بيدِه وسوَّاه، وأمرَه ونهاه، ثم تابَ عليه ورحمَه واجتباه، طردَ إبليسَ فأصمَّه وأعماه، وأبعدَه وأشقاه، وفي قصَّته نذيرٌ لمن خالفَ اللّهَ وعصاه. أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ له، أخذَ موسى مِن أمِّه طفلًا ورعاه، وساقَه إلى حِجْرِ عدوِّه فربَّاه، وجادَ عليه بالنِّعمِ وأعطاه، فمشى في البحرِ وما ابتلَّتْ قدماه، وأهلكَ عدوَّه بالغرقِ ووَارَاه، خرجَ يطلبُ نارًا فشرَّفه اللّهُ وناداه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1]، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه شرحَ اللّهُ صدرَه وزكَّاه، ومِن كيدِ المشركين حماه حتى أتمَّ به نعمتَه ورِضاه (ﷺ)؛ وعلى آلِه وعترتِه ومن سار في طريق رحمته وهداه؛ أمَّا بعد:

فيا عبادَ اللّه

اتقوا اللّه، واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللّه، يومَ يُنفخُ في الصورِ، ويُبعثُ مَن في القبورِ، ويَظهرُ المستورُ، يومَ تُبلى السرائرُ، وتُكشَفُ الضمائرُ ويتميَّزُ البرُ مِن الفاجرِ.

---

(١) كانت هذه المحاولة ليلة السبت عند الساعة التاسعة ليلًا بتاريخ ١١ شوال ١٤٣٧هجرية، الموافق ٢٠١٦/٧/١٦ ميلادية.

(٢) سورة طه الآية: ١٤.

ثم اعلموا أنَّ هناكَ حقيقةً وأيّ حقيقةٍ!حقيقةً طالما غفلَ عنها الإنسانُ، ولحظةٌ حاسمةٌ ومصيرٌ ومآلٌ، إنها لحظةُ ملاقيكُم، فأين من هذه اللحظةِ المهربُ، وإلى أين منها المفرُّ؟ إلى الأمامِ ملاقيكُم، إلى الوراءِ ملاقيكُم، إلى اليمينِ ملاقيكُم وإلى الشمالِ ملاقيكُم، إلى أعلا إلى أسفلَ ملاقيكُم، إلى الوراءِ ملاقيكم .

لا تمنعُ منه جنودٌ، ولا يُتَحصَّنُ منه في حصونٍ، يدركُكُم أينما كنتم، إنَّه واعظٌ لا ينطقُ، واعظٌ صامتٌ يأخذُ الغنيَّ والفقيرَ، والصحيحَ والسقيمَ، والشريفَ والوضيعَ، والمقرَ والجاحدَ، والزاهدَ والعابد، والصغيرَ والكبيرَ الذكرَ والأنثى، كلُّ نفسٍ ستذوقهُ شاءت أم أبت، لعلَكم عرفتموه، لا أظنُ أحدًا يجهلُه، أمَّا حقيقتُه فالكلُّ يجهلُه، إنه الموتُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1] الموتُ ما الموتُ ؟ أمرُ كبار وكأسُ يدار، في مَن أقامَ وسار، يخرجُ بصاحبِه إلى الجنةِ أو إلى النار، فما زالَ لأهلِ اللذاتِ مكدرًا، ولأصحابِ العقولِ مغيرًا ومحيرًا، ولأربابِ القلوبِ عن الرغبةِ فيما سوى اللهِ زاجرًا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[2] ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[3] .

أيُّها المؤمنون

تطالعُنا وسائلُ التقنيةِ الحديثةِ عن موضوعٍ خطيرٍ تابعَه معظمُ شعوبِ العالمِ عن كثبٍ، موضوعٍ شغلَ العالمَ كلَّه، موضعٍ بدأَ نقعُه معَ توغلِ

(١) سورة آل عمران الآية: ١٨٥.
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .
(٣) سورة الأنعام الآية: ٣٢ .

ساعاتِ الليلِ، وانتعاشِ بروجِ السماءِ، إنه محاولةُ الانقلابِ على الرئيسِ الشرعيِّ المنتخبِ في تركيا، ونحن عندما نتحدث عن هذه القضية لا بُدَّ أن نراعيَ الظروفَ التي يعيشُها العالمُ بأسرِه، ولا سيما العالمُ الإسلاميُّ، فهناك حروبٌ قاتلةٌ تجتاحُ سوريا والعراقَ، أرجعتها إلى عصرِ الظلماتِ، دعنا مِنَ الاحتلالِ الجاثمِ على أرضِ مسرى سيدِ الثقلين، وهناك انهيارٌ وفشلٌ سياسيٌّ في مصرَ وليبيا والسودانَ وغيرها مِن دولِ الإسلامِ؛ وبسببِ هذه الحالةِ السياسيةِ المترديةِ أُرقيت أنهارُ مِنَ الدماءِ، وانتهكت الأعراضُ، وسُلبت الأموالُ، وتشردَ الناسُ مِن أوطانِهم، وفشى الجهلُ، وقلَّ العلمُ، وضمرتِ النهضةُ والحضارةُ والتقدمُ بكافةِ أنواعِه وصوره ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[1].

إنَّ الانقلاباتِ السياسيةَ وتبعاتِها سببٌ لإيقاعِ الناسِ وأوطانِهم في أمواجٍ عاتيةٍ مِنَ الكوارثِ التي تحوِّلُ الغناءَ فقرًا، والعزةَ ذلةً، والصحةَ سقمًا، والأمنَ خوفًا، والعافيةَ بلاءً، وهي سببٌ للتخلفِ والانحطاطِ والتردي، بل هي خيانةٌ عظمى للوطنِ وأمنه واستقراره، وشغبٌ يجبُ بسببِه إنزالُ أقسى العقوباتِ لمن يكونُ ضالعًا في حدوثِه، أو له يدٌ في وقوعِه بنصِ كتابِ اللهِ العزيزِ، إذ يقولُ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾[2]

---

(١) سورة الروم الآية: ٤١.

(٢) سورة المائدة الآية: ٣٣.

أحبتي في الله

إنَّ محاولاتِ الانقلابِ الفاشلةِ على حزبِ العدالةِ والتنميةِ الإسلاميِّ الحاكمِ في تركيا أمرٌ غيرُ مقبولٍ ولا مبررٍ، بل هي خيانةٌ، وقد غرق المتسببون في بحرها القذرِ ووحلِها العميقِ، ولا يجيدُ السباحةَ فيها إلا المتلوثون لأنه ليسَ هناكَ أسبابٌ مشروعةٌ للخروجِ على الحاكمِ والخيانةِ به، ولما كانت كذلك فليس لها درجاتٌ، بل هي عمليةُ انحدارٍ وانحطاطٍ دونَ الخطِ الأدنى من الإخلاص .

إنَّ ما نقرأُه ونعلمُه عن الرئيسِ ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾[1] إنه رجلٌ مخلصٌ لوطنه وأمتِه، وبذلَ كلَّ ما يملكُ في سبيلِ الأمةِ التركيةِ والارتقاءِ بها في مصافِ الدولِ المتقدمةِ؛ وقد قفزَ باقتصادِ وطنه حتى صارت تركيا القوةَ الاقتصاديةَ والسياسيةَ الأولى في العالمِ، وأصبحت مِن دولِ الاختراعِ، وفي ظلِ الأزمةِ الاقتصاديةِ الخانقةِ في العالمِ لم يتزعزعِ اقتصادُ تركيا، بل أصدرَ الرئيسُ مرسومًا بمجانيةِ التعليمِ، وزاد أجورَ الشعبِ، ولذا ملكَ قلوبَهم، وهو الذي تحركَ لكسرِ حصارِ غزةَ، وباركَ سفينةَ مرمرةَ، ووقفَ وقفةَ أبطالٍ مع قضيةِ فلسطين، وهو الذي استقبلَ أطفالَ سوريا في أفخمِ الفنادقِ، واحتضنهم بالقبلاتِ تخفيفًا لمعاناتهم، وهو الرئيسُ المسلمُ الوحيدُ الذي زارَ بورما مع زوجِه، والتقى بالمسلمين من أهالي إقليمِ ميانمار المنكوبِ بالعصاباتِ الهندوسيةِ المجرمةِ، وهو الذي أعادَ تدريسَ القرآنِ والسنةِ، واتجه بتركيا إلى الإسلامِ بعدَ حياةِ التفسخِ والانحلالِ العلماني الذي كرَّسه الطاغوت، وكرَّس حريةَ الحجابِ في الجامعاتِ الحكوميةِ ودارِ القضاء؛ وهو الذي شجَّعَ لحفظِ القرآنِ الكريمِ، وللرجلِ حسناتٌ كثيرةٌ لا تُحصى، ليتَ حكَّامَ المسلمين يقتدون ويفعلون معشارَ ما فعلَ هذا الرجلُ المخلصُ.

---

(١) سورة يوسف الآية: ٨١ .

ولذا لما بدأت عمليةُ الانقلابِ قبضنا على قلوبِنا، وتمنينا أن تفشلَ لأننا مناصرون مآزرون واقفون في صفِ السيدِ الحاكمِ الشرعيِّ، وليسَ لنا مصلحةٌ أو تزلفٌ له لأننا بعيدون كلَّ البعد عنه، ولكن لا بُدَّ للمؤمنين أن يقفوا مع الحقِ، وأن يخذلوا الباطلَ .

فنباركُ للرئيسِ التركيِّ فشلَ الانقلابِ العسكريِّ الخائنِ، ونقول: إن ما حدثَ مِن فشلِ الانقلابِ في دقائقَ فاصلةٍ، والتفافِ شعبِك المخلصِ عليك حتى أحزابِ المعارضةِ، وتأيدِ العالمِ الشريفِ لك، هو مِن عندِ اللهِ تعالى لأنك كنتَ معَ اللهِ، فكانَ اللهُ معكَ عن أبي هريرةَ – رضيَ اللهُ عنه – عن النبيِّ (ﷺ): "إذا أحبَّ اللهُ تعالى العبدَ نادى جبريلَ إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ فلانًا فأحبَّه فيحبُه جبريلُ، فينادي أهلَ السماءِ إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ فلانًا فأحبّوه، فيحبُّه أهلُ السماءِ، ثم أهلُ الأرضِ فيكتبُ له القبولُ ".

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين، أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريمُ.

***

الحمدُ للهِ رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آلِه وصحبِه والتابعين بإحسان إلى يومِ الدينِ؛ أمَّا بعدُ:

أيُّها الموحدون

إنَّ حمايةَ الأوطان والدفاعَ عن حياضِها والالتفافَ حولَ الحكومةِ والمطالبةَ بأيِّ حقٍ مشروعٍ بالتي هي أحسنُ سببٌ في الرقيِّ بالمجتمعاتِ، وتحقيقِ النهضةِ الشاملةِ، وانتشارِ الأمنِ والطمأنينةِ، فإياكم بما يخل بأمن الوطن، وحذروا التجمعاتِ المشبوهةَ، وكونوا مع اللهِ تعالى بالإيمان

والتقوى، فإنَّها سببٌ لدوامِ البركاتِ العلويةِ والسُّفليةِ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]

وصلوا وسلموا على صاحبِ الشفاعةِ والحوضِ، كما أمركم بذلك ربُّكم جل وعلا .

(١) سورة الأعراف الآية: ٩٦ .

الخطبةُ الخامسة والتسعون

بمناسبةِ بدءِ العامِ الدراسيِّ لسنةِ ١٤٣٧-١٤٣٨هجريةٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذي سخَّرَ الفُلْكَ والفَلكَ، وانقادَ لأمرِهِ المُلك والمَلَك، ودبَّرَ بِصنعِهِ الضَّوءَ والحلكَ، أباحَ الطيباتِ وحلَّ لكَ، وحرَّمَ الخبائثَ ومَا حَلا لكَ، سهلَ طريقَ الجنةِ لمن لِطلبِ العلمِ سَلكَ، وأنذرَنا الجهلَ وطريقَ الشيطانِ الذي هلكَ، سبحانَه حمى يوسفَ مِنْ كيدِ امرأةِ العزيزِ حينَ قالت: هيت لكَ، وخاطبَ نوحًا: قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك، نُشْهِدُكَ ربَّنا أنَّكَ وحدَكَ لا شريكَ ولا ندَّ لكَ، فالحمدُ كلُّه عزَّ لكَ، والشكرُ كلُّه جلَّ لكَ، ونَشهدُ أنَّ محمدًا عبدُك ورسولُك المِطْواعُ لكَ، الرَّهابُ لكَ، (ﷺ) وعلى آلِهِ النجومِ النيرةِ المسبحةِ في الأصباحِ والدُّلكَ؛ أمَّا بعدُ:

فيا مَن أخذَ الموتُ منهم ولدًا وعِرْسًا، وغرسَ بعضَهُ في القبورِ غَرسًا، كم رأيتَ مُصْبِحًا في الدنيا ما أمسى، وكما عاينتَ بطَّاشًا كفَّ الموتُ منه خمسًا، كأنَّكَ باليقينِ قد رفعَ عنكَ شَكًا ولَبْسًا، وكأنَّكَ بمَرْكَبِ العُمُرِ على اللحدِ قد أَرسى، وسكنتَ بعدَ قصرِكَ المَنيفِ حُفيرةً ورمسًا، أرأيتَ في الحُبُوسِ مثلَ القبرِ حبسًا، وعلمتَ أنَّ جميعَ مالِك لا يُساوي شيئًا وينساكَ مَن كانَ حبيبًا ورفيقًا وأُنسًا، تركوا - واللّٰهِ - ذكرَك فوقعتَ مِن أوَّلِ يومٍ في المنسى ولو بكَوا ما انتفعتَ ولو ندبتكَ بنتُ بدرٍ[1] والخنساءُ،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[2]

---

(١) الخرنق بنت بدر أقدم شاعرات الرثاء .

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1] .

أحبتي في اللهِ بعدَ غدٍ تَطُلُّ علينا مناسبةُ بدءِ العامِ الدراسيِّ الجديدِ لسنةِ سبعٍ وثلاثين وثمانٍ وثلاثين بعدَ أربعمائةٍ وألفِ سنةٍ من هجرةِ الحبيبِ(ﷺ)، وهيَ – بلا شكٍ – مناسبةٌ مهمةٌ بل جديرةٌ بالاهتمامِ، ونحنُ بحاجةٍ إلى شيءٍ منَ التذكيرِ والعنايةِ بهذهِ المناسبةِ امتثالًا لقولِ الحقِ جلَّ وعلا: ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥ ﴾[2]

شبابُ الأمةِ وعمادُها

اعلموا – رعاكُم اللهُ – أنَّ العلمَ منَ المصالحِ الضروريةِ والحاجاتِ الملحّةِ التي عليها تقومُ حياةُ الأمةِ أفرادًا وجماعاتٍ، وبها يَستقيمُ حالُها شعوبًا وحكوماتٍ، وبغيرِها لا يصلحُ أمرُها، ولا يقوى شأنُها . وحاجةُ الأمةِ إلى العلمِ لا تَقلُّ عن حاجتِها إلى الطعامِ والشرابِ والملبسِ والمسكنِ والدواءِ، ولقد سطّرَ التأريخُ فيما مضى من أيامِه، ونطقَ الواقعُ بما لا مجالَ لردِّه ودفعِه بأنَّ للجهلِ أضرارًا وخيمةً، سُواءٌ على مستوى الأفرادِ والمواطنين، أو على مستوى الأمةِ والمجتمعِ، فقدِ احتلَّ الكفارُ بلادَ المسلمين، ونهبوا خيرَها لأسبابٍ كثيرةٍ، كانَ من أهمِّها جهلُ المسلمين بأمورِ الدينِ والدنيا معًا، وإنَّما انتشرتِ المذاهبُ الهدَّامةُ والنِّحَلُ الباطلةُ لأنَّها وجدتَ قلوبًا جَوْفاءَ خاليةً منَ العلمِ، فتمكنتْ منها وتَغَلْغَلَت في سُوَيْدَائِها، وهكذا حلَّ الظمأُ الأخلاقيُّ في كثيرٍ من شبابِنا وبناتِنا لما عشعشَ الجهلُ وتغلغلَ في القلوبِ وما الحروبُ الطاحنةُ التي حوَّلت دولَ الإسلامِ إلى عالمِ ألفِ ليلةٍ وليلةٍ إلا ثمرةٌ من ثمارِ الجهلِ النتنةِ، وهكذا فإنَّ القلوبَ التي لا تتحصّنُ بالعلمِ والمعرفةِ تكونُ عُرْضَةً للانخداعِ بالضلالاتِ والوقوعِ في الانحرافاتِ، وفريسةً سهلةً لذئابِ الشرِّ، ولقمةً سائغةً لكلابِ الرذيلةِ.

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٧٠ – ٧١.

(٢) الذاريات الآية: ٥٥ .

أيُّها الجيلُ

بالعلمِ حياتُكم، وبالجهلِ فناؤُكم، وصدقَ اللهُ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴿١٢٢﴾﴾[1] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾[2] وإنَّ العامَ الدراسيَ الذي يؤتي أُكُلَه كلَّ حينٍ، ويرتقي بالأفرادِ والجماعاتِ، ويحققُ النهضةَ والتقدمَ للمجتمعاتِ، وينفعُ صاحبَه في الدنيا والآخرةِ، وينقذُه مِن سُبلِ الهلاكِ بحاجةٍ إلى ملحمةٍ يشتركُ فيها ثالوثٌ: وليُّ الأمرِ – الأبوان – والمُدرسُ والطالبُ أو الطالبةُ، ولا بُدَّ أن يكونَ هذا الثالوثُ مبنيًا على تكاملٍ لا عشوائيةٍ، تلاحمٍ لا تخالفٍ، وضوحٍ لا غموضٍ، جدٍّ لا هزلٍ .

فعلي وليِّ الأمرِ – الأبوين – وهما الركنُ الأساسُ في نجاحِ العمليةِ التدريسيةِ ألاَّ يفرطا في دراسةِ أبنائهم، وعليهما أن يكونا متابعَين لأولادِهم في مدارسِهم، سائلَين عن أخلاقِهم ومستوياتِهم ورفاقِهم، لا بُدَّ للأبوين أن يتقيا اللهَ تعالى في أمانةِ أولادِهم وألاَّ يكتفيا بتوفيرِ الطعامِ والشرابِ فقط، بل عليهما أن يرفعا عزائمَ أولادِهم ويشجعاهم على طلبِ العلمِ والتحصيلِ، فإذا لم يتعاون الأبوان مع المؤسسةِ التعليميةِ، وصارا مشغولين بأعمالِهما الخاصةِ، أو تنحى أحدُهما جانبًا، فذلك سببٌ لضَياعِ الأولادِ وفسادِ تعليمِهم، وهو مخالفٌ لهدي الوحيين قالَ جلَّ وعلا: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[3] وقالَ الحبيبُ(ﷺ)" كفى بالمرءِ إثمًا أن يضيعَ مَن يقوتُ ".

وعلى المعلمِ أن يَبذلَ جَهْدَه لطلابِه، وأن يعاملَهم بالتي هي أحسنُ،

---

(١) الأنعام الآية: ١٢٢ .

(٢) الزمر الآية: ٩ .

(٣) النساء الآية: ١١ .

وأن يستغلَ كلَّ دقيقةٍ من حصتِه لصالحِ طلابِه، وأن يجتهدَ في رفعِ مستواهم، وفي إيصالِ المعلوماتِ لعقولِهم على حسبِ اختلافِ طاقتِهم الذِّهنيةِ، وأن يكونَ رحيمًا بهم محتويًا لمخالفاتِهم التي يرتكبونها، جادًا حازمًا في بعضِ المواقفِ معهم، مراقبًا لهم، ومحذرًا لهم مِن سمومِ التقنيةِ الحديثةِ، ومن الجرائم التي أفرزتها المدنيةُ المعاصرةُ .

وعليك أيُّها الطالبُ وأيتُّها الطالبةُ أن تلتزموا بآدابٍ تعينُكم على طلبِ العلمِ وتحصيلِه، ولا سيما التقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] ومنها: الإخلاصُ للّٰه تعالى، وذلك بأن تبتغوا بطلبِكم للعلمِ وجهَ اللّٰه الأعلى والدارَ الآخرةَ، بنيةِ إنقاذِ أنفسكم وأمتِكم مِنَ الجهلِ، وعليكم بالصبرِ والمثابرةِ في طلبِ العلمِ، وتحملِ المشاقِ وسعةِ الصدرِ، فإنَّ العلمَ جهادٌ، وليسَ بشهوةٍ. وعليكم بالتواضعِ في طلبِ العلمِ، واحذروا مِنَ الكبرِ والغرورِ، فإنَّه لا يَنالُ العلمَ مستحٍ ولا مستكبرٌ. لا بُدَّ مِنَ التأدبِ والتوقيرِ والاحترامِ للمعلمين والمعلماتِ، بعيدًا عن الشَّغبِ والهْزلِ والاستهتراءِ الذي يضرُّ بمستقبلِكم، احذروا رفقاءَ السُّوءِ الذين يَهدفون إلى قتلِ مستقبلِكم، وجعلِكم أسارى الشهواتِ والمهلكاتِ.

عبادَ اللّٰه

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾[2]

★★★

الحمدُ للّٰه وكفى، سَمِعَ اللّٰهُ لمن دعا، ليسَ وراءَ اللّٰه مرجى، وليسَ وراءَ اللّٰه مرمى، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المجتبى وآلِهِ ومَن للحقِ اقتفى؛ أمَّا بعد:

---

(١) البقرة الآية: ٢٨٢ .

(٢) هود الآية: ٩٠ .

فيا أيُّها الشبابُ

لا عذرَ اليومَ ولا مبررَ لكم في البقاءِ على الجهلِ والعزوفِ عن طلبِ العلمِ، وكيفَ العزوفُ! والمدارسُ قد انتشرت في كلِّ مدينةٍ وقريةٍ، والمعلمون وطلابُ العلمِ موجودون في كلِّ مكانٍ، والوسائلُ ميسرةٌ والاتصالاتُ ممكنةٌ، والكتبُ والأشرطةُ والمواقعُ والقنواتُ النافعةُ موجودةٌ، فما على أحدِكم إلا أن يُخلصَ النيةَ، ويحققَ المتابعةَ، ويَختارَ من ذلك ما يرتقي بنفسه وأمتِه.

إنَّها فُرصةٌ عظيمةٌ، بل فرصٌ متعددةٌ حريٌّ أن تغتنموها وتنتهزوها - يا شبابُ -، فما تستطيعونه اليوم تعجزون عنه غدًا وإياكم والجهلَ، فإنَّه الموتُ، فحذروا الموتَ قبلَ الموتِ .

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلِهِ فَأجسادُهم قبلَ القبورِ قبورُ

ونختمُ حديثَنا بهمسةٍ: إذا كانَ هذا الزمنُ زمنَ صِراعٍ حضاريٍّ وعقائديٍّ بينَ الأممِ وضغوطاتِ لعولمةِ الفِكرِ وعلمنةِ التعليمِ، فإنّ من علامةِ إخلاصِ ووعيِ القائمين على المناهجِ الدراسيةِ في بلادِ المسلمين مواجهةَ هذا التحدّي والعنايةَ بالمنطلقاتِ والأسُسِ العقديةِ والفكريةِ الصحيحةِ حين بناءِ المناهجِ أو تطويرِها .

وإذا كان ولاةُ الأمرِ يبذلون ويحرصون ويوجِّهون ويتابعون، فإنَّ الواجبَ على المربّين والمتربِّين عمومًا أن يكونوا على قدرِ المسؤوليّةِ في القيامِ بهذا الواجبِ العظيمِ لأجلِ مستقبَلٍ مضيءٍ بإذنِ اللّه تعالى بالعلمِ والهدَى والعطاءِ والبناءِ لوطننا العزيزِ سَلطنةِ عُمانَ، وسائرِ بلادِ الإسلامِ .

ألا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين .



الخطبةُ السادسة والتسعون

العام الهجري الجديد - ١٤٣٨هـ - آمال وآلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه مصرفِ الأقدارِ، ومحيي الآثارِ، والمتعالي عنِ الأشباهِ والأنظارِ، المتنزّهِ عن تمثيلِ الأوهامِ وتكييفِ الأفكارِ، الذي احتجبَ بحجابِ عزَّتِه وقدرتِه فلا تدركُه الأبصارُ، وهو يدرك الأبصار، الذي خضعت لهيبتِهِ وعظمتِهِ رقابُ الأكاسرةِ والجبابرةِ والأشرارِ، العالمِ بالكونين على اختلافِها والحوادثِ معَ تشتيتِ أوصافِها، وكلُّ شيءٍ عندَهُ بمقدارٍ، مكوِّرِ الليلِ على النهارِ، والنهارِ على الليلِ ما جرى الفَلَكُ الدَّوارُ، وجعلَهما آيتين بيِّنتين للمتفكرِ في العظةِ والاعتبارِ وخصَّ الإنسانَ بفضلِ النظرِ والاستبصارِ، فقالَ العزيزُ الغفارُ: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾[1].

نحمدُه على مَا أنعمَ بهِ علينا مِنَ الهدايةِ للنظرِ في مواقعِ الأدلةِ بأنَّه هو اللّٰهُ الملكُ الغفارُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه المصطفى المختارُ، الذي اختارَه لرسالتِه وختمَ به الرسلَ الكرامَ الأبرارَ، صلى اللّٰهُ عليه وعلى آله الطيبين وصحبِه الأكرمين الأخيارِ، وسلَّمَ كثيرًا؛ أَمَّا بعدُ:

فيا عبادَ اللّٰه

خيرُ ما يُوصَى به على الدوامِ، ومرِّ الأيامِ والأعوامِ: تقوى اللّٰه الملكِ العلاَّمِ؛ فتقوى اللّٰه نورٌ يُضيءُ الظُّلماتِ، وحصنٌ مِنَ الفتنِ المُوبقاتِ، وشفاءٌ مِنَ النوائبِ الحادِثات، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨﴾[2].

---

(١) الحشر الآية: ٢ .

(٢) سورة الحشر الآية: ١٨ .

أيُّها المسلمون:

في صحماء الفتنِ المُدلهمَّةِ، ويَهماءِ التحدياتِ المُحدِقةِ بالأمةِ، يدورُ الزمانُ دورتَهُ، ويُكمِلُ عامٌ من أعوامِه مُهمَّتَه، عامٌ قد قُوِّضَت خِيامُه، وتصرَّمَت أيامُه، وتلك سُنَّةُ اللّه في كونِه؛ أيامٌ سيَّارة، وأشهرٌ دوَّارة، وأعوامٌ كرَّارة، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾[1].

نعم . ها هيَ الأمةُ الإسلاميةُ قد ودَّعَت عامًا هجريًّا مضى وتولَّى، ولم يبقَ منه إلا ذِكرى ما تبدَّى فيه من الخيرِ وتجلَّى، ودَّعنا عامًا كما يُودِّعُ أحدُنا يومَه عند انقِضائِه، لا يراه طويلًا ما بينَ صباحِه ومسائِه.

وفي مطلَعِ عامِنا الوليدِ الأغرِّ - جعلَه اللّه بارِقةَ نصرٍ وعزٍّ وتمكينٍ - هناكَ أربعُ قضايا مهمةٍ جديرةٍ بالتنبيهِ، علَّ هذه القضايا تكونُ سببًا لتحريكِ الهممِ واستنهاضِ العزائمِ للتمسكِ الجادِ بكتابِ اللّهِ وسنةِ رسولِه (ﷺ) .

وإنَّ أولَ هذه القضايا التي يجبُ التركيزُ عليها في مستهلِ كلِّ عامٍ هجريٍّ جديدٍ، هي التذكيرُ بانصرامِ أعمارِنا ودنوِّ آجالِنا مِنَ الموتِ؛ فمَن لم يتَّعِظ بزوالِ الأيامِ، ولم يعتبِرْ بتصرُّمِ الأعوامِ، فما تفكَّرَ في مصيرِه ولا أنابَ، ولا اتَّصَفَ بمكارمِ أُولِي الألبابِ فقد خَسِرَ خسرانًا ما بعدَه خسرانٌ، ونَدِمَ ندامةً أشدُّ مِن ندامةِ الكُسَعِي، يقولُ الرحيمُ التوابُ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾[2] ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾[3] وفي حديثِ ابنِ عباسٍ - رضي اللّه عنه - يروي عن الحبيب (ﷺ): (نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ الناسِ، الصحةُ والفراغُ " .

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٦٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩٠ .

(٣) سورة النور الآية: ٤٤ .

فيا آبنَ آدمَ.. سبعةٌ وثلاثون تصرَّمت فأين الهممُ المجدةُ ؟! ابنَ آدمَ.. سبعةٌ وثلاثون تهدَّمت فأينَ النفوسُ المستعدةُ؟! ابنَ آدمَ سبعةٌ وثلاثون تحطَّمت فأين التأهبُ قبلَ الشدةِ.. ابنَ آدمَ سبعةٌ وثلاثون تبددت فأين التيقظُ قبلَ انقضاءِ المدةِ؟!

إنَّا لنفرحُ بالأيامِ نَقطعُها وكلَّ يومٍ مضى يُدني من الأجلِ

أيُّها الشيوخُ: رحلَ عامُكم ومضى، وطوى بساطَه وانقضى، فليت شعري، ماذا تنتظرون إلا الموت؟! أيُّها الشيوخ: العاقلُ منكم مَن راقبَ العواقبَ، والجاهلُ منكم مَن مضى قُدُما ولم يراقبْ؟ أيُّها الشيوخُ: كم أنذركُم الموتُ بأخذِ إخوانكم وأقرانكم فأفيقوا من سكرتِكم، وتجهزوا لحُفَرِكم؟! فخيرُكم مَن طالَ عُمُرُه، وحَسُنَ عملُه.

تقوتُكَ هذه الأرضُ مِن فضلِ قُوتِها وإنَّكَ مَهْمَا طَالَ عُمْرُكَ قُوتُهَا

إخواني الشبابُ: مع فناءِ سنةِ سبعٍ وثلاثين مَن منكم مَن باعَ نفسَه للّٰه، وانتصرَ على شيطانه وهواه، ونالَ رضاءَ اللّٰه وهُداه، وما غرَّته نفسُه، وما عمَّت مصائبُه وبلواه، وتذكَّرَ أنَّ اللّٰهَ سيحاسبُه على مَا آتاه، فحافظَ على الصلاةِ ولم يقع في وحلِ المعاصي، ولم يلج لُجَجَ الآثامِ. ألا فاتقوا اللّٰهَ يا شبابُ .

أيُّها الشابُ الحبيبُ ـ الموتُ يأتي بغتةً كم ودَّعنا من شبابٍ في ستٍ وثلاثين المنصرمةِ، ماذا لو كنتَ أنتَ من اختارَك الموتُ!! وأرداكَ في حفرتِك، فعجل عجل وحاسب نفسَك وانظر في صحائفِ أيامِك التي خلت: ماذا ادخرت فيها لآخرتِك؟! واخلُ بنفسك وخاطبها: وانظر ماذا تكلمَ لسانُك؟! وماذا رأت عينُك؟! وماذا سَمِعَت أذنُك؟! وأين مشت قدمُك؟! وبماذا بطشت يدُك؟! التي ستنطقُ شاهدةً لكَ أو عليكَ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ

أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1] وفي السنةِ الغراءِ: " كلُّ الناس يغدو، فبائعٌ نفسَه فمُوبقُها أو معتقُها".

سؤال أخير إسألهُ نفسَك، ولتكنِ الإجابةُ بينكَ وبينَ خالقِك، هل أنتَ راضٍ عن حالِك؟ وهل أنت مستعدٌ للموتِ إذا أتاك اليوم؟!

يـــا غافلًـــا تتمـــادى غـــدًا عليـــك يُنـــادى

أمَّا القضيةُ الثانيةُ: فقضيةٌ أوسعُ مِنَ القضيةِ الأولى، هي قضيةُ الأمةِ الإسلاميةِ التي لا تزالُ حُبلى بالمشكلات، ثَكلى بالفتنِ والمغْرِيَاتِ رهينةَ المآسِي والنَّكَبات، والشَّتاتِ والمُلِمَّاتِ، جسدُها مُثخنٌ بالجراحِ، وأبناؤُها يُعانون في مُختلِف الوِهادِ والبِطاحِ، تُراقُ فيهم الدماءُ، وتتقطَّعُ منهم الأشلاءُ، في صَلَفٍ ورُعونةٍ، وصدارةٍ مأفونةٍ، بما يدكُّ الأطواد، ويرُضُّ لفائفَ الأكباد.

أيُّها الأحبةُ المسلمون اليومَ أعظمُ أهلِ الأرضِ ضيقًا في العيشِ، وأشدُّهم مكابدةً للحياةِ، وأكثرُهم تعرضًا للحروبِ فيما بينهم ، فصارت أغلبُ دولِ الإسلامِ تئنُ تحتَ مرارةِ المأساةِ، وآلامِ المعاناةِ، ولوعاتِ الثكالى، وآهاتِ اليتامى ، وصَرخاتِ الصغارِ، وصَيْحاتِ التعذيبِ والحصارِ، ومأساةِ التشريدِ وركوبِ البحارِ لهجرِ الأوطان، وتصبحُ وتمسي دولُ الإسلامِ على صفوفِ الأكفانِ المتتاليةِ، والجنائزِ المتواليةِ، والبيوتاتِ المهدَّمةِ، والمساجدِ المنتهَكةِ والقنابلِ التي تمطرُ العبيدَ بنيرانِها وصواعقِها وصياحتِها حتى صدقَ فينا قولُ الحقِ جلَّ جلالُه فينا ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1]

---

(١) سورة يس الآية: ٦٥ .

(١) سورة الأنعام الآية: ٦٥ .

أيُّها الجيلُ

إنَّ الواجبَ على كلِ مسلمٍ أن يعلمَ أن ما أصابَ أمةَ الإسلامِ إنما هو بسببِ تقصيرِها في جنبِ ملكِ الملوكِ، وتفريطِها في الحُكمِ بشريعتِه، واحترامِ أحكامِها ومعالِمِها، والوقوفِ عندَ حدودِها، وعدمِ تصدِّيها لرياحِ الإفسادِ ومسيرةِ التغريبِ التي نخرت في الأمةِ وشبابِها وفتياتِها، بعد أن خانَ المستأمَنُ، وفرَّطَ المستحفَظُ، وغشَّ المستودَعُ، في أعظمِ وديعةٍ وأغلى أمانةٍ، وهي حفظُ الدينِ وتحصينُ مجتمعاتِ المسلمين من عادياتِ التغريبِ وحملاتِ التخريبِ، إنَّ كلَّ ما حدثَ ويحدثُ هو بسببِ البعدِ عن روحِ الوحيين ومقاصدِهما الشريفةِ، ونحن على يقينٍ صادقٍ لا يخالطُه أدنى شكٍ وريبٍ من قولِ ربِّنا جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾[1].

ومعَ كلِّ ذا وذاكَ مِن غيومِ الفتنِ وسحبِ المحنِ يتطلبُ منا العودةَ إلى ربِّنا جلَّ وعلا، وإيجادِ الحلولِ على مستوى الأفرادِ والجماعاتِ والحكوماتِ والتفائلِ والبعدِ عن مفرداتِ اليأسِ والقنوطِ الذي إذا سيطرَ على القلوبِ أهلكها، وإذا ولج إلى أمةٍ أعطبَها، معدودٌ في كبائرِ الذنوبِ وعظائمِ الآثامِ؛ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[2]

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[3].

باركَ اللهُ لي ولكم في الوحيين ونفعني وإياكم بهدي سيدِ الثقلين أقولُ ما قلتُ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، ودعوه يستجب لكم إنه هو البر الكريم.

❖❖❖

(١) سورة الرعد الآية: ١١.
(٢) سورة يوسف الآية: ٨٧.
(٣) سورة الحجر الآية: ٥٦.

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للّٰهِ مُقدِّرِ الأزمانِ والآجالِ، ومُبدِعِ الكونِ على غيرِ مِثالٍ، وأشهدُ أن لا إلـه إلا اللّٰه وحدَه لا شريك لـه ذو الكمالِ والجلالِ والجمالِ، يعجَزُ عن وصفِه بليغُ البيانِ والمقالِ، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا وسيِّدَنا محمدًا عبدُ اللّٰه ورسولُه خيرُ من عبَدَ ربَّه في الغِنَى والإقلالِ، صَلَّى اللّٰه عليه صلاةً دائِمةً في الأسحارِ والآصَالِ، وعلى آلهِ وصحبِه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبِعَهم بإحسانٍ وصالحِ الأقوالِ والأعمالِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المؤمنون:

اتقوا اللّٰهَ حقَّ التقوى؛ فإنَّ تقواه - سبحانه - أوثقُ الوثائِقِ، وهي العُدَّةُ في المضائِقِ، وبها تُكشَفُ وجوهُ الحقائقِ.

إخوةَ الإيمانِ:

إنَّ استِهلالَ عامٍ هجريٍّ جديدٍ يُذكِّرُنا بقضيتين عظيمتين وحدَثَيْن جليلَيْن غيَّرَا مجرى التأريخ، وكان فيهما نصرٌ وتمكينٌ، وعِزٌّ للأنبياءِ والمُرسلين والمُؤمنين، يبعَثان في النفسِ التفاؤُلَ والأملَ.

وأولُ هذين الحدَثَين: يومُ عاشوراء، الذي صحَّت السُّنةُ النبوية بفضلِ صيامِه عن الحبيبِ المُصطفى (ﷺ)كما في حديثِ أبي قَتَادةَ - رضي اللّٰه عنه - أن رسول اللّٰه (ﷺ) سُئِل عن صيامِ يومِ عاشوراء، فقالَ: "أحتسبُ على اللّٰه أن يُكفِّرَ السَّنةَ التي قبلَه" بل ينبغي للمسلمِ المسارعِ للخيراتِ أن يصومَ مع عاشوراءَ يومَ تاسوعاءَ ، فقد ثبت عن النبيِّ الكريمِ(ﷺ) أنَّهُ قالَ قبلَ وفاتِه: " لئن بقيتُ إلى العامِ القادمِ لأصومنَّ التاسعَ معَ العاشرِ ".

أمَّا ثانيهما: فهو هِجرةُ النبيِّ المُصطفى (ﷺ)، وإنَّه لحدَثٌ لو تعلَمون عظيمٌ، فيه من الفوائدِ والفرائدِ ما لا تحويه أجلادٌ، ولا يُوفِّيه جَلَدٌ ولا اجتِهادٌ، وإن ذِكراها لتُشمرُ القلوبَ، وتزيدُ الشَّوقَ إلى النبيِّ الحبيبِ المحبوبِ (ﷺ) وشمائِلِه الزكيَّة، وأخلاقِه وقِيَمه السنيَّة.

ولقد كانَ حدَثُ الهجرة النبويَّة أمرًا فارقًا في تأريخِ البشريَّة جمعاءَ، لذا جعلَه الفاروقُ عمرُ بن الخطاب- رضيَ اللّٰهُ عنه - بدايةَ التأريخ الإسلامي، ومُستندَ الوقائعِ والأحداثِ.

ألا فاتقوا اللّٰهَ - عبادَ اللّٰه -، وتفاءَلوا بالخير تجدوه، واستفتِحوا عامَكم بمُحاسبةٍ جادَّةٍ صادقةٍ، وتوبةٍ نَصوحٍ من الزلاَّتِ والسيئاتِ، وداوِموا على الأعمالِ الصالحاتِ، وأكثِروا من القُرُباتِ والطاعاتِ، وسجِّلوا في صحائِف عامِكم هذا ما يسُرُّكم في دُنياكم وأُخراكم، ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾[1].

هذا، وصلُّوا وسلِّموا - رحمكُم اللّٰهُ - على صاحبِ الشفاعةِ والكوثرِ كما أمرَكم بذلك اللطيفُ الخبيرُ، فقالَ - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[2] وقد قالَ(ﷺ): "مَن صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى اللّٰهُ عليه بها عشرًا ".

(١) سورة غافر الآية: ٣٩ .
(٢) سورة الأحزاب الآية: ٥٦ .

الخطبةُ السابعةُ والتسعون

أبو بكرٍ الصديقُ القانتُ الأوَّابُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الذى نزَّلَ الفرقانَ على عبدِه ليكونَ للعالمين نذيرًا، الذى له ملكُ السمواتِ والأرضِ وخلقَ كلَّ شىءٍ فقدَّرهُ تقديرًا، خلقَ الإنسانَ مِن نطفةٍ أمشاجٍ يَبتليهِ فجعلَهُ سميعًا بصيرًا، ثم هدَاهُ السبيلَ إمَّا شاكرًا وإمَّا كفورًا، فمَن شكرَ كانَ جزاؤهُ جنةً وحريرًا ونعيمًا وملكًا كبيرًا، ومَن كفرَ لم يجدْ لهُ مِن دون اللّٰه وليًا ولا نَصيرًا، نَحمدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حمدًا كثيرًا، ونعوذُ بنورِ وجهِهِ الكريمِ مِن يومٍ كانَ شرُهُ مُستطيرًا، ونَسألُهُ أن يُلقيَنَا يومَ الحشرِ نضرةً وسرورًا، وأن يُظلَّنا بظلِ عرشِهِ حيثُ لا نَرى شمسًا ولا زمهريرًا.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّٰهُ شهادةً تجعلُ الظلمةَ نورًا، وتحوِّلُ مواتَ القلبِ بعثًا ونشورًا، وتحيلُ ضيقَ الصدرِ انشراحًا وحبورًا، وكيفَ لا وقد أتى علينا حينٌ مِنَ الدهرِ لم نكنْ شيئًا مذكورًا، فخلقَنا وصوَّرنا ورزقَنا، وكانَ فضلُهُ علينا كبيرًا، أرسلَ الرياحَ بشرًا بينَ يدي رحمتِهِ، وأنزلَ مِنَ السماءِ ماءً طهورًا، فأحيا بهِ الأرضَ الميتةَ، وأخرجَ منها حبًا ونباتًا وفاكهةً وزهورًا، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه المرسلُ مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللّٰه بإذنهِ وسراجًا منيرًا، قُرِىءَ عليهِ القُرآنُ فَفَاضتْ بالدَّمعِ عيناهُ، وكانَ ما تَقدَّمَ وما تأخَّرَ مِنَ الذنبِ مغفورًا، قامَ الليلَ حتى تورمت قَدمَاهُ، وقالَ: " أفلا أكونُ عبدًا شكورًا "، حلَّت البركةُ وعمَّ الخيرُ مَا لمست يدَاهُ، وأصبحَ القليلُ مِنَ الطعامِ وفيرًا، عزَّ مَن لاذَ بسنتِهِ، واحتمى بُهداه، وأضحى في كنفِهِ مهضومُ الحقِ منصورًا، طابتِ الأرضُ التى شهدت من الحبيبِ مَسراهُ ووقَّرَهُ أنبياءُ الرحمنِ توقيرًا، اللهم صلِ وسلم وباركْ عليه وعلى أبي بكرٍ الصديقِ الذي كانَ حبُّه للّٰهِ ورسولِهِ (ﷺ) كبيرًا موفورًا

ومضى حياتَهُ مستغفرًا محتسبًا صبورًا وعلى سائرِ مَن فازَ بنسبِهِ وصحباهُ عددَ أنفاسِ مخلوقاتِك شهيقًا وزفيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فأيُّها المؤمنون

إنَّ اللّهَ اصطفى محمدًا (ﷺ) على الأولين والآخرين، واصطفى لهُ خيرَ الناسِ بعدَ النبيينَ فجعلَهم أصحابَه ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾[1] فأصحابُ رسولِ اللّه (ﷺ) هم خيرُ الأمةِ، وأعظمُهم فضلًا، وأعمقُهم علمًا، وأصدقُهم إيمانًا، وأبرُّهم قلوبًا، لا يرتابُ في ذلك العالمُ بأخبارِهم المطالعُ لسيرِهم، فهم مصابيحُ الدُّجى وأئمةُ الهدى، شهدوا الوحيَ والتنزيلَ، وعلموا التفسيرَ والتأويلَ، السابقون إلى الفضائلِ والمكرماتِ، والمتبوئون في الآخرةِ أعاليَ الجناتِ ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾[2] فلا خيرَ إلا في سبيلِهم، ولا يحبُهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضُهم إلا منافق.

أحبتي في اللّه

أصحابُ رسولِ اللّه(ﷺ) هم خيرُ قومٍ ومعشرٍ - رضيَ اللّهُ عنهم ورضوا عنه - إلا أنَّ أفضلَهم منزلةً وأعلاهم مكانةً صديقُ هذه الأمةِ أبو بكر عبدُ اللّهِ بنُ عثمانَ، السابقُ إلى الإسلامِ والإيمان، فهو أوَّلُ مَن آمنَ مِنَ الرجالِ.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٥.

(٢) سورة الفتح الآية: ٢٩.

خـــيرَ البريـــةِ أتقاهـــا وأعـــدَلها بعدَ الـنبيِّ وأوفـــاها بمَـا حملا
والثَّـانيَ التـالي المحمـودَ مشـهدُهُ وأوَّلُ الناسِ منهم صدَّقَ الرسلا[1]

أبـو بكـرٍ الصـديقُ – رضـيَ اللّٰهُ عنـهُ – صـاحبُ رسـولِ اللّٰه (ﷺ)في الجاهليةِ والإسلامِ، وأعظمُ الصحابةِ اجتماعًا برسولِ اللّٰه (ﷺ)ليلًا ونهارًا، حضـرًا وسـفرًا، فقـد لازمَ أبـو بكـرٍ – رضـيَ اللّٰهُ عنـه – رسـولَ اللّٰه (ﷺ)حياتَه كلَّها، فكانَ معهُ في مكةَ معينًا ونصيرًا، وكانَ معهُ في الهجرةِ إلى المدينةِ رفيقًا شفيقًا، وكانَ معهُ في المدينةِ عضيدًا وزيـرًا، شـهدَ مـعَ الـنبيِّ (ﷺ)المشاهدَ والمعاركَ كلَّها، وشهدَ اللّٰهُ لهُ بالصحبةِ في كتابِهِ، وتلـكَ منقبـةٌ عظيمةٌ وفضيلةٌ شماءُ، قـالَ اللّٰهُ تعـالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾[2].

أيُّها المؤمنون

أبو بكرٍ – رضيَ اللّٰهُ عنه – صاحبُ الفضائلِ والمناقبُ حـبُّ رسـولِ اللّٰه (ﷺ) وخاصتُه ، فكانَ حبُّ رسولِ اللّٰه(ﷺ) للصديقِ لم يعـدل بـه رجـلًا.

قالَ رسولُ اللّٰه (ﷺ):"إنَّ مِن أمنِّ الناسِ عليَّ في صحبتِه ومالِهِ أبـا بكـرٍ، ولو كنتُ متخذًا خليلًا لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلًا، ولكنَّهُ أخي وصاحبي"، وقالَ (ﷺ)مشـيدًا بـأبي بكـرٍ :"إنَّ اللّٰه بعـثني إلـيكم فقلتُم:كـذبتَ، وقـالَ أبو بكرٍ:صدقَ ؛وواساني بنفسِـه ومالِـه؛ فهـل أنـتم تـاركو لي صـاحبي ؟!

إخوةَ الإيمان

إنَّ أبا بكرٍ – رضيَ اللّٰهُ عنهُ – لم يحصل تلكَ المنزلـةَ العاليـةَ والمكانـةَ الرفيعةَ إلا بجدٍ وإخلاصٍ، وجهادٍ وهمةٍ عاليةٍ ؛ ورغبةٍ صادقةٍ ؛ وأعمالٍ صالحةٍ؛ ويدٍ باذلةٍ ؛ وعينٍ باكيةٍ، ويجمـعُ ذلـكَ كلَّـهُ قلـبٌ صـادقٌ، ونفـسٌ

(١) الأبياتُ لحسانَ بنِ ثابتٍ الأنصاريِّ – رضيَ اللّٰهُ عنه – ؛ ومطلعُها:
إذا تَـــذَكَّرْتَ شَـــجْوًا مِـــن أخِـــي ثِقَـــةٍ فـــاذْكُرْ أخـــاكَ أبـــا بَكْـــرٍ بمـــا فَعَـــلا

(٢) سورة التوبة الآية: ٤٠ .

زاكيةٌ جادةٌ صادقةٌ في طلب ما عندَ اللهِ فعن أبي هريرةَ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ : قالَ رسولُ اللهِ (ﷺ)لأصحابِه يومًا : "مَن أصبحَ منكم اليومَ صائمًا ؟ قالَ أبو بكرٍ: أنا . فقالَ رسولُ اللهِ: فمنَ تبعَ منكم اليومَ جنازةً؟ قالَ أبو بكرٍ: أنا. قالَ رسولُ اللهِ: فمنَ أطعمَ اليومَ منكم مسكينًا؟ قالَ أبو بكرٍ: أنا . قالَ رسولُ اللهِ: فمن عادَ منكم اليوم مريضًا؟ قالَ أبو بكرٍ: أنا . فقالَ النبيُّ (ﷺ): "ما اجتمعنَ في امرئٍ إلا دخلَ الجنةَ ".

أيُّها المؤمنون

أبو بكرٍ - رضيَ اللهُ عنه - أعظمُ الأمةِ بعدَ رسولِ اللهِ صبرًا ، وأثبتُهم يقينًا ، وأعمقُهم إيمانًا ، وشواهدُ ذلكَ كثيرةٌ عديدةٌ ، فقد ثبَّت اللهُ بأبي بكرٍ صحابةَ رسولِ اللهِ(ﷺ) لما طاشت عقولُهم، وارتجت أفئدتُهم، وزُلزلت أقدامُهم عندَ موتِ رسولِ اللهِ (ﷺ) فقامَ أبو بكرٍ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ، ثم قالَ: " ألا مَن كانَ يعبدُ محمدًا، فإنَّ محمدًا قد ماتَ، ومَن كانَ يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، وقرأَ عليهم قولَ اللهِ تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ، وقولَ اللهِ تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[2] فكشفَ اللهُ بهِ عنهم الاضطرابَ، وثابَ الناسُ بكلامِه وتوجيهِه إلى الجادةِ والصوابِ.

أيُّها الكرامُ البررةُ

أبو بكرٍ جبلٌ شامخٌ، لا تزعزعُه العواصفُ، ولا تستفزُه الأزماتُ، رابطُ الجأشِ سديدُ الرأيِ، فما أنَ ذاعَ نبأُ موتِ رسولِ اللهِ (ﷺ) حتى ارتدَّت أحياءٌ مِنَ العربِ ، ومنعَ قومٌ الزكاةَ، ونجمَ النفاقُ ، وتربصَ اليهودُ والنصارى، فكان خطبًا جللًا، وحدثًا جسيمًا، تنهدُّ لهُ الجبالُ الراسياتُ،

---

(١) سورة الزمر الآية: ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٤٤ .

فقالَ أبو بكرٍ: أنا لها أنا لها، لأقاتلنَ مَن فرَّقَ بينَ الصلاةِ والزكاةِ، فبعثَ البعوثَ وجهزَ الجيوشَ وقاتلَ المرتدين ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾[1] وثبَّتَ اللهُ التوحيدَ في جزيرةِ العربِ بالصديقِ، وقصمَ فيها فقارَ الشركِ والوثنيةِ، فرضيَ اللهُ عنك يا أبا بكرٍ، وجزاكَ عنِ الإسلامِ والمسلمين خيرَ الجزاءِ، وجمعنا بكَ في جناتِ النعيمِ.

أيُّها السادةُ

هذهِ ومضاتٌ ولمحاتٌ من سيرةِ الصديقِ، وهي قليلٌ مِن كثيرٍ وغيضٌ مِن فيضٍ، فخلالُ أبي بكر معلومةٌ مشهورةٌ: زهدٌ في ورعٍ؛ بكاءٌ في خشيةٍ، بذلٌ وعطاءٌ، صبرٌ وجهادٌ، صحبةٌ وهجرةٌ، خشيةٌ وإنابةٌ، حزمٌ وبصيرةٌ، صدقٌ وإحسانٌ.

عبادَ اللهِ

يقولُ الحقُ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾[2].

★★★

الحمدُ للهِ حقَّ حمدِهِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وآلِهِ مِن بعدِهِ.

أمَّا بعدُ:

فالزموا - عبادَ اللهِ - وصيةَ ربٍّ رحيمٍ، فهو يناديكم بقولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[3] فاتقوا اللهَ -

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢٥.
(٢) سورة هود الآية: ٣.
(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

عبـادَ اللّٰه – واقـرؤوا سـيرَ الصـحابةِ الـبررةِ والصـالحين السـابقين واللاحقين؛ فإنَّ في قصصِهم وسيرِهم عبرةً وعظةً ينشئُ اللّٰهُ بها أمثالَهم.

اعتبروا – عبـادَ اللّٰه – بسـيرِ صـحابةِ رسـولِ اللّٰه(ﷺ)لتعرفـوا فضـلَهم وسابقَتَهم، وليرسخَ في قلوبِكم حبُّهم، وينشطَ فيها صدقُ الرغبةِ في التأسي بهم، ولتعلموا عظمَ جرمِ من تعرضَ لمقامِ الصحابةِ، وتطاولَ عليهم، وقلـلَ مِن شأنِهم .

مـا يَضـرُّ البحـرَ أمسـى زاخـرًا أن رمـى فيـهِ غـلامٌ بحجـر

هذا وصلوا وسلموا على النعمةِ المسداةِ والرحمةِ المهداةِ .

الخطبةُ الثامنة والتسعون

الموتُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه المتفردِ بالعزةِ والجبروتِ والبقاءِ، أذلَ أصنافَ الخلقِ بما كتبَ عليهم مِن الفناءِ، فإذا هم مردودون في الحافرةِ،أحمدُه سبحانَهُ جعلَ الموتَ مخلصًا للأتقياءِ، وسوءَ منقلبٍ للأشقياءِ، فإذا ذُكرَ الموتُ فإذا قلوبُهم نافرةً، وأشكرُهُ، وأثني عليهِ فلهُ الإنعامُ بالنعمِ المتظاهرةِ، ولهُ الانتقامُ بالنقمِ القاهرةِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الحمدُ في الأولى والآخرةِ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسلَهُ لإنفاذِ أمرِهِ، وإنهاءِ عذرِه، وتقديمِ نذرِه، فأيَّدَهُ بالحججِ الباهرةِ، صلى اللّهُ وسلمَ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابِه والتابعين، ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ؛ أمَّا بعد:

فأيُّها الناسُ

أوصي نفسي وإياكم بتقوى اللّه، فمن لا يتقي اللّهَ تتشابَهُ عليه السبلُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾[1].

عبادَ اللّه

ها نحنُ نعيشُ أيامَ الامتحاناتِ التي غيَّرنا فيها البرامجَ وأجَّلنا فيها الترفيهَ، وعزمنا فيها على الجدِ والاجتهادِ لتحصيلِ أعظمِ الدرجاتِ، ونيلِ المقدمةِ في المرتبةِ، وهذا هو شأنُ العقلاءِ يبذلون الجهدَ لينالوا الفوزَ والفلاحَ .

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٩.

وجديرٌ بنا أن نتذكرَ في هذا الوقتِ امتحانَ ربِّنا ووقتِ انتقالِنا لنعملَ مثلَ العقلاءِ فنفوزَ ونفلحَ .

أيُّها الناسُ

مَن خافَ الوعيدَ قصرَ عليهِ البعيدُ ، ومَن طالَ أملُه ضَعفَ عملُه ، وكلُّ ما هوَ آتٍ قريبٌ .

إنَّ اللّهَ لم يخلقْكم عبثًا، ولم يتركْكم سدًا، فتزودوا مِن دنياكم ما تحرزونَ بهِ أنفسَكم غدًا، فالأجلُ مستورُ والأملُ خادعٌ .

نشيعُ الجنائزَ، ونمشي معها ونحن في غفلةٍ عنها، نتكلمُ كلامَ الدنيا، ونرى مواكبَ الأمواتِ تمرُّ بنا فلا نفكرُ ولا نعتبرُ ولا نقدرُ أننا سنموتُ كما ماتوا، وماتَ مَن كان أصحَّ منا، وكانَ أشدَّ منا قوةً وأكبرَ سلطانًا وأكثرَ أعوانًا، فما دفعت عنه الموتَ صحتُه ولا حماه منهُ سلطانُه ولا أعوانُه، نعرفُ بعقولِنا إنَّ الموتَ كأسٌ سيشربُ منها كلُّ حيٍّ، ولكننا ننسى هذه الحقيقةَ بشعورِنا وعواطفِنا، وتحجبُها عنا شواغلُ يومِنا، وتوافُه دنيانا، يقولُ كلُّ واحدٍ منا بلسانه إنَّ الموتَ حقٌ، وإنَّه مقدرٌ على كلِّ حيٍّ، ويقولُ بفعلِهِ لن أموتَ لقد كُتبَ الموتُ على كلِّ نفسٍ إلا نفسي، فلا تزالُ في العمرِ فسحةٌ، ولن يأتيَني أجلي أبدًا.

أيُّها الإخوةُ

أهلُ الغفلةِ أعمارُهم عليهم حجةٌ، وأيامُهم تقودُهم إلى شقوةٍ، كيف تُرجى الآخرةُ بلا عملٍ، وكيف تكونُ التوبةُ لمن طالَ به الأملُ.

يا أهلَ الغفلةِ

هذه الدنيا كم من واثقٍ فجعتهُ، وكم مِن مطمئنٍ صرعته، وكم من مختالٍ أذلته، وكم مِن غنيٍّ أفقرته، أتدرونَ يا مَن ثقلَ عليكم ذكرُ الموتِ ويا من مللتم مِنَ التذكيرِ بهِ: يقولُ رسولُكم (ﷺ): " أكثروا مِن ذكرِ هادمِ اللذاتِ ". كلامٌ مختصرٌ وجيزٌ، فمَن ذكرَ الموتَ حاسبَ نفسَه، ولكنا ونحن أهلُ الغفلةِ نحتاجُ إلى تطويلِ الخطابِ، وتزويقِ الألفاظِ، لقد وقفَ نبيُكم (ﷺ) على شفيرِ قبرٍ، فبكى حتى بل الثرى، ثم قالَ: " يا إخواني لمثلِ هذا فأعدوا ".

ولما سُئلَ (ﷺ) مَن أكيسُ الناسِ؟ قالَ: " أكثرُهم ذكرًا للموتِ وأشدُّهم استعدادًا لهُ، أولئك الأكياسُ ذهبوا بشرفِ الدنيا وكرامةِ الآخرةِ ".

وقالَ – عليه الصلاةُ والسلامُ –: " الكيسُ مَن دانَ نفسَهُ، وعملَ لما بعدَ الموتِ ".

أيُّها المؤمنون

اذكروا ملاقاةَ الموتِ والسكراتِ، وحشرجةَ الروحِ والزفراتِ، فمَن أكثرَ ذكرَ الموتِ عجَّلَ التوبةَ، ونشطَ على العبادةِ، وقنعَ بالقليلِ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[1].

أيُّها العصاةُ

توبوا قبلَ أن تموتوا، وقد وردَ في بعضِ الآثارِ: " بادروا بالأعمالِ قبلَ أن تشغلوا فهل تنتظرونَ إلا فقرًا منسيًا أو غنى مطغيًا أو مرضًا مفسدًا أو هرمًا مفندًا أو موتًا مجهزًا أو الدجالَ فشرٌّ غائبٌ ينتظرٌ أو الساعةٌ فالساعةُ أدهى وأمرُّ ".

عبادَ اللّهِ

أكثروا من زيارةِ القبورِ فإنَّها تذكركم بالآخرةِ، اعتبروا بمن صارَ تحتَ التراب، وانقطعَ عنِ الأهلِ والأحبابِ، اتقوا اللّهَ، وارجوا الآخرةَ، دارٌ لا يموتُ ساكنُها، ولا يخربُ بنيانُها، ولا يهرمُ شبابُها، يتقلبُ أهلُها في رحمةِ أرحمِ الراحمين: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[2].

---

(١) سورة الجُمعة الآية: ٨.

(٢) سورة يونس الآية: ١٠.

بارك اللّهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللّهَ العظيمَ لي ولكم، ولسائر المسلمين، إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ، وادعوه يستجب لكم إنَّه هو البرُّ الكريم .

★★★

الحمدُ للّه غيرَ مقنوطٍ مِن رحمتِهِ، ولا مخلوٍّ من نعمتِه، ولا ميؤوسٍ مِن مغفرتِه، أحمدُه سبحانَه وأشكرُه على سوابغِ نعمتِهِ، وأشهدُ أن لا إلـه إلا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ومصطفاه وخيرتُه مِن خلقِه صلى اللّهُ عليه وعلى آلهِ وصحبِه، ومَن سارَ على نهجِه، واقتفى أثرَه إلى يومِ الدينِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا أيُّها المؤمنون

ما زالتِ الوصيةُ المنجيةُ واحدةً ألا وهي تقوى اللّهِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾[1] وما زلنا معَ الحديثِ عن نهايتِنا، وتعالوا نختمُ هذا الحديثَ بخبرٍ يرويه البراءُ بنُ عازبٍ – رضيَ اللّهُ عنهُ – يقولُ خرجْنا مع النبيِّ (ﷺ) في جنازةِ رجلٍ مِنَ الأنصارِ فانتهينا إلى القبرِ، ولما يُلحَّدْ فجلسَ رسولُ اللّه (ﷺ)، وجلسنا حولَهُ، وكأنَّ على رؤوسِنا الطيرَ، وفي يدِهِ عودٌ ينكتُ في الأرضِ، فرفعَ رأسَهُ، فقالَ: " استعيذوا باللّه مِن عذابِ القبرِ مرةً أو مرتين "، ثم قالَ: " إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ مِنَ الآخرةِ، نزلَ إليهِ ملائكةٌ مِنَ السماءِ بيضُ الوجوهِ، كأنَّ وجوهَهُم الشمسُ، معهم كفنٌ مِن أكفانِ الجنةِ وحَنوطٌ مِن حَنوطِ الجنةِ حتى يجلسوا منه مدَّ البصرِ، ثم يجيءُ ملكُ الموتِ حتى يجلسَ عند رأسِهِ"، فيقولُ: " أيتُها النفسُ الطيبةُ أخرجي

(١) سورة النساء الآية: ١.

إلى مغفرةٍ من اللّه ورضوانٍ"، قالَ:" فتخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القَطرةُ مِن في السقاءِ فيأخذُها، فإذا أخذَها لم يدعوها في يدِه طرفةَ عينٍ حتى يأخذوها ويجعلوها في ذلكَ الكفنِ، وفي ذلك الحَنوطِ، ويخرجُ منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وجدت على الأرضِ ".

قال:" وأمَّا العبدُ الكافرُ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ مِن الآخرةِ، نزلَ إليهِ مِن السماءِ ملائكةٌ سودُ الوجوهِ، معهم المسوحُ فيجلسون منه مدَّ البصرِ، ثم يجيءُ ملكُ الموتِ، فيجلسُ عندَ رأسِهِ، فيقولُ: أيَّتُها النفسُ الخبيثةُ، أُخرجي إلى سخطٍ مِنَ اللّه، وغضبٍ"، قالَ:" فتفرقُ في جسدِه فينتزعُها كما ينتزعُ السَّفُّودُ[1] مِن الصوفِ المبلولِ فيأخذُها فإذا أخذَها لم يدعوها في يدِه طرفةَ عينٍ حتى يجعلوها في تلكَ المسوحِ، ويخرجُ منها كأنتنِ ريحِ جيفةٍ وجدت على وجهِ الأرضِ، اللهم هوِّن علينا سكراتِ الموتِ واجعل نفوسَنا مطمئنةً.

هذا وصلوا وسلموا على إمامِ المرسلين، وقائدِ الغرِّ المحجلين الميامين .

(١) الحديدةُ التي يُشوى عليها اللحمُ، وفي روايةٍ لأحمد: السُّفود: الكثيرُ الشعب، قالَ الطيبي: شبَّه نزعَ روحِ الكافرِ مِن أقصى عروقِه بحيثُ يصحبُه العروقُ، كما قالَ في الروايةِ الأخرى: وتنزعُ نفسُه مع العروقِ بنزعِ السفودِ، وهو الحديدةُ التي يُشوي بها اللحمُ، فيبقى معها بقيةٌ من المحروقِ فيستصحبُ عند الجذبِ شيئًا من ذلك الصوفِ مع قوةٍ وشدةٍ، وبعكسِه شبَّه خروجَ روحِ المؤمنِ مِن جسدِه بترشحِ الماءِ وسيلانِه من القربةِ المملوءةِ ماءً مع سهولةٍ ولطفٍ .

الخطبةُ التاسعةُ والتسعون

فضائلُ الصحابةِ (رضوانُ اللّهِ عليهم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه ربِّ المشارقِ والمغاربِ، خلقَ الإنسانَ من طينٍ لازبٍ،ثم جعلَهُ نطفةً بينَ الصُلبِ والترائبِ، خلقَ منهُ زوجَهُ، وجعلَ منهما الأبناءَ والأقاربَ، تلطَّفَ بهِ فنوَّعَ لَهُ المطاعمَ والمشاربَ، نحمدُه تباركَ وتعالى حمدَ الطامعِ في المزيدِ والطالبِ، ونعوذُ بنورِ وجههِ الكريمِ من شرِّ العواقبِ، وندعوهُ دعاءَ المستغفرِ الوجلِ التائبِ أن يحفظَنا مِن كلِّ شرٍ حاضرٍ أو غائبٍ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ القويُّ الغالبُ شهادةً متيقنٍ بأنَّ الوحدانيةَ للّه أمرٌ لازمٌ لازبٌ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُ اللّه ورسولُ الملكِ الواهبِ ما من عاقلٍ إلا وَعَلِمَ أنَّ الإيمانَ بهِ حقٌ وواجبٌ، يا ربِ صلِ على الحبيبِ المصطفى ذي الفضائلِ والمواهبِ وعلى أصحابِهِ، وآلهِ والتابعين بإحسانٍ عددَ ما في الكونِ من عجائبَ وغرائبَ؛ أمّا بعد:

فيا إخوةَ العقيدةِ الإسلاميةِ

فأوصيكم ونفسي بتقوى اللّه، فالتّقوى سبيلُ الفلاحِ وطريقُ النّجاحِ، عزٌّ في الدنيا، ورفعةٌ في الآخرةِ، قالَ اللّهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1]

عبادَ اللّه

أجمعَ المسلمون على أنَّ الصحابةَ رأسُ الأولياءِ وصفوةُ الأتقياءِ، قدوةُ المؤمنين وأسوةُ المسلمين وخيرُ عبادِ اللّه بعدَ الأنبياءِ والمرسلين؛ جمعوا بينَ

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

العلمِ بما جاءَ بهِ رسولُ اللهِ(ﷺ) وبينَ الجهادِ بينَ يديهِ، شرَّفَهُم اللهُ بمشاهدةِ خاتَمِ أنبيائِهِ وصُحبتِهِ في السَّراءِ والضَّرَّاءِ وبذلِهِم لأنفسِهم وأموالِهم للجهادِ في سبيلِ اللهِ، حتّى صاروا خيرةَ الخِيَرةِ وأفضلَ القرونِ بشهادةِ المعصومِ .

هم خيرُ الأمَمِ سابقِهم ولاحقِهم، أولِهم وآخرِهم. هم الذين أقاموا أعمدَةَ الإسلامِ، وشادوا قصورَ الدّينِ، قطعوا حبائلَ الشّركِ، أوصلوا دينَ الإسلامِ إلى أطرافِ المعمورةِ، فاتّسعت رقعةُ الإسلامِ، وطبَّقتِ الأرضُ شرائعَ الإيمانِ، فهم أدقُّ النّاسِ فهمًا، وأغزرُهم علمًا، وأصدقُهم إيمانًا وأحسنُهم عملًا. كيفَ لا؟! وقد تربُّوا على يدَي النبيِّ(ﷺ)، ونهلوا من ماءِ معينِهِ الصّافي، وشاهدوا التنزيلَ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ – رضيَ اللهُ عنهُ – قالَ: " إنَّ اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ فوجدَ قلبَ محمّدٍ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاه لنفسِهِ فابتعثهُ برسالتِه، ثمّ نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمّدٍ(ﷺ) فوجدَ قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلَهم وزراءَ نبيِّه، يقاتلون على دينِه".

وقد وردتِ الآياتُ الصريحةُ والأحاديثُ الصّحيحةُ في فضائلِ الصحابةِ – رضيَ اللهُ عنهم –، مِن ذلكَ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1] وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾[1] وقالَ جلَّ وعلا: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن

(١) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

(١) سورة الفتح الآية: ١٨- ١٩ .

دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾[٢] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾[٣]، وعن عمرانَ بنِ حصينٍ – رضيَ اللّٰهُ عنهما – قالَ: قالَ رسولُ اللّٰه(ﷺ): " خيرُ أمّتي قرني، ثمّ الذين يلونَهم، ثمّ الذين يلونَهم"، قالَ عمرانُ: "فلا أدري أذكرَ بعدَ قرنه قرنين أو ثلاثًا "، وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ – رضيَ اللّٰهُ عنهُ – قالَ: قالَ رسولُ اللّٰه(ﷺ): " لا تسبوا أحدًا مِن أصحابي، فإنَّ أحدَكم لو أنفقَ مثلَ أحدٍ ذهبًا ما أدركَ مدَّ أحدِهم ولا نصيفَهُ".

إنَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ في ما كانَ عليهِ أصحابُ رسولِ اللّٰه(ﷺ)، هم من حفظَ اللّٰهُ بهم كتابَه أمينًا عن أمينٍ، حتّى أدّوا أمانةَ ربِّهم. وتفرَّغَ فريقٌ مِنَ الصّحابةِ لحملِ أمانةِ السنّةِ، وذرعوا أقطارَ الأرضِ لينشروها، وآخرون حملوا أمانةَ الخلافةِ والرّعايةِ والجهادِ والحقوقِ، وعملوا على نقلِ الأمَمِ إلى الإسلامِ، يعرِّبون ألسنتَها، ويطهِّرون نفوسَها، ويسلكونها طريقَ اللّٰهِ المستقيمَ، وقد باركَ اللّٰهُ في أوقاتِهم، وأتمَّ على أيديهم في عقودٍ ما لم يتحقّق لغيرِهم، كانوا سبَّاقين للنّاس في كلِّ خيرٍ، في

(٢) سورة الحشر الآية: ٨ – ٩ .
(٣) سورة الفتح الآية: ٢٩ .

ميدانِ الجهادِ، في ميدانِ الدّعوةِ، في ميدانِ البَذلِ والعطاءِ، في ميدانِ النّوافلِ والعبادةِ، - فرضيَ اللّهُ عن الصّحابةِ أجمعين -.

نصَروا رسولَ اللّه(ﷺ) في غزواتِه وحروبِه، بايَعوا على بذلِ أنفسِهم في سبيلِ اللّه، عن أنسِ بنِ مالكٍ - رضيَ اللّهُ عنهُ - قالَ: خرجَ رسولُ اللّه(ﷺ) إلى الخندقِ فإذا المهاجرون والأنصارُ يحفرون في غداةٍ باردةٍ، فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلكَ لهم، فلمّا رأى ما بهم مِن النصَبِ والجوعِ، قالَ(ﷺ): " اللهمّ إنَّ العيشَ عيشُ الآخرةِ، فاغفِر للأنصارِ والمهاجِرةِ ".

نالَ الصحابةُ - رضيَ اللّهُ عنهم - شرفَ لقاءِ النبيِّ الرحيمِ(ﷺ)، فكانَ لهم النصيبُ الأوفى من محبَّتِهِ وتعظيمِه، سُئلَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ - رضيَ اللّهُ عنهُ -: كيفَ كانَ حبُّكم لرسولِ اللّه؟ قالَ: " كانَ - واللّه - أحبَّ إلينا مِن أموالِنا وأولادِنا وآبائِنا وأمّهاتِنا، ومِنَ الماءِ الباردِ على الظمأِ ".

وسألَ أبو سفيانَ بنِ حربٍ - وهوَ على الشّركِ حينذاكَ - زيدَ بنَ الدّثِنّةِ - رضيَ اللّهُ عنهُ - حينَما أخرجَهُ أهلُ مكّةَ مِن الحرمِ ليقتلوه، وقد كانَ أسيرًا عندَهم: أُنشدكَ باللّه يا زيدُ، أتحبُّ أنّ محمّدًا الآنَ عندَنا مكانَكَ نضربُ عنقَهُ، وأنّكَ في أهلِكَ؟ قالَ: واللّه، ما أحبُّ أنَّ محمّدًا الآنَ في مكانهِ الذي هوَ فيهِ تصيبُهُ شوكةٌ تؤذيهِ، وإنّي جالسٌ في أهلي، فقالَ أبو سفيانَ: " ما رأيتُ مِن النّاسِ أحدًا يحبُّ أحدًا كحبِّ أصحابِ محمّدٍ محمّدًا ".

حكَّمَ الصحابةُ - رضيَ اللّهُ عنهم - رسولَ اللّه(ﷺ) في أنفسِهم وأموالِهم فقالوا: " هذه أموالُنا بينَ يدَيك فاحكُم فيها بما شئتَ، هذه نفوسُنا بينَ يديكَ لو استعرضتَ بنا البحرَ لخضناهُ نقاتِلُ بينَ يديكَ، ومِن خلفك، وعن يمينِكَ وعن شمالِك.

نحنُ نحبُّ أصحابَ رسولِ اللّه(ﷺ)، ولا نذكرُهم إلا بالخيرِ، ونشهدُ لجميعِ المهاجرين والأنصارِ بالجنّةِ والرضوانِ والتّوبةِ والرحمةِ مِن اللّه،

ويجبُ أن يستقرَّ علمُكَ وتوقِن بقلبك أنَّ رجلًا رأى النبيَّ(ﷺ) وشاهدَه وآمن بهِ واتّبعَه ولو ساعةً مِن نهارٍ أفضلُ ممّن لم يرَه ولم يشاهدْهُ، ثمّ علينا التَّرحّمُ على أصحابِ رسولِ اللّه(ﷺ) صغيرِهم وكبيرِهم وذكرُ محاسنِهم ونشرُ فضائلِهم والاقتداءُ بهديِهم والاقتفاءُ لآثارِهم؛ نكفُّ عمَّا شجرَ بينَ أصحابِ رسولِ اللّه(ﷺ)، فقد شهدوا المشاهدَ معه، وسبقوا النّاسَ بالفضلِ، غفرَ اللّهُ لهم، وأمرَ بالاستغفارِ لهم والتقرّبِ إليهم ومحبّتِهم، وقد فرضَ ذلكَ على لسانِ نبيّهِ، فلا يتتبّع هفواتِ أصحابِ رسولِ اللّه(ﷺ) وزللَهم إلاّ مفتونُ القلبِ في دينِهِ.

إنَّ هذه الآثارَ المرويّةَ في مساويهم منها ما هو كذبٌ، ومنها ما قد زيدَ فيه ونقص، فغيِّر عن وجهِهِ، والصحيحُ منه هم فيه معذورون، إمّا مجتهدون مصيبون، وإمّا مجتهدون مخطِئون، ثمّ إنَّ القدرَ الذي يُنكَرُ من فعلِ بعضِهم قليلٌ ونزرٌ مغفورٌ في جنبِ فضائلِ القومِ ومحاسنِهم مِنَ الإيمانِ باللّهِ ورسولِه(ﷺ) والجهادِ في سبيلِهِ والهجرةِ والنُّصرةِ والعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ.

ولا يُسألُ عن عدالةِ أحدٍ مِنَ الصّحابةِ، بل ذلك أمرٌ مفروغٌ منه؛ لكونهم على الإطلاقِ معدّلين بنصوصِ الكتابِ والسنّةِ وإجماعِ من يُعتَدُّ به في الإجماعِ مِن الأمّةِ، ويروى مِن حديثِ أنسِ بن مالكٍ: " آيةُ الإيمان حبُّ الأنصارِ، وآيةُ النّفاقِ بغضُ الأنصارِ " .

باركَ اللّهُ لي ولكم في القرآن العظيمِ، ونفعني وإيّاكم بما فيهِ مِن الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللّهَ العظيمَ لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

★★★

الحمدُ للّهِ حمدَ الشاكرين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وليّ الصابرين، وأشهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُه إمامُ المتّقين،

صلى اللّهُ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين؛ أمَّا بعدُ: فأوصيكم ونفسي بتقوى اللّه.

إخوةَ الإسلام، أفضلُ الصّحابةِ على الاطلاقِ أبو بكرٍ وفاروقُ الأمةِ – رضيَ اللّهُ عنهما – فقد وردَ: "خيرُ هذه الأمّةِ بعدَ نبيِّها أبو بكرٍ ثمّ عمرُ" "اقتَدوا بالذينَ مِن بعدي: أبي بكرٍ وعمرَ"، وعن محمدِ بنِ الحنفيّةِ أنَّهُ قالَ لأبيه عليِّ بنِ أبي طالبٍ – كرَّمَ اللّهُ وجهَهُ –: يا أبتِ، مَن خيرُ النّاسِ بعدَ رسولِ اللّه ؟ قالَ: أوَما تعلم يا بنيِّ؟! قلتُ: لا، قالَ: أبو بكرٍ. أنزلَ اللّهُ في فضائلِ أبي بكرٍ – رضيَ اللّهُ عنه – آياتٍ مِن القرآن، قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[1] لا خلافَ أنّ ذلك في أبي بكرٍ – رضيَ اللّهُ عنه –، فنعته بالفضلِ – رضوانُ اللّهِ عليه –، وقالَ تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[2] لا خلافَ – أيضًا – أنّ ذلك في أبي بكرٍ – رضيَ اللّهُ عنه –، شهدَ لهُ ربُّ العالمين بالصّحبةِ، وبشَّرَه بالسّكينةِ، وحلاَّه بثاني اثنين كما قالَ عمرُ بنُ الخطابِ – رضيَ اللّهُ عنهُ –: " مَن يكونُ أفضلُ من ثاني اثنين اللّهُ ثالثهما؟!، وقالَ رسولُ اللّه(ﷺ): "ما نفعني مالٌ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ"، فبكى أبو بكرٍ – رضيَ اللّهُ عنهُ – وقالَ: " هل أنا ومالي إلاّ لكَ يا رسولَ اللّه؟!".

وفي عمرَ – رضيَ اللّهُ عنه – يقولُ النبيُّ(ﷺ): " ما لقيَك الشيطانُ سالكًا فجًّا إلا سلكَ فجًّا غيرَ فجِّك"، ويقولُ(ﷺ): "قد كانَ في الأممِ قبلكم

(١) سورة النور الآية: ٢٢ .
(٢) سورة التوبة الآية: ٤٠ .

محدَّثون، فإن يكن في أمّتي منهم أحدٌ فإنَّ عمرَ بنَ الخطابِ منهم". ومعنى محدَّثون أي: ملهَمون. وعمرُ - رضيَ اللّهُ عنه - مُلهَم، قد جاءَ القرآنُ العظيمُ بموافقته، فقد نصحَ رسولُ اللّه(ﷺ) أن يحجبَ نساءَه، وقالَ: يا رسولَ اللّه، لو اتّخذتَ من مقامِ إبراهيمَ مصلًّى، وقالَ لهُ في شأنِ الأسرى، فأنزلَ اللّهُ القرآنَ بموافقةِ عمرَ الملهَم. وهكذا - أيضًا - فتحَ اللّهُ الفتوحاتِ على يدِ عمرَ. وعن جابرٍ قالَ: قيلَ لعائشة - رضيَ اللّهُ عنها -: إنَّ ناسًا يتناولون أصحابَ رسولِ اللّه حتّى أبا بكرٍ وعمرَ، فقالت: وما تعجَبون مِن هذا؟! انقطع عنهم العملُ، فأحبَّ اللّهُ ألّا ينقطعَ عنهم الأجرُ.

إخوةَ الإسلامِ

ثم بعدَ الخليفتين الراشدين أبي بكرٍ وعمرَ - رضيَ اللّهُ عنهما - نكنُ الاحترامَ والتقديرَ لصحابةِ رسولِ اللّه(ﷺ) لأنَّهم مِن أصحابِ الدرجاتِ العظماءِ عندَ اللّهِ تعالى إذ يقولُ فيهم الحقُّ جل وعلا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾[1] ألا وصلّوا وسلموا - عبادَ اللّهِ - على رسولِ الهدى، فقد أمركم بذلكَ ربُّكم جلَّ وعلا .

(١) سورة الحديد الآية: ١٠ .

الخطبةُ المئةُ

تربيةُ الأسرةِ على الصراطِ المستقيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الحكمِ العدلِ اللطيفِ الخبيرِ، أحمدُه سبحانَهُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ، وأشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الخلقُ والأمرُ والتدبيرُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه أكرمُ رسولٍ وخيرُ بشيرٍ، اللهم صلِ وسلم على عبدِكَ ورسولِكَ نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ؛ أمَّا بعدُ:

فيا بني آدم

إنَّ الموتَ أمرٌ كُبَّارٌ لمن أنجدَ وأغارَ، وكأسٌ تدارُ فيمن أقامَ أو سارَ، وبابٌ تسوقُك إليه يدُ الأقدارِ، ويزعجُكَ فيه حكمُ الاضطرارِ، ويخرجُ بكَ، إمَّا إلى الجنةِ وإمَّا إلى النارِ خبرٌ - علمَ اللّهِ - يصمُّ الأسماعَ، ويغيِّرُ الطباعَ، ويكثرُ مِنَ الآلامِ والأوجاعِ، واعلموا أنَّه لو لم يكن في الموتِ إلا الإعدامُ وانحلالُ الأجسامِ ونسيانُك أخرى الليالي والأيامِ لكان - واللّهِ - لأهلِ اللذاتِ مكدرًا ولأصحابِ النعيمِ مغيِّرًا، ولأربابِ العقولِ عنِ الرغبةِ في هذه الدارِ زاجرًا ومنفرًا ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾[1] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[2].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٤٨.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨١.

فيا عبادَ اللّه:

اتقوا اللّهَ تعالى، ولا تغفلوا عن ذكرِ اللّه، وعمَّا استرعاكم اللّهُ مِن الأهلِ والأولادِ، فإنَّ مِن الناسِ مَن تاهوا في غمرةِ مشاغلِ الحياةِ والوظيفةِ والارتباطاتِ فنسوا أن لهم أُسرًا وبيوتًا وأبناءً وزوجاتٍ يحتاجون إلى تربيةٍ ورعايةٍ وإصلاحٍ وتوجيهٍ .

يدخلُ أحدُهم بيتَهُ في غفلةٍ عن أهلِهِ وعن ذكرِ اللّه، لا يذكرُ اسمَ اللّه تعالى حالَ دخولِه ولا يسلمُ على أهلِه، ولا يسألُ عن حالِهم، قد ضاعَ أطفالُه بدون رقيب، وفسدت زوجتُه بدون حسيب.

أفلا يتقي اللّهَ أمثالُ هؤلاءِ في أهليهم؟ فيعتنون بهم ويحفظون الأمانةَ التي استرعاهم اللّهُ عليها، ويشكرون اللّهَ تعالى على ما منحَهم وأعطاهم، قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

وفي الحديثِ أنَّ اللّهَ يقولُ لعبدِه يومَ القيامةِ ممتنًا عليه: " ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والإبل...".

إنَّ مِن نعمِ اللّه تعالى علينا أنَّ منَّ علينا بالأولادِ والأزواجِ والبيوتِ والمساكنِ آيةً مِن آياتِ اللّه الباهرةِ ونعمةً مِن نعمِه الظاهرةِ، سكنًا ورحمةً ولباسًا ومودةً، يتفيأُ المسلمُ خلالَها عن الحرِ، ويستدفئ بها من البردُ، وتسترُه عن الأنظارِ، وتحصنُه مِن الأعداءِ، قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ

(١) سورة النحل الآية: ٧٢ .

لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾[1] .

فعلى المسلمين أن يحيوا بيوتَهم بذكرِ اللهِ تعالى، قراءةً لكتابِ اللهِ وصلاةً وعبادةً وذكرًا، وهي بذلكَ تفارقُ بيوتَ الكفرةِ الخاليةِ من ذكرِ اللهِ، وبيوتَ المنافقين الذين لا يذكرونَ اللهَ تعالى إلا قليلًا، ولذلك كانَ من سنتِه (ﷺ)صلاةَ النافلةِ في بيتِه، عن ابنِ عمرَ - رضيَ اللهُ عنهما - أن النبيَّ (ﷺ)قالَ: "اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا".

وفي هذا دلالةٌ على أنَّه يسنُ للمسلمِ على أن يجعلَ في بيتِه نصيبًا من العبادةِ النافلةِ، لاسيما صلاةُ التطوعِ لتعليمِ أبنائِهِ وأهلِهِ الصلاةَ وتعويدِهم عليها، وإن بيتًا يُنَشَّأ على طاعةِ اللهِ لحريٌّ بهِ أن يكونَ بيتًا إيمانيًا، يعظُم ثوابُ أهلِه ويصفوا عيشَهم، قالَ رسولُ اللهِ(ﷺ): "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ".

قالت عائشةُ - رضيَ اللهُ عنها -: كانَ رسولُ اللهِ (ﷺ)يصلي من الليلِ فإذا أوترَ قالَ: " قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ".

كما بيَّن (ﷺ) الفرقَ بينَ البيتِ الذي يذكرُ اللهَ فيه والبيتِ الذي لا يذكرُ اللهَ فيه في قولِه فيما روي: " مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ".

ورغَّب (ﷺ) في قراءةِ القرآنِ في البيوتِ، لاسيما سورةُ البقرةِ لأنَّ قراءتَها في البيتِ تطردُ عنه الشيطانَ بإذنِ اللهِ تعالى، قالَ (ﷺ): "لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ".

---

(١) سورة النحل الآية: ٨٠- ٨١ .

وعن جابرٍ - رضيَ اللهُ عنه - أنَّه سمعَ النبيَّ (ﷺ) يقولُ: " إذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ - يعني لأصحابه- لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ".

وكم في بيوتِ المسلمين من بيوتٍ ميتةٍ، بل هي في الحقيقةِ مأوى للجنِ والشياطين، بعيدةٌ عن ذكرِ اللهِ، مليئةٌ بالفسادِ والمنكراتِ، لا يُسمعُ فيها إلا مزاميرُ الشيطان وأصواتُ المطربين والمطرباتِ، والحريصُ منهم اكتفى بلوحاتٍ معلقةٍ في بيتهِ زخرفَها بآياتٍ مِنَ القرآن وأحاديثَ مِن السنةِ، وماذا تفيدُ تلك اللوحاتُ إذا كانتِ القلوبُ خاويةً عن ذكرِ اللهِ بعيدةً عن تعاليمِ كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه (ﷺ) ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾[1].

عباد الله

ما أجملَ البيوتَ العامرةَ بذكرِ اللهِ مِن تهليلٍ وتسبيحٍ وتكبيرٍ وتلاوةٍ لكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ينامُ أهلُه ويستيقظون على ذكرِ اللهِ تعالى، يأكلون باسمِ اللهِ، ويلبسون باسمِ اللهِ، ويتربى في كنفِه الأهلُ والأولادُ على الطاعةِ والفضيلةِ، تغشاهم الرحمةُ، وتتنزلُ عليهم السكينةُ، وتحفُّهم الملائكةُ، ويذكرُهم اللهُ في من عنده ،فيكونُ بمثابةِ مدرسةٍ للخيرِ ومنبعٍ للإصلاحِ ومثابةٍ للطمأنينةِ، وصدقَ اللهُ العظيمُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[2].

وما أقبحَ البيوتَ إذا خلت مِن ذكرِ اللهُ فاجتالتها الشياطينُ، وعششت فيها وفرخت، فصارت قبورًا موحشةً وأطلالًا خربةً، فعميت قلوبُ ساكنيها وابتعدت عنها الملائكةُ.

---

(١) سورة الزمر الآية: ٢٢ .

(٢) سورة الرعدالآية: ٢٨ .

فيا أيُّها الأبُ المسلمُ ويا أيُّها الزوجُ المؤمنُ:

اتقوا اللّهَ تعالى، واعلموا أن بيوتَكم أمانةٌ في أعناقِكم، استرعاكم اللّهُ على مَن فيها من الزوجاتِ والأولادِ، واللّهُ سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّا استرعاه، أحفظَ أم ضيَّعَ؟ وما مِن راعٍ يموتُ وهو غاشٌ لرعيتِه إلا حرَّم اللّهُ عليهِ الجنةَ، فيا خيبةَ مَن ضيَّع الأمانةَ وأساءَ التربيةَ .

فاتقوا اللّهَ – عباد اللّه – واشكروه على نعمِه وآلائهِ، فبالشكرِ تدومُ النعمُ وتحفظُ المنحُ .

واعلموا أنَّه لما فسدت بعضٌ مِن البيوتِ، سارت تُرى المظاهرُ المزريةُ، مِن تبرجِ النساءِ والبناتِ، وفسادِ الأطفالِ والناشئةِ، والمكثِ خارجَ المنزلِ إلى ساعاتٍ متأخرةٍ مِنَ الليلِ، بل إلى الفجرِ أحيانًا بدون رقيبٍ ولا مربٍ وأشرُّ من ذلكَ وأقبحُ أنَّ بعضًا مِن البيوتِ التي خلت مِن ذكرِ اللّهِ شُغِلت بوسائلِ الشرِ والفسادِ مِن أفلامٍ خليعةٍ تدعو إلى الفحشاءِ والمنكرِ، وأشرطةِ أغانٍ ماجنةٍ تغري بالعشقِ والغرامِ والهيامِ والإجرامِ؛ فيتخرجُ الطفلُ مِن هذه البيوتِ يحفظُ مِن الأغاني أكثرَ مما يحفظُ من كتابِ اللّهِ وسنةِ رسولهِ (ﷺ)، ويعرفُ مِن سيرِ المغنين والممثلاتِ واللاعبين أكثرَ مما يعرفُ من سيرةِ النبيِّ المصطفى (ﷺ)وصحابتِه الكرامِ – رضيَ اللّهُ عنهم وأرضاهم –، ويجري على لسانهِ مِن ألفاظِ البذاءةِ والسبِ والشتمِ أكثرَ مما يجري عليه من الذكرِ والعبادةِ، ويتربى في تلكَ البيوتِ مَن يتركون الصلاةَ، ويضيعون الجمعةَ والجماعاتِ فإلى اللّهِ المشتكى .

فهؤلاءِ أخربوا بيوتَهم بأيديهم، وأفسدوا أهليهم بما جلبوا لهم في منازلِهم من وسائلَ هدَّامةٍ، ثم يندبون بعد ذلك حظوظَهم على فسادِ أهلِهم وانحرافِ أبنائِهم، وهل يُجنى من الشوكِ العنبَ؟! لا واللّهِ .

فاحرصوا على العنايةِ بأهليكم وأولادِكم، واحذروا مِن التشبهِ بالذينَ اعتنوا بالكلابِ والسباعِ أكثرَ من العنايةِ بأولادِهم، ناسين أو متناسين ما جاءَ مِن الوعيدِ الشديدِ في قولِ النبيِّ (ﷺ): "لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ " .

وعن ابنِ عمرَ - رضيَ اللهُ عنهما - قالَ سمعتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) يقولُ: "مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ نَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ". وفي روايةٍ: قيراطٌ واحدٌ .

ألا فاتقوا اللهَ - أيُّها المسلمون -، واعلموا أنَّ على ربِّ الأسرةِ والبيتِ أن يهتمَ بتربيةِ أهلِه وأبنائهِ التربيةَ الإسلاميةَ الصحيحةَ التي تؤتي ثمارَها بإذن اللهِ، ولا يتحققُ ذلك إلا بشدةِ الملاحظةِ لهم والتفقدِ لأحوالِهم والبحثِ عمَّا يفعلون داخلَ البيتِ وخارجَه وعن مَن يجالسون .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسنِ عبادتِك، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

★★★

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، أحمدُه سبحانَه وأشكرُه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ نبيَنا محمدًا عبدُه ورسولُه (ﷺ) وعلى آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ؛ أمَّا بعدُ:

عبادَ اللهِ

اتقوا اللهَ تعالى، واعلموا أنَّ طاعتَه أقومُ وأقوى، وتزودوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى، واحذروا أسبابَ سخطِ الجبَّارِ فإنَّ أجسامَكم على النارِ لا تقوى، واعلموا أن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ (ﷺ)، وشرَ الأمورِ محدثاتُها وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وعليكم بالجماعةِ فإنَّ يدَ اللهِ مع الجماعةِ، ومَن شذَّ شذَّ في النارِ .

ثم اعلموا أنَّكم غدًا بين يدي اللهِ موقوفون، وبأعمالِكم مجزيون، وعن أفعالِكم محاسبون، وعلى تفريطِكم وإهمالِكم نادمون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[1] ألا وصلوا وسلموا على صاحبِ الخلقِ العظيمِ والمكانِ الرفيعِ .

(١) سورة الشعراء الآية: ٢٢٧.

الفهرسُ

الخطبةُ الحاديةُ والخمسون ٣

٥١. وفاةُ سيدِنا المختارِ محمدٍ (ﷺ) ٣

الخطبةُ الثانيةُ والخمسون ١١

٥٢. الكلمةُ وأثارُها ١١

الخطبةُ الثالثةُ والخمسون ١٧

٥٣. الأسوةُ والمحبةُ لرسولِ اللهِ (ﷺ) ١٧

الخطبةُ الرابعةُ والخمسون ٢٣

٥٤. الفجوةُ والجفوةُ بينَ الإسلامِ والمسلمينَ ٢٣

الخطبةُ الخامسةُ والخمسون ٢٧

٥٥. استغلالُ الوقتِ ٢٧

الخطبةُ السادسةُ والخمسون ٣٣

٥٦. مكانةُ المرأةِ في الإسلامِ ٣٣

الخطبةُ السابعةُ والخمسون ٤٠

٥٧. حوادثُ المرورِ ٤٠

الخطبةُ الثامنةُ والخمسون ٤٦

٥٨. بمناسبةِ ضربِ الغوطةِ الشَّرقيةِ السوريةِ بغازِ السارين ٤٦

الخطبةُ التاسعةُ والخمسون ٥١

٥٩. إسلامُ بلالِ بنِ رباحٍ (رضيَ اللهُ عنه) ٥١

الخطبةُ الستون ٥٨

٦٠. العنايةُ بالريِّ والزراعةِ ٥٨

الخطبةُ الحاديةُ والستون ٦٤

٦١. بمناسبةِ العامِ الدراسيِّ الجديدِ ٦٤

الخطبةُ الثانيةُ والستون ٧١

٦٢. تنبيهاتٌ للمدرسينَ والمدرساتِ ٧١

الخطبةُ الثالثةُ والستون ٧٧

٦٣. وبالوالدين إحسانًا ٧٧
الخطبةُ الرابعةُ والستون ٨٤
٦٤. اللغةُ العربيةُ ٨٤
الخطبةُ الخامسةُ والستون ٩١
٦٥. حادثةُ الإفكِ ٩١
الخطبةُ السادسةُ والستون ٩٧
٦٦. ظاهرةُ النفاقِ من خلالِ معركةِ تبوك ٩٧
الخطبةُ السابعةُ والستون ١٠٣
٦٧. الفتوحاتُ الإسلاميةُ في شهرِ رمضانَ وصورٌ من اضطهادِ المسلمين ١٠٣
الخطبةُ الثامنةُ والستون ١٠٩
٦٨. قصتان من سيرةِ أهلِ الصُّفةِ فقراءِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم ١٠٩
الخطبةُ التاسعةُ والستون ١١٥
٦٩. انتصارًا لرسولِ (ﷺ) من التمثيلِ الامريكيِّ المسيءِ ١١٥
الخطبةُ السبعون ١٢١
٧٠. التحذيرُ من قناةِ حياةِ المسيحيةِ ١٢١
الخطبةُ الحاديةُ السبعون ١٢٧
٧١. لنصرةِ أهلِ غزةَ من حربِ ١٤٣٤هـ ١٢٧
الخطبةُ الثانيةُ والسبعون ١٣٣
٧٢. حلباتُ التفحيصِ بالسياراتِ ١٣٣
الخطبةُ الثالثةُ والسبعون ١٤٠
٧٣. غربةُ الإسلامِ ١٤٠
الخطبةُ الرابعةُ والسبعون ١٤٦
٧٤. قصةُ مؤمنٍ وطاغيةٍ ١٤٦
الخطبةُ الخامسةُ والسبعون ١٥٢
٧٥. بيتُ العنكبوتِ ١٥٢
الخطبةُ السادسةُ والسبعون ١٥٨
٧٦. ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾ ١٥٨

الخطبةُ السابعةُ والسبعون ١٦٣
٧٧. حربُ النظرِ ١٦٤
الخطبةُ الثامنةُ والسبعون ١٧٠
٧٨. استقبالُ رمضانَ ١٧٠
الخطبةُ التاسعةُ والسبعون ١٧٥
٧٩. العشرُ الأواخرُ من شهرِ رمضانَ ١٧٥
الخطبةُ الثمانون ١٨١
٨٠. مآسي العالمِ الإسلاميِّ ١٨١
الخطبةُ الحاديةُ والثمانون ١٨٨
٨١. مكانةُ القلاعِ والحصون والمحافظةُ عليها ١٨٨
الخطبةُ الثانيةُ والثمانون ١٩٥
٨٢. حقُّ العلمِ والعلماءِ ١٩٥
الخطبةُ الثالثةُ والثمانون ٢٠٠
٨٣. ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ ٢٠٠
الخطبةُ الرابعةُ والثمانون ٢٠٧
٨٤. استشهادُ حارثةَ بنِ سراقةَ ٢٠٧
الخطبةُ الخامسةُ والثمانون ٢١٣
٨٥. انتشارُ الصورِ المهيجةِ ٢١٣
الخطبةُ السادسةُ والثمانون ٢٢٠
٨٦. عزوفُ الفتياتِ عنِ الزواجِ لعلةِ التعليمِ ٢٢٠
الخطبةُ السابعةُ والثمانون ٢٢٧
٨٧. من سيرةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ (رضيَ اللهُ عنه) ٢٢٧
الخطبةُ الثامنةُ والثمانون ٢٣٢
٨٨. أزمةُ الإيمانِ الحقيقيِّ في الأمةِ الإسلاميةِ ٢٣٢
الخطبةُ التاسعةُ والثمانون ٢٣٨
٨٩. الإمامُ المحدثُ الربيعُ بنُ حبيبٍ الفراهيديُّ ٢٣٨
الخطبةُ التسعون ٢٤٣

٩٠. واقع الأمة الإسلامية ٢٤٣
الخطبة الحادية والتسعون ٢٥٠
٩١. استغلال الوقت عند الصحابة (رضوان الله عليهم) ٢٥٠
الخطبة الثانية والتسعون ٢٥٦
٩٢. أوقاف منسية ٢٥٦
الخطبة الثالثة والتسعون ٢٦٣
٩٣. الحكم الشرعي في الخمر وأضراره ٢٦٣
الخطبة الرابعة والتسعون ٢٦٨
٩٤. بمناسبة محاولة الانقلاب الفاشلة[1] على السيد رجب طيب أردوغان ٢٦٨
الخطبة الخامسة والتسعون ٢٧٤
٩٥. بمناسبة بدء العام الدراسي لسنة ١٤٣٧-١٤٣٨ هجرية ٢٧٤
الخطبة السادسة والتسعون ٢٧٩
٩٦. العام الهجري الجديد - ١٤٣٨هـ - آمال وآلام ٢٧٩
الخطبة السابعة والتسعون ٢٨٦
٩٧. أبو بكر الصديق القانت الأوّاب ٢٨٦
الخطبة الثامنة والتسعون ٢٩٢
٩٨. الموت ٢٩٢
الخطبة التاسعة والتسعون ٢٩٧
٩٩. فضائل الصحابة (رضوان الله عليهم) ٢٩٧
الخطبة المئة ٣٠٤
١٠٠. تربية الأسرة على الصراط المستقيم ٣٠٤
الفهرس ٣١٠
الخاتمة ٣١٤

الخاتمةُ

وبهذا الجهدِ المباركِ تكونُ مراجعةُ الجزءِ الثاني مِن موسوعةِ (النفحاتِ المسكيَّةِ مِنَ الخطبِ المنبريةِ) قد تمَّت بموضعِ سكناي المسمى (المداس) بمحلةِ ضوت مِن أعمالِ ولايةِ نَزْوَى، وذلك بتاريخِ يوم الأربعاء العاشر مِن شهرِ محرم من شهورِ سنة ١٤٣٨هجرية، الموافقِ الثاني عشر مِن شهرِ أكتوبر من شهورِ سنةِ ٢٠١٦ ميلادية، وها أنا أشرعُ في الجزءِ الثالثِ من هذه الموسوعةِ المباركةِ .

وقد بادرَ شقيقي العزيزُ أبو بشيرٍ منذرُ بنُ عبدِ اللهِ السيفيُّ بإخراجِ الجزئين اللذين فرغت منهما، وهما: الأولُ والثاني مِن هذه الموسوعةِ، وكانَ له – أيضًا – مع هذين فضلُ المسارعةِ لإخراجِ الطبعةِ الثانيةِ من كتابِنا (نساء نزوانيات) في معرضِ الكتابِ لسنةِ ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧ م .

أسأل اللهَ لي وله الإخلاصَ والتوفيقَ والسدادَ لكلِّ عملٍ صالحٍ نتقربُ به إلى مولانا، ورزقَنا الجنةَ دارَ القرارِ، وحرَّمَ أجسادَنا على النارِ، أشركَهُ اللهُ معي في الثوابِ، ورزقنا أجرَ الصدقةِ الجاريةِ، آمين .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين
والصلاةُ والسلامُ على خيرِ الخلقِ أجمعين

بقلمِ كاتبِه الفقيرِ إلى رحمةِ ربِّه
محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ السيفيِّ
النزويِّ الإباضيِّ
(عاملَه اللهُ بلطفِه)



تمَّ بحمدِ للهِ وتوفيقهِ الجزءُ الثاني
مِن موسوعةِ (النَّفحاتِ المسكيةِ مِنَ الخطبِ المنبريةِ)،
ويليه الجزء الثالث .

